الابتهاج في أحاديث المعراج

تأليف

أبو الخطاب بن دحية
(٥٤٢-٦٣٣هـ - ١١٥٠-١٢٣٦م)

حققه وخرج أحاديثه

الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب
أستاذ الشريعة بجامعتي القاهرة وأم القرى

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ = ١٩٩٦ م

رقم الإيداع : ٩٦/٩٢٥٨

الترقيم الدولى : 977-5046-17-3

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٢٧٨٥١

الابتهاج في

أحاديث المعراج

تأليف

أبو الخطاب بن دحية

(٥٤٢-٦٦٣هـ - ١١٥٠-١٢٣٦م)

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يَسّر ، وأعِن يا كريم

أما بَعْدُ ؛ حمدًا لله على نعمه التي لا تحصر ، ولا تحصى ، وصلواته على عَلَم هدايته ؛ محمد وآله الذى أمر باتباعه وطاعته ، ونهى عن أن يُخَالَف ويُعْصَى ، ودَلَّ على شرف منزلته بقوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا ﴾ (١) ورضوانُه على أهل بيته وأصحابه الذين مناقبهم أكثر من أن تُسْتَقْصَى .

فإن هذا الكتاب يُسْفِرُ عن وجوه الحقائق ، ويكشف عن قِناع الدَّقائِق ، ويوضح مستقيم المِنْهَاج فى أحاديث المعراج ، على نحوٍ ماجارانى فى ميدانه مُجَارٍ ، ولاباراني فى مِضْمَارِه مُبَارٍ ، فَرَّقْتُ فيه بين الصحيح والسقيم ، وسلكت مِنْهاجًا هو فى صفة المستقيم ، وحَلَلْتُ عُقَد المُشْكِلَات ، ورَدَدْت بالبراهين على الشُّبُهَات ، وبَيَّنْتُ أن ذلك كان بالروح والجسد .

وكشفت حقيقة الأمر فى غاية المَدَى ، ويَسِير الأَمَد . وهو على ذلك كبير الفوائد والمَدَد ، كثير الإِفادَات فى يَسير المُدَد ، وأحسنت الكلام فى مذهب المحقِّين ، وأَحْسَبْت (٢) فى الرد على المُبْطِلين . وهذا أَوَّلُ ما أقول وبالله امتداد التوفيق وهو الهادى إلى سواء الطريق .

* * *

---

(١) سورة الإسراء : ١

(٢) أَحْسَبْتُ : أى كفيت ، يقال : أعطانى فأحسبنى ، أى كفانى (هامش المخطوط) .

حديث الإسراء الذى خص الله به
محمدًا - ﷺ - سيد الرسل ، وخاتم الأنبياء

[وقت الإسراء والمعراج]

قال ذو النسَبَيْــــن رضى الله عنه : وكان الإسراء برسول الله ﷺ ليـــلة سبع وعشرين من شهر ربيع الأول [1] . قاله الإمام العالِـم أبو إسحاق إبراهيم

---

(١) قال صاحب تاج الابتهاج : واختلف العلماء فى زمنهما أى الإسراء والمعراج ؛ هل فى شهر ربيع الأول ، أو الآخر ، أو رجب ، أو رمضان ، أو شوال ، أو ذى الحجة ؟ وهل كان قبل الهجرة بخمس سنين ، أو ثلاث سنين ، أو بسنة وخمسة أشهر ، أو بسنة وثلاثة أشهر ، أو بسنة وشهرين ، أو بسنة واحدة ، أو بثمانية أشهر ، أو بستة أشهر .

والراجح من هذه الأقوال أنه قبل الهجرة النبوية بسنة واحدة . قاله ابن سعد وغيره وعليه الأكثرون ، وبه جزم النووى ، وقاله ابن حزم وادعى فيه الإجماع وفى دعوى الإجماع نظر للاختلاف السابق .

وفى أواخر رجب فى ليلة السابع والعشرين منه ، وعليه عمل الناس . قال بعضهم : وهو الأقوى ؛ لأن المسألة إذا كان فيها اختلاف للسلف ، ولم يقم دليل على الترجيح ، واقترن العمل بأحد القولين ، أو الأقوال ، وتلقى بالقبول - فإن ذلك مما يغلب على الظن كونه راجحا ، ولذا اختاره الحافظ عبد الغنى المقدسى .

وقيل ليلة اثنتى عشرة منه .

وقيل لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان . وقال ابن عطية بعد نقل الخلاف : والتحقيق أنه كان بعد شق الصحيفة وقبل بيعة العقبة .

وقيل كان قبل المبعث ، وحدده بعضهم بخمس سنين . قال الزرقانى : قال الحافظ : وهو شاذ إلا إن حمل على أنه وقع حينئذ فى المنام .

وأما اليوم الذى يسفر عن ليله فقيل الجمعة وقيل السبت . وعن ابن دحية : يكون إن شاء الله تعالى يوم الإثنين ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة ، فإن هذه أطوار الانتقالات وجودًا ، ونبوةً ، ومعراجًا ، وهجرةً ، ووفاة . [وابن دحية هو مصنف هذا الكتاب]

قال الزرقانى : لكن فى عده المعراج شىء ؛ لأنه محل النزاع فكيف يستدل به .

وحاصله كما قال الشامى أنه استنبطه بمقدمات حساب من تاريخ الهجرة وحاول موافقته لتلك الأطوار ، وقال : يكون الاثنين فى حقه كالجمعة لآدم انتهى ؛ أى لأنه خلق فى يوم الجمعة ، وفيه أنزل إلى الأرض ، وفيه تاب الله عليه ، وفيه مات ، وكانت أطواره الوجودية الدنيوية خاصة بيوم واحد . ويؤيده ما رواه ابن أبى شيبه عن جابر وابن عباس رضى الله عنهما قال : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين ، وفيه بعث ، وفيه عرج إلى السماء ، وفيه مات ، وقولهما وفيه عرج إلى السماء أراد ليله ؛ لأن الإسراء كان بالليل اتفاقًا .=

٧

ابن إسحاق الحربى [(١)] .

= قال الخفاجى : قال ابن المُنَيِّر : وكان مقدمه ﷺ للمدينة الشريفة يوم الاثنين من ربيع الأول ثانى عشرة قبل الضحى ، وقيل : عند استواء الشمس ، وإذا كان الثانى عشر الاثنين كان أوله الخميس وأول شهر الإسراء السبت أو الأحد أو الاثنين ؛ لأن بين كل يومين متقابلين من سنتين متواليتين إما ثلاثة أيام أو أربعة أو خمسة ، ولذا تكون الوقفة من كل سنة خامس يوم من الوقفة التى قبلها ، أو رابعه ، أو سادسه ، وأعدل الاحتمالات الخامس فالجمعة يعقبها الثلاثاء ، والاثنين يعقبها الجمعة ، وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب تمام الشهور ونقصها ، فبناء على أعدل الاحتمالات أول ربيع الأول من سنة الإسراء الاثنين ، وأول الآخر منها الأربعاء بفرض ربيع الأول تامًا ، فالسابع والعشرون منه يوم الاثنين ليوافق مولده ﷺ ، ومبعثه ، ووفاته ، فإن يوم الاثنين فى حقه ﷺ كيوم الجمعة لآدم عليه الصلاة والسلام ؛ فإنه فيه خلق ، ونزل إلى الأرض فيه ، وتاب الله عليه ، ومات فيه .

وقيل إنه كان ليلة الجمعة لفضلها ، ثم إن كونها ليلة سبع وعشرين موافق لليلة القدر ، فإنها ليلة سبع وعشرين من رمضان على الأصح انتهى .

هذا على القول بأنه كان الإسراء ليلة سبع وعشرين من ربيع الأول ، وإن قلنا بأنه كان ليلة سبع وعشرين من رجب فيكون على هذا الاحتمال أول جمادى الآخرة من سنة الإسراء الاثنين ، وأول رجب منها الأربعاء فيكون السابع والعشرون منه يوم الاثنين .

واعتمد القول بوقوعهما قبل الهجرة بسنة الجمهور من الثقات ؛ منهم ابن سعد وابن حزم كما تقدم ، وحكاه ابن الأثير عن غيره ، إلا أن ابن الأثير جزم بأنه كان فى ربيع الأول ، وبه قال جمع ؛ منهم النووى فى فتاويه - كما فى النسخ المعتمدة .

وزاد النووى بأنه كان فى ليلة سبع وعشرين منه ، وجرى عليه جمع ، وهكذا نقله عن الفتاوى الأسنوى فى المهمات ، والأذرعى فى التوسط ، والزركشى فى الخادمى ، والدميرى فى حياة الحيوان ، وغيرهم ، وفى بعض نسخ شرح مسلم ، كما فى الفتاوى ، ونقله ابن دحية فى الابتهاج - وهو هذا الكتاب ، والحافظ فى الفتح .

وفى أكثر النسخ من شرح مسلم أنه كان فى ربيع الآخر ، ولم يبين فى أى ليلة منه كما فى بعض نسخ الفتاوى .

وقال الحربى : فى سابع عشر ربيع الآخر .

وقيل : كان فى سبع وعشرين من رجب ، وجزم به النووى أيضًا . وعلى ذلك فالنووى له فى ذلك قولان : الأول فى سبع وعشرين من ربيع الأول ، والثانى فى سبع وعشرين من رجب .

والعمل على الثانى فى جميع الأمصار اتباعًا لجزم النووى رحمه الله تعالى به فى الروضة تبعًا للرافعى . (تاج الابتهاج ، ص ٢٥ - ٢٧) .

(١) أبو إسحاق الحربى ولد سنة ثمان وتسعين ومائة ، وتوفى سنة خمس وثمانين ومائتين .

وذكر الواقِدِىّ محمد بن عمر القاضى : حدثنى أسامة بن زيد الليثى ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : أسرى بالنبى ﷺ / ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول ، وذلك قبل الهجرة بسنة . ٢/ب

وذكر الواقدى أيضا عن رجاله أن المسرَى كان فى ليلة السبت لسبع عشرة من شهر رمضان فى السنة الثانية عشرة من المبعث قبل هجرته إلى المدينة بثمانية عشر شهرًا .

وكان الواقدى [(١)] يضع الأحاديث على رسول الله ﷺ . قاله أبو عبد الرحمن النَّسائى .

وقال الإِمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل : الواقدى كذاب .

= قال الدارقطنى : كان إمامًا ، وكان يقاس بأحمد بن حنبل فى علمه وزهده وورعه . انظر ترجمة له ضافية فى مقدمة تحقيق كتابه غريب الحديث (١٧/١ - ٥١)

(١) عرض المصنف لقول واحد من الأقوال فى الواقدى ، والحق أنه قد اختلف فيه مابين موثق ومجرح .

وخير الأقوال فيه ما قاله الذهبى فى سير أعلام النبلاء ، قال : محمد بن عمر بن واقد الأسلمى مولاهم الواقدى ، المدينى ، القاضى ، صاحب التصانيف والمغازى ، العلامة الإِمام أبو عبد الله ، أحد أوعية العلم على ضعفه المتفق عليه .

ولد بعد العشرين ومائة .

« جمع فأوعى ، وخلط الغث بالسمين ، والخرز بالدر الثمين ، فاطرحوه لذلك ، ومع هذا فلا يستغنى عنه فى المغازى وأيام الصحابة وأخبارهم » .

وبعد أن عرض لمن عدلوه ومن جرحوه قال :

« وقد تقرر أن الواقدى ضعيف ، يحتاج إليه فى الغزوات والتاريخ ، ونورد آثاره من غير احتجاج ، أما فى الفرائض فلا ينبغى أن يذكر ، فهذه الكتب الستة ، ومسند أحمد ، وعامة من جمع فى الأحكام نراهم يترخصون فى إخراج أناس ضعفاء ، بل ومتروكين ، ومع هذا لا يخرجون لمحمد بن عمر شيئا ، مع أن وزنه عندى أنه مع ضعفه يكتب حديثه ويروى ؛ لأنى لا أتهمه بالوضع ، وقول من أهدره فيه مجازفة من بعض الوجوه ، كما أنه لا عبرة بتوثيق من وثقه كيزيد وأبى عبيد ، والصاغانى ، والحربى ، ومعن ، وتمام عشرة محدثين ؛ إذ انعقد الإِجماع اليوم على أنه ليس بحجة ، وأن حديثه فى عداد الواهين . رحمه الله ..

هذا وقد توفى سنة سبع ومائتين (السير ٤٦٧/٩) .

وقال يحيى بن معين : ليس بثقة .

وقال أبو زُرْعَة : كان يضع الحديث .

وقيل : كان الإِسراء فى رجب . وفى إسناده رجال معروفون بالكذب [١] .

وقال الإِمام أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، فيما حدثنى الشيخان الفقيهان العالمان قاضى القضاة أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد بن مَضَاء اللَّخْمِىّ ، والأستاذ أبو القاسم عبد الرحمن بن أبى الحسن الخَثْعَمِىّ ، ثم السُّهَيْلِى قراءة منى عليهما قالا :

حدثنا القاضى الإِمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربى المَعَافِرِىّ سماعًا عليه قال :

حدثنا الفقيه العالم أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسى [٢] قال :

---

(١) سبق فى ص (٧) فى الهامش أن هذا ما عليه العمل وبه جزم النووى وآخرون .

(٢) سيقف المصنف فى وسط السند بعد قليل ليترجم لأبى الفتح المقدسى ، ولهذا يحسن بنا أن نترجم له هنا .

قال ابن عساكر فى تبيين كذب المفترى (ص ٢٨٦ - ٢٨٧) : الفقيه أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسى رحمه الله متأخر الوفاة ، أدركنا جماعة ممن أدركه وتفقه به ، وكان قد تفقه عند أبى الفتح سليم بن أيوب الرازي بصور ، ثم رحل إلى ديار بكر وتفقه عند أبي عبد الله محمد بن بيان الكازروني الفقيه ، وسمع الحديث بدمشق وغيرها من جماعة ، ودرس العلم ببيت المقدس مدة ، ثم انتقل إلى صور ، فأقام بها عشر سنين ينشر العلم بها مع كثرة المخالفين له من الرافضة ، ثم انتقل منها إلى دمشق فأقام بها تسع سنين يحدث ويدرس ويفتي على طريقة واحدة من الزهد في الدنيا ، والتنزه عن الدنايا ، والجري على منهاج السلف ؛ من التقشف ، وتجنب السلاطين ، ورفع الطمع ، والاجتزاء باليسير ، مما يصل إليه من غَلّة أرض كانت له بنابلس يأتيه منها ما يقتاته ، ولا يقبل من أحد شيئا . سمعت من يحكي أن تاج الدولة تتش بن البارسلان زاره يومًا ، فلم يقم له ، وسأله عن أحل الأموال التى يتصرف فيها السلطان ، فقال الفقيه : أحلها أموال الجزية ، فخرج من عنده وأرسل إليه بمبلغ من المال ، وقال هذا من مال الجزية ، ففرقه على الأصحاب ، فلم يقبله . وقال : لا حاجة بنا إليه ، فلما ذهب الرسول لامه الفقيه أبو الفتح نصر الله بن محمد ، وقال له : قد علمت حاجتنا إليه فلو كنت قبلته ، وفرقته فينا ، فقال له : لا تجزع من فوته فسوف يأتيك من الدنيا ما يكفيك فيما بعد ، فكان =

أخبرنا الشيخ الفقيه العالِم أبو الفتح سُلَيْم بن أيوب الرازى قراءة عليه سنة أربعين وأربع مائة قال : أخبرنا العالم اللغوى الثقة أبو الحسين أحمد بن فارس :

قال القاضى أبو بكر بن العربى فى كتاب « سراج المريدين » له : وقد رأيت من أهل التبتل جماعة لم أر فيهم أحدًا يعدل أبا الفتح نصر بن إبراهيم الزاهد الإِمام ، لقيته فى جُمَادَى الآخرة سنة تسع وثمانين وأربع مائة . وكان ابتداء حاله أنّ أصلهم من نابلس قرية حريق إبراهيم ، خِيفٌ بين جبلين / أنهارًا ، وثمارًا ، وظلالًا ، ومياهًا باردة ، ونعمة سابغة ، وأمْنًا مُطَّرِدًا ، ونشأ مع أبيه ببيت المقدس ، وكانت لهم به دُور وضِياع ، فتوفى أبوه وهو شاب ، فبقى مدة ، ثم جذبته سابقة سَعِيديَّة ، فخطفت من قلبه المحبة الدنياويّة ، وخرج حاجًّا ، ثم جاهد ، ورجع إلى الموطن ، فحبس إحدى دَارَيْه على الطلبة مع معظم مَالِه ، وجعل النظر فيها إلى يحيى بن مُفَرِّج [1] شيخ أصحابه ، وشرط أن نصيبه فيها كأنصبائهم ، وحبس الدار الأخرى على الأيتام الذين لا أب لهم ، وَضَيْعة من ضِياعه لينفق عليهم منها ، حتى يتعلموا القرآن ، وخرج إلى دمشق لأجل كونها حينئذ فى طاعة المصريين ، واعتكف بجامع دمشق أربعين عامًا .

٣/أ

وكان نصيبه مع الطلبة يأتيه بعيشة منها ، وتبتل هذه المدة العظمى ، وانقطع

= كما تفرس فيه رحمه الله . وسمعت بعض من صحبه يقول : لو كان الفقيه أبو الفتح في السلف لم تقصر درجته عن واحد منهم ؛ لكنهم فاقوه بالسبق ، وكانت أوقاته كلها مستغرقة في عمل الخير ؛ إما في نشر علم ، وإما في إصلاح عمل ، وحكى عن بعض أهل العلم أنه قال : صحبت إمام الحرمين أبا المعالي الجويني بخراسان ثم قدمت العراق فصحبت الشيخ أبا اسحق الشيرازي فكانت طريقته عندي أفضل من طريقة أبي المعالي ، ثم قدمت الشام فرأيت الفقيه أبا الفتح فكانت طريقته أحسن من طريقتيهما جميعا . سمعت الشيخ الفقيه أبا الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوي المصيصي يقول توفي الفقيه أبو الفتح نصر بن إبراهيم في يوم الثلاثاء التاسع من المحرم سنة تسعين وأربعمائة بدمشق . وخرجنا بجنازته بعد صلاة الظهر ، فلم يمكنا دفنه إلى قريب المغرب ؛ لأن الناس حالوا بيننا وبينه ، وكان الخلق متوفرا ، ذكر الدمشقيون أنهم لم يروا جنازة مثلها ، وأقمنا على قبره سبع ليال نقرأ كل ليلة عشرين ختمة رحمه الله ، ونضر وجهه .

(١) وضع السبكى له فى طبقاته ترجمة فقال : « يحيى بن المفرج أبو الحسين اللخمى المقدسى » ولكنه لم يكتب تحتها شيئًا (٣٣٥/٧ رقم ١٠٣٧) .

إلى الله تعالى عالمًا متعلّمًا حتى توفى سنة تسعين وأربع مائة ، وعليه جبة شَمَطٌ [(١)] سوداء [(٢)] .

أخبرنى أصحابنا أنه بها دخل معتكفه ، ودَوَاة وسَطْل [(٣)] صُفْر كان يشرب به ، ويتوضأ . قال لى : حجَّ معى ، وغزا ، ونَيَّفَ على التسعين ، وهو يكتب فى المِزْهَرِىّ ثمانين سطرًا بخط دقيق ، لكنَّ أسنانه تساقطت ، ومات وما تَلَبَّس بالدنيا ، ولا صحب من أهلها أحدًا ، ولا رأى إلا من دخل إليه متعلمًا ، وملأ أصحابُه الآفاق ، وأَنْجَبَ ، فنِعْمَ ما أَنْجَبَا .

قال ذو النسبين رضى الله عنه : قول ابن العربى فى نابلس قرية حريق إبراهيم ﷺ وعلى جميع الأنبياء والمرسلين . فذلك باطل بيقين ؛ فإن موضع حريق إبراهيم كان ببابِل من أرض العراق ، وبينها وبين نابلس مَفاوِزُ ينقطع دونها أعناق الرِّفَاق . وابن العربى – رحمه الله – / كثير الغلط والأوهام ؛ منها ماذكره فى صخرة بيت المقدس ، مما يشهد بخطائه فيها جميع من رآها من أهل الإسلام . ٣/ب

قال ذو النسبين رضى الله عنه : وقوله : جُبَّة شَمَط سوداء إنما أعرف الشمط الذى اختلط بياضه بسواده . ومنه شَمَطَ الشعر إذا كثر فيه الشيب مع بقية سواد الشعر . ورأيت لباس الزُّهَّاد بالشام جِبَبٌ صوف فيها خطوط بيض وسود ، فهو موافق لِلّغة إلا قوله : « سوداء » ؛ فإنه يؤذن بأنها ليست بشمطاء .

قال ذو النسبين [(٤)] رضى الله عنه : وحدثنيه عاليًا فى رحلتى إلى المشرق جماعة من شيوخى ، منهم الشيخان الصالحان أبو جعفر محمد بن أحمد بن

---

(١) شمط الشيء ، شَمَطا : اختلط بغيره ، ويقال : شمط شعره : اختلط سواده ببياضه ، والشجر ألقى ورقه ، فهو أشمط ، وهى شمطاء (المعجم الوسيط) .

(٢) كلمة « سوداء » ليست فى الأصل ، ولكن صنيع المصنف بعد ذلك يؤكد أنها سقطت من المخطوط ؛ لأنه انتقد قول ابن العربى فى قوله هنا « جبة شمط سوداء » .

(٣) السَّطْلُ : إناء من معدن كالمرجل له علاقة كنصف الدائرة مركبة فى عروتين ، (ج) اسطال ، وسطول . (المعجم الوسيط) .

(٤) رجع المصنف إلى السند بعد أن ترجم لنصر بن إبراهيم أبى الفتح .

سِلْفَة ، وأبو القاسم عبد الواحد بن أبى المطهر الصَّيْدَلانِيَّان ، وابن إسماعيل قراءة منى عليه ، بقصر خُوزِسْتَان قالوا :

حدثنا الأديب الثقة أبو القاسم غانم بن أحمد الأسود قال :

أخبرنا أبو الحسن على بن القاسم بن إبراهيم الخياط قال : أخبرنا أبو الحسين أحمد بن فارس بن [١] زكريا سماعًا من لفظه ...

قال ذو النسبين رضى الله عنه : وهذا عالٍ جدًّا ؛ لأن غانمًا هذا بمنزلة الخطيب مؤرِّخ بغداد ؛ لأنه يروى عن القاضى أبى زرعة رَوْح بن محمد الرَّازِى عنه ، وكذا رواه عنه ابن الأكفانى .

قال ذو النسبين رضى الله عنه : أخبرنا بتواليف الثقة العدل أبى الحسين بن فارس هذا الثقة الصالح أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر بن أبى الفتح بن محمد بن عمر الصيدلانى سِبْط أبى على الحسين بن عبد الملك بن أبى عُمَر ، وعبد الوهَّاب ابن إمام أصبهان أبى عبد الله بن مَنْدَة ، عن قريبه الإمام أبى زكريا يحيى بن أبى عمر . وعبد الوهاب / المذكور قال : ٤/أ

حدثنا عمى الإمام أبو القاسم عبد الرحمن ابن الإمام أبى عبد الله بن مَنْدَة قال :

حدثنى بجميع رواياته وتواليفه الثقة العدل أبو الحسين بن فارس .

قال ابن فارس : فلما أتت لرسول الله ﷺ إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر أُسْرِىَ به من بين زَمْزَم والمقام إلى بيت المقدس [٢] .

---

(١) قال الذهبى : هو الإمام العلامة ، اللغوى المحدث ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزوينى المعروف بالرازى المالكى اللغوى نزيل همذان وصاحب كتاب المجمل ... كان رأسًا فى الأدب ، بصيرًا بفقه مالك ، مناظرًا متكلما على طريقة أهل الحق ، ومذهبه فى النحو على طريقة الكوفيين ، جمع إتقان العلم ، إلى ظرف أهل الكتابة والشعر . وله مصنفات ورسائل ، وتخرج به أئمة .

مات بالرى فى صفر سنة خمس وتسعين وثلاثمائة . (السير ١٧/١٠٣ - ١٠٦) .

(٢) قال محمد بن يوسف الصالحى فى الاختلاف فى مكان الإسراء والمعراج : فى رواية أنه كان =

قال ذو النسبين رضى الله عنه : وفيه اختلاف كثير سأذكره - إن شاء الله - فى ترجيح حديث الإِسراء .

* * *

= عند البيت كما عند البخارى فى باب بدء الخَلْق وفى باب المِعْراج فى الحطيم ، وربما قال فى الحِجْر ، والشك من قتادَة كما بَينه الإِمام أَحمد فى روايته عن عَفان عن همام ولَفْظُه : « بينا أنا فى الحطيم ، وربما قال قتادة فى الحِجْر » . قال الحافظ : والمراد بالحطيم هنا الحِجْر ، وأَبْعَدَ مَنْ قال : المراد به مابين الركن والمقام ، أَو ما بين زمزم والحجر . قال : وهو وإِن كان مختلَفا فى الحطيم هل هو الحجر أَم لا فالمراد به هنا بيان البقعة التى وقع ذلك فيها ؛ لأَنها لم تتعدد ؛ لأَن القصة متحدة باتحاد مخرجها .

وفى رواية الزهرى عن أَنَس : « فُرِج سقف بيتى وأَنا بمكة » ، وفى رواية الواقدى أَنه : « أُسْرِى به من شِعْب أَبى طالب » ، وفى حديث أُم هانىء عند الطبرانى أَنه « بات فى بيتها » ، قالت : ففقدتُه من الليل فقال : إِن جبريل أَتانى » . قال الحافظ :

« والجمع بين هذه الأَقوال أَنه بات فى بيت أُم هانىء ، وَبيتُها عند شِعْب أَبى طالب ، ففُرِج عن سقف بيته ، وأَضاف البيت إِليه لأَنه كان يسكنه ، فنزل منه منزلة المالك ، وأَخرجه إِلى المسجد ، وكان به أَثَر النعاس ، ثم أَخرجه إِلى باب المسجد ، فأَركبه البُراق . قال : وقد وقع فى مُرْسَل الحَسَن عند ابن إِسحق فأَتاه فأَخرجه إِلى المسجد ، وهو يؤيد هذا الجمع » . انتهى .

وقال بعضهم : ليس بين قوله : « بينا أنا فى المسجد الحرام » وبين قوله : « فى بيتى » وبين أُم هانىء ، تناف لأَنه قد يكون المراد بالمسجد الحرام : الحرم لإِحاطته بالمسجد والتباسه به ، وعن ابن عباس : الحرم كله مسجد [سبل الهدى والرشاد : (٣/٩٤)] .

وسيتعرض المصنف لهذه المسألة فيما بعد - إن شاء الله تعالى .

[الإسراء بالروح والجسد]

اختلف السلف والعلماء : هل كان إسراء **بروحه وجسده** على ثلاث مقالات ، وقلَّ من يحفظ سوى المقالتين :

المقالة الأولى : ذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح ، وأنه رؤيا منامٍ ، مع اتفاقهم على أن رؤيا الأنبياء حق ووحي ، وإلى هذا ذهب معاوية ، ويحكَى عن الحسن ، والمشهور عنه خلافه ، وإليه أشار محمدُ بن إسحاق فى السيرة . وحجتهم قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ (١) ، وبحديث رووه عن عائشة رضى الله عنها : « مافُقِدَ جسد رسول الله ﷺ ...» وقوله : « بينا أنا نائم » . وقول أنس : « وهو نائم فى المسجد الحرام » ثم قال فى آخرها : « فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام » وهو قول المعتزلة ، وطوائف أهل البِدَع (٢) .

---

(١) الإسراء : (٦٠) .

(٢) قال الشامى فى هذه المقالة : إن الإسراء كان بالروح وإنه رؤيا منام ، مع اتفاقهم أَن رؤيا الأَنبياء وَحيٍ بشهادة : ﴿ يا بُنَيَّ إِنِّى أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] ، وقوله ﷺ : « الأنبياء تَنَامُ أَعْيُنُهم ولا تَنَامُ قُلوبُهم » . واحتجَّ من قال بهذا القول بقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً للنَّاسِ ﴾ ولو كان يقظةً لقال : « الرؤية » بالتاء ، وقول أَنس فى حديثه فى رواية شريك : « وهو نائم بالمسجد الحرام » . وذكر القصة الواردة ليلة الإسراء ، ثم قال فى آخرها : « استيقظت – أى انتبهت – من منامى وأنا فى المسجد الحرام » . وهذا المذهب يُعْزَى لمعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه فإن ابن إسحق قال : « حَدَّثني يعقوب بن عُتْبَة بن المُغِيرة بن الأَخْنَس أن معاوية ابن أَبى سفيان كان إذا سُئِل عن مَسْرَى رسول الله ﷺ قال : « كانت رُؤْيَا من الله تعالى صادقة » . ويعقوب وإن كان ثقة إلا أنه لم يُدْرِك معاوية فالحجة منقطعة .

ويُعْزَى أَيضًا إلى عائشة رضى الله عنها ، قال ابن إسحق : « حَدَّثنى بعض آل أبى بكر أَن عائشة زوج النبى ﷺ كانت تقول : « ما فُقِد جسد رسول الله ﷺ ولكن أُسْرِى بروحه » . كذا فيما وقفتُ عليه من نُسَخ السيرة « فُقِد » بالبناء للمفعول . وفى الذى وقفتُ عليه من نسخ الشِّفَا للقاضى « ما فَقَدْتُ » بالبناء للفاعل وإسناد الفعل إلى تاء المُتَكلِّم .

وأَجيب عن الأَول بأَن « الرؤيا » قد تكون بمعنى « الرؤية » فى اليقظة كما نقله أَبو الخَطَّاب ابن دحية عن ابن عباس . قال الشيخ السهيلى فى الروض : « وأَنشدوا للراعى يصف صائدًا .=

المقالة الثانية : وقالت طائفة : كان الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس ، وإلى السماء بالروح .

= وكَبَّرَ للرؤيا وَهَشَّ فُؤَادُه وبَشَّر قلبًا كان جَمًّا بَلَابلُه

وقوله : (إلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) يدل على أنها رؤية عَيْن ، وإسراء شخص ، إذ ليس فى الحلْم فتنة للناس من تَعَجُّبِهم تَعَجُّب استحالة ، حتى ارتدَّ كثيرٌ ممن آمن . وقال الكُفَّار : « يَزْعُم محمد أنه أتى بيت المقدس وَرَجَعَ إلى مكة فى لَيْلَتِه ، والعِيرُ تَطَّرِد إليها شهرًا مُقْبلة وشهرًا مُدْبِرة . ولو كانت رؤيا نوم لم يَسْتَبْعِد أحدٌ منهم هذا ، فمعلوم أن النائم قد يرى نفسه فى السماء وفى المَشْرِق وفى المَغْرِب فلا يُسْتَبْعَد منه ذلك ، ويؤيد كونها يَقَظَةً ما ورد من شربه تلك الليلة الماء الذى كان لسُفَّار قريش ، وضعوه فى بعض مراحلهم فى قَدَح وغَطُّوه ، فأَصبحوا ولا ماء فيه ، فعَجِبُوا لذلك . وإرشاد أَصحاب العِير الذين نَدَّ بعيرُهم حين أنفره حِسُّ البُرَاق حتى دَلَّهم عليه ، فأَخبر أَهلَ مكة بأَمارة ذلك ، حتى ذكر الغرارتَيْن السوداء والبَرْقاء ، وَوَعْدُهُ لقريش بقدوم العِير التى أَرشد أَصحابَها إلى بعيرهم ، وشرب مائهم - أن يَقْدَموا يوم الأَربعاء » . وهذا كله لا يكون إلا يقظة وقد تقدم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أَنه قال فى الآية : هذه رؤيا عين أُرِيَها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء .

وأُجيب عن الثانى وهو قوله : « بينا أَنا بين النائم واليقظان ، ثم استيقظت » بأَنه لا حجة فى ذلك إذ يَحْتَمِل قَوْلُه : « بين النائم واليقظان » إلى آخره أنه أَول وصول المَلَك كان وهو نائم بشهادة حديث الحَسَن : « بينا أَنا نائم فى الحِجْر جاءنى جبريل فَهَزَّنِي بَعقِبه ، فجلستُ فلم أَرَ شيئًا فَعُدتُ لمضجعى » ، إلى أَن قال : « فَجرَّنى إلى باب المسجد فإذا أنا بِدَابَّة » .

أَو أَنه محمول على ابتداء الحال ، ثم لما خرج إلى باب المسجد ، فأَركبه البُرَاق فاستمرّ فى يقظته . وليس فى الحديث أَنه كان نائمًا فى القصة كلها . وأَما قوله : « ثم استيقظتُ وأَنا بالمسجد الحرام » ، فقد قال الحافظ : « إن قيل بالتَّعَدُّد فلا إشكال ، وإلا حُمِل على أَن معناه أَفَقْتُ ، أَى أَفاق مما كان فيه من شغل البال بمشاهدة عجائب الملكوت ، ورجع إلى العالم الدنيوى ، فلم يرجع إلى عالم البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام » .

قال ابن كثير : « ويؤيد ذلك أَنه ﷺ كان إذا أُوحِىَ إليه يستغرق فيه فإذا انتهى رجع إلى حالته الأُولى ، فَكُنِّىَ عنه بالاستيقاظ كما فى حديث عائشة ، حين ذهب رسول الله ﷺ إلى الطائف فكَذَّبوه ، قال : « فرجعت وأَنا مهموم فلم أَسْتَفِق إلا بقرن الثعالب » أَى وهو مكان . وفى حديث أَبى أُسَيْد - بضم الهمزة وفتح المهملة - حين جاء بابنه إلى رسول الله ﷺ ليُحَنِّكه ، فوضعه على فخذ رسول الله ﷺ . واشتغل رسول الله ﷺ بالحديث مع الناس . فرفع أَبو أُسَيْد ابنَه ثم استيقظ رسول الله ﷺ ، فلم يجد الصبى ، فسأَل عنه ، فقالوا : « رُفِع » ، فسَمَّاه المُنْذِر أَحد رواته استيقاظًا . وهذا الحَمْل أَحْسَن من تغليط شَرِيك .

تنبيه : قال بعضهم إنه ﷺ كان تلك الليلة نائم العَيْن حاضر القلب ، غَمَّض عينيه لئلا يشغله =

واحتجوا بقول الله سبحانه : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾ (١) فجعل إلى المسجد الأقصى غاية الإسراء الذى وقع التعجب فيه تعظيم القدرة / والتمدح بتشريف النبى ﷺ ، وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه .

٤/ب

= شىء من المحسوسات عن الله . قال القاضى : « وهذا غير صحيح لأن المقام مشاهدة عجائب الملكوت بشهادة قوله تعالى : ﴿ لِنُرِيَه مِنْ آيَاتِنا ﴾ ، ﴿ لَقَدْ رأَىَ مِنْ آيَاتِ رَبِّه الكُبْرَى ﴾ ، إذْ المتبادر منه رؤية العَيْن ، ولا يصح أيضًا أن تكون فى وقت صلاته بالأنبياء .

وأما ما يُعْزى لعائشة رضى الله عنها ، فلم يرد بِسَند يصلح للحجة بل فى سَنَده انقطاع ورواه مجهول كما تقدم . **وقال أبو الخَطَّاب بن دِحْية فى التنوير** : إنه حديث موضوع عليها . وقال فى مِعْراجه الصغير : « قال إمام الشافعية القاضى أبو العباس بن سُرَيْج : هذا حديث لا يصح وإنما وُضِع رَدًّا للحديث الصحيح » . انتهى . [انظر ص : ٦٨ من هذا الكتاب فالمعراج الصغير هو هذا الكتاب] .

وعلى تقدير أن يكون صحيحًا ورد بالبناء للمفعول ، فعائشة رضى الله عنها لم تُحَدِّث عن مشاهدة ؛ لأنها لم تكن زوجة إذ ذاك ، أو بالبناء للفاعل : « ما فَقَدْتُ جسده الشريف » فعائشة لم يدخل بها إلا بالمدينة بالإجماع ، ولا كانت وقت الإسراء فى سِنّ من يَضْبطُ الأُمور ؛ لأنها فى سنة الهجرة كانت بنت ثمان سنين . فعلى القول بأن الإسراء كان قبلها بسنة تكون بنت سبع ، وعلى القول بأكثر من ذلك تكون أصغر من ذلك ، وعلى قول من قال : إن الإسراء كان بعد البعث بعام لم تكن وُلِدت .

تنبيه : قال فى زاد المعاد : « ينبغى أن يُعْلَم الفرق بين أن يقال : كان الإسراء مناما وبين أن يقال : كان بروحه دون جسده ، وبينهما فرق عظيم . وعائشة ومعاوية لم يقولا : كان منامًا ، وإنما قالا : الإسراء بروحه ولم يُفْقَد جَسَدُه . وفرق بين الأمرين ، فإن ما يراه النائم قد يكون أمثالًا مضروبة للمعلوم فى الصُّوَر المحسوسة ، فيَرَى كأنه عُرِج به إلى السماء ، أو ذُهِب به إلى مكة أو أقطار الأرض ، وروحه لم تصعد ولم تذهب ، وإنما ملك الرؤيا ضرب له المثال ، والذين قالوا : عُرِج برسول الله ﷺ طائفتان : طائفة قالت عُرِج بروحه وبَدَنِه ، وطائفة قالت عُرِج بروحه ولم يُفْقَد بَدَنُه . وهؤلاء لم يريدوا أن المعراج كان منامًا وإنما أرادوا أن الروح ذاتها أُسِرىَ وعُرِج بها حقيقةً وباشرت من جنس ماتباشر بعد المفارقة . وكان حالها فى ذلك كحالها بعد المفارقة فى صعودها إلى السموات سماءً سماءً ، حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة ، فتقف بين يدى الله تعالى فيأمر فيها بما يشاء ، ثم تنزل إلى الأرض » .

« والذى كان برسول الله ﷺ ليلة الإسراء أكمل مما يحصل للروح عند المفارقة . ومعلوم أن هذا أمْرٌ فوق ما يراه النائم . لكن لما كان رسول الله ﷺ فى مقام خرق العوائد ، حتى شُقَّ بَطْنُه وهو حَىّ لا يتألم بذلك ، عُرِج بذات روحه المقدسة حقيقةً من غير إماتة . ومَنْ سواه : لا يَنَالُ بذات رُوحه الصُّعُودَ إلى السموات إلا بعد الموت والمفارقة ، إلى آخر كلامه » .

[سبل الهدى والرشاد : (١٠٤/٣)] .

(١) الإسراء : (١) .

قال هؤلاء : ولو كان الإِسراء بجسده إلى زائد إلى المسجد الأقصى لذَكره ، فيكون أبلغ فى المدح (١) .

المقالة الثالثة : ذهب معظم السَّلَف والمسلمين من الفقهاء والمحدِّثين والمفسرين والمتكلمين ، وهو مذهب أهل السنة أجمعين ، أَكْتَعِين إلى أنه إسراء بالجسد ، وفى اليقظة (٢) ، وهذا هو الحق ؛ فإن الدواب لا تحمل الأرواح وإنما تحمل الأجسام ، وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه أسرى به على دابة يقال لها : البُرَاق ، ووصف خِلْقَتَها .

---

(١) قال ابن يوسف الشامى فى هذا الرأى : إن الإسراء كان بالجَسَد يقظةً إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح ، ذَهَب إلى هذا طائفة واحتَجُّوا بقوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا ﴾ فجعل المسجد الأقصى غايةً للإسراء الذى وقع التَّعَجُّب فيه من حيث إنه كان فى بعض ليلة . والتَّعَجُّب فيه من الكُفَّار تَعَجُّب استحالة ، ومن المؤمنين تَعَجُّب تعظيم القُدْرَة الباهرة . ووقع التَمَدُّح بتشريف النبى ﷺ ، وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه . ولو كان الإسراء إلى مكانٍ زائدٍ على المسجد الأقصى لذكره تعالى فيكون ذِكْرُه أبلغ فى المدح من عدم ذكره فيه .

وأَجاب الأئمة عن ذلك بأَن استدرجهم إلى الإيمان بذكر الإسراء أَولًا ، فلمَّا ظهرت أَمَارات صِدْقِه ، وصَحَّت لهم براهينُ رسالتِه ، واستأْنسوا بتلك الآية الخارقة ، أَخبرهم بما هو أَعظم منها ، وهو المِعْرَاج ، فَحَدَّثهم النبى ﷺ به ، وأَنزله الله تعالى فى سورة النَّجْم . ويُؤَيِّد وقوع المِعْرَاج عَقِب الإسراء فى ليلة واحدة رواية ثابت عن أَنس رضى الله عنه عند مسلم : « أُتِيتُ بالبُرَاق فَرَكِبْتُهُ حتى أَتيتُ بيت المقدس » ، فذكر القصة إلى أَن قال : « ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السماء الدنيا » وحديث أَبى سعيد الخُدْرِى : بالخاء المعجمة المضمومة وبالدال المهملة – عند ابن إسحق : « فلما فَرَغْتُ مما كان فى بيت المقدس أُتِىَ بالمِعْرَاج » . فذكر الحديث . [سبل الهدى والرشاد : (٣/١٠٠)]

(٢) كذا فى المخطوط ، ولكن المراد : الإِسراء والمعراج كانا بالجسد والروح قال ابن يوسف الشامى : وهو قول الأَكثر : إنه كان بالروح والجَسَد معًا يقظةً لا منامًا ، من مكة إلى بيت المقدس ، إلى السموات العُلا إلى سِدْرة المنتهى إلى حيث شاء العَلِىّ الأَعلى .

قال القاضى وغيره : « وهو الحق وعليه تدل الآية نَصًّا وصحيح الأَخبار استفاضةً ولا يُعْدَل عن الظاهر من الآية والأخبار الواردة فيه ، ولا عن الحقيقة المتبادرة إلى الأذهان من أَلفاظهما ، إلى التأْويل ، إلا عند الاستحالة وتَعَذُّر حَمْل اللفظ على حقيقته ، وليس فى الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة تُؤْذِن بتأْويل ، إذ لو كان منامًا لقال : سبحان الذى أَسرى بروح عبده ، ولم يقل : بِعَبْدِه ، والعبد حقيقةً هو الروح والجسد ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ أى ما عَدَل عن رؤية ما أُمِر برؤيته من عجائب الملكوت وما جَاوَرَها لصراحة ظاهرة فى كونه بجسده يقظةً لأنه أَضاف =

وهو قول عمر بن الخطاب ، وابن مسعود ، وأبى ذَرّ ، ومالك بن صَعْصَعَة ، وجابر بن عبد الله ، وحُذَيْفَة ، وابن عَبَّاس ، وأنس بن مالك ، وأبى هريرة ، وأبى حَبَّة البدرىّ .

وبه قال من التابعين وغيرهم : سعيد بن المُسَيَّب ، وسعيد بن جُبَيْر ، وقَتَادَة ، والضَّحَّاك ، وابن شهاب ، والحسن ، وإبراهيم ، وابن زيد ، ومسروق ، ومجاهد ، وعكرمة ، وابن جُرَيْج ، وهو دليل قول عائشة .

= الأَمر إلى البَصَر ، وهو لا يكون إلا يَقَظَةً بجسده بشهادة : ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّه الكُبْرَى ﴾ [النجم] . ولو كان منامًا لَمَا كانت فيه آية ولا معجزة خارقة للعادة تُورث صِدْقَه ، وإن كانت رؤيا الأنبياء وحيًا ، إذ ليس فيها من الأَبلغية وخَرْق العادة مافيه يقظةً . وأيضًا لو كان منامًا لما استبعده الكُفَّار ولا كَذَّبوه ، ولا ارْتَدَّ به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به ، لبُعْدِه عن ساحة العادة ، ووقوعه فى زمن يُسْتَبْعَد فيه جدًّا ، إذ مثل هذه المنامات لا يُنْكَر ، بل لم يكن منهم ذلك الاستبعاد والتكذيب ، والارتداد والافتتان إلا وقد علموا أن خَبَره إنما هو عن جسمه وحال يقظته » .

وقد روى البخارى فى باب الإسراء من صحيحه ، وسعيد بن منصور فى سننه عن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ « هى رُؤْيا عَيْن أُرِيَها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء » . زاد سعيد : « وليست رؤيا منام » .

قال الحافظ : « إضافة الرؤية للعين للاحتراز عن رؤيا القلب . وقد أَثبت الله تعالى رؤيا القلب فى القرآن بقوله : ﴿ مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ ، ورؤية العين بقوله : ﴿ مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ . وأما ما رواه ابن مَرْدَوَيه عن طريق العَوْفى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى الآية قال : « رأى أنه وصل مكة وأَصحابُه . فلما رَدَّه المشركون كان لبعض الناس فى ذلك فِتْنَة » . وما رواه ابن مردويه عن الحسن بن على رضى الله عنهما ، رفَعَه قال : رأَيتُ كأَن بنى أُمية يتعاورون مِنْبَرى هذا » ، فقال : هى « دنيا تنالهم » ، ونزلت هذه الآية ، فكلاهما إسناد ضعيف والصحيح ما تَقَدَّم ، وجزم بما قاله ابن عباس إنها رؤيا عَيْن ليلة الإسراء مجاهد وسعيد بن جُبَيْر والحَسَن ومسروق وإبراهيم وقتادة وعبد الرحمن بن زيد وغير واحد .

تنبيه : قال ابن دحية : « جنح البخارى إلى أَن ليلة الإسراء كانت غير ليلة المِعْراج لأَنه أَفرد لكل منهما ترجمة » قال الحافظ : « ولا دلالة فى ذلك على التغاير عنده ، بل كلامه فى أَول الصلاة ظاهر فى اتحادهما ، وذلك أَنه ترجم باب : كيف فُرِضت الصلاة ليلة الإسراء ، والصلاة إنما فُرِضت فى المعراج ، فدَلَّ على اتحادهما عنده ، وإنما أَفرد كُلاً منهما بترجمة لأَن كَلًا منهما يشتمل على قصة منفردة وإن كانا وقعا معًا » .

[سبل الهدى والرشاد : (٩٨/٣ - ١٠٠)] .

وهو قول مالك ، والشافعى ، وأحمد بن حنبل ، والطبرى ، وأهل السنة .

وعليه تدل الآية وصحيح الآثار والاعتبار .

ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة ، وليس فى الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة ؛ إذ لو كان منامًا لما كانت فيه آية ، ولا معجزة ، وَلَمَا استبعده الكفار ، ولا كَذَّبُوه ، ولا ارتد به كثير ممن أسلم ، وافتتنوا ؛ إذ مثل هذا من المنامات لا يُنْكَر ، بل لم / يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره ﷺ إنما كان عن جسمه ، وحال يقظته ، وذلك فى ليلة واحدة ، ورجع فيها ، ثم أصبح يقص إسراءه على قريش ، فقالت قريش : والله إن العِير لتَطَّرِدُ شهرًا من مكة إلى الشام ، ثم تقبل فى شهر ، وهذا يزعم أنه نهض إلى بيت المقدس فى ليلة ، ورجع فيها ، فكذَّبوه ، وارتد كثير ممن أسلم وسألوه أن ينعته لـهم . ٥/أ

ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة [1] قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد رأيتنى فى الحِجْر ، وقريش تسألنى عن مَسْرَاى فسألتنى عن أشياءَ . من بيت المقدس لم أثبتْها [2] فكُرِبْت كُرْبَة ماكُرِبْت [3] مثله قط » . قال : « فرفعه الله لى أنظر إليه ما يسألونى عن شىء إلا أنبأتهم به ، وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء ، فإذا موسى قائم يصلى ، فإذا رجل جَعْد ضَرْبٌ ، كأنه من رجال شَنُوءَة ، وإذا عيسى ابن مريم قائم يصلى ، أقرب الناس به شبها عُرْوَة بن مَسعود الثَّقَفِىّ ، وإذا إبراهيم عليه السلام قائمٌ يصلى ، أشبه الناس به صاحبكم ؛ يعنى

---

(١) م (١/١٥٦ - ١٥٧) (١) كتاب الإيمان ، (٧٥) باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال من طريق زهير بن حرب عن حُجَيْنُ بن المثنى ، عن عبد العزيز بن أبى سلمة عن عبد الله بن الفضل عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة به . رقم (١٧٢/٢٧٨) .

(٢) لم أُثْبِتْها : أى لم أحفظها ولم أضبطها لاشتغالى بأهم منها .

(٣) فكربت كربة ماكربت مثله قط : الضمير فى « مثله » يعود على معنى الكربة ، وهو الكرب أو الغم أو الهم أو الشىء .

قال الجوهرى : الكُربة الغم الذى يأخذ بالنفس . وكذلك الكرب ، وكَرَبَهُ الغَمّ إذا اشتد عليه .

نفسه ، فحانت الصلاة فَأَممْتهم ، فلما فرغت من الصلاة قال قائل : يا محمد ، هذا مالك صاحب النار ، فَسَلِّمْ عليه ، فالتفت إليه ، فبدأني بالسلام » .

وقد خرج البخارى ومسلم فى صحيحيهما [(١)] الفصل الأول من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « لما كَذَّبَتْنِي قريش قمت فى الحِجْر فَجَلَّى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن / آياته ، وأنا أنظر إليه » . ٥/ب

قال البخارى : زاد يعقوب بن إبراهيم قال : حدثنا ابن أخى ابن شهاب عن عمه : « لما كذبتنى قريش حين أسرى بى إلى بيت المقدس » [(٢)] . نحوه .

فهذا كله إنما كان عن جسمه وحال يقظته ، ولا خلاف بين أهل العلم بالخبر والسِّيَر أن الصلاة إنما فرضت على النبى ﷺ بمكة ليلة الإسراء حين أسرِىَ به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم عُرِج به إلى السماء ، ثم أتاه جبريل من الغد ، فصلى به الصلوات لأوقاتها ، إلا أنهم اختلفوا فى هيئتها حين فرضت ، وأنه دخل الجنة ، ورأى فيها ماذكره ، وأنه عُرِجَ به حتى ظهر بمستوًى يسمع فيه صَرِيف الأقلام ، وأنه وصل سِدْرَة المُنْتَهى .

[حديث أبى ذَرّ] :

وهذا حديث مجمع على صحته حدثنا به الشيخ الصالح النبيل الثقة أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر بن أبى الفتح الصَّيْدَلانيّ ، قراءة منى عليه فى منزله بأَصْبِهَان ؛ قال :

---

(١) خ (٣/ ٢٥٠) (٦٥) كتاب التفسير (١٧ سورة بنى إسرائيل / ٣) من طريق أحمد بن صالح ، عن ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب عن أبى سلمة ، عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله - ﷺ - به ثم قال : زاد يعقوب ... الخ . رقم (٤٧١٠) .

م : (١/ ١٥٦) (١) كتاب الإيمان (٧٥) باب ذكر المسيح ابن مريم ، والمسيح الدجال . من طريق قتيبة بن سعيد ، عن ليث ، عن عُقيل ، عن الزهرى به . رقم (٢٧٦/ ١٧٠) .

(٢) انظر تخريج الحديث السابق .

حدثتنا الحُرَّةُ الفاضِلَة أم إبراهيم أم الغيث فاطمة بنت عبد الله بن أحمد بن القاسم الجُوزْدَانِيَّة قراءة عليها وأنا أسمع قالت :

أخبرنا الشيخ الفاضل العدل أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن إسحاق بن زياد الضَّبِّي ، يعرف بابن رِيْذَة - وهو آخر من خُتِمَ عليه حديث الطَّبَرَانِيّ - قراءة عليه وأنا أسمع قال :

حدثنا الإمام الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى - قراءة عليه ، وأنا أسمع ؛ قال :

حدثنا رَوْح بن الفَرَج قال : حَدَّثَنا يحيى بن بُكَيْر قال : حدثنا الليث بن سعد ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك قال : كان أبو ذر / يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « فُرِج سقف (١) بيتى ، وأنا بمكة ، فنزل جبريل فَفَرَج صدرى (٢) ، ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطَشت (٣) من ذهب ممتلىءٍ حِكْمَةً (٤) وإيمانًا فأفرغها فى صدرى ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدى فَعَرَج (٥) بى إلى السماء .

٦/أ

---

(١) فرج سقف بيتى : أى فتح فيه فتح ، وروى « فشق » ، وقيل : الحكمة فى دخول الملائكة من وسط السقف ولم يدخلوا من الباب كون ذلك أوقع صدقًا فى القلب فيما جاءوا به .

(٢) ففرج صدرى : أى شقه ، ويروى : « شرح صدرى » ومنه قولهم شرح الله صدره ، ودعاء موسى عليه السلام فى القرآن الكريم : ﴿ رب اشرح لى صدرى ﴾ .

(٣) طست : بفتح الطاء ، هو الإناء المعروف ، وهو بالشين المعجمة فى الفارسية ، وخص الطست بذلك دون بقية الأوانى ؛ لأنه آلة الغسل عرفًا .

(٤) ممتلىء حكمة وإيمانًا : الحكمة : اسم من « حكم » بضم عين الفعل ، أى صار حكيمًا ، وهو المتقن للأمور . وأما « حكم » بفتح عين الفعل فمعناه « قضى » ، ومصدره : « حكم » بضم الحاء ، والحُكْم أيضًا الحكمة ، بمعنى العلم . والحكيم : العالم .

وقال النووى : إن الحكمة فيها أقوال مضطربة ، صُفِّى لنا منها : أن الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالأحكام المشتملة على المعرفة بالله تعالى ، المصحوب بنفاذ البصيرة ، وتهذيب النَّفْس ، وتحقيق الحق ، والعمل به ، والصد عن اتباع الهوى والباطل ، فالحكيم من حاز ذلك كله .

وقال ابن دريد : كل كلمة وعظتك ، أو زجرتك ، أو دعتك إلى مَكرُمة ، أو نهتك عن قبيح فهى حكمة .

والمراد من امتلاء الطست بالإيمان والحكمة هو أنه جعل فيها شىء يحصل به كمال الإيمان والحكمة ، فسمى حكمة وإيمانا مجازًا ، أو هو تمثيل المعنوى بالمحسوس ، ومعروف أن ذلك جائز فى اللغة ، كما يمثل الموت كبشًا .

(٥) فعرج بى : يعنى صعد ، والعروج الصعود ، يقال : عَرَج ، يعْرُج ، عُرُوجًا من باب نصر ، =

فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا : افتح . قال : من هذا ؟ قال جبريل ، قال : هل معك من أحد ؟ قال : نعم ، معى محمد . قال : فأرسل إليه ؟ قال : نعم ، ففتح .

قال : فلما عَلَوْنا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أَسْوِدَةٌ [١] ، وعن يساره أَسْوِدَة قال : فإذا نظر قِبَل يمينه ضحك وإذا نظر قِبل شماله بكى . قال : فقال : مرحبا بالنبى [٢] الصالح والابن الصالح . قال : قلت : ياجبريل من هذا ؟ قال : هذا آدم ، وهذه أَسْوِدة عن يمينه ، وعن شماله نَسَمُ بَنِيه [٣] فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسوِدَة التى هى عن شماله أهل النار . فإذا نظر قِبَلَ يمينه ضحك ، وإذا نظر قِبَلَ شِمَاله بَكَى . قال : ثم عَرَج بى جبريل حتى أتى السماء الثانية ، فقال لخازنها : افتح . قال : فقال له خازنها مثل ماقال خازن السماء الدنيا . ففتح .

قال أنس بن مالك : وذكر أنه وجد فى السموات آدم ، وإدريس ، وعيسى ، وموسى وإبراهيم ، عليهم السلام ولم يُثْبِت كيف مَنَازِلهم ، غير أنه قد ذكر أنه وجد آدم فى السماء الدنيا ، وإبراهيم فى السماء السادسة .

قال : فلما مر جبريل ورسول الله عليهما السلام بإدريس قال : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح فقلت : / من هذا ، قال : هذا إدريس . قال : ثم مررت بموسى ، فقال : مَرْحَبًا بالنبى الصالح والأخ الصالح . فقلت : من ٦/ب

= أى ارتفع وعلا .

وقال ابن سِيدَة : المعراج شبه سُلَّم تعرج عليه الأرواح ، وقيل : هو حيث تصعد أعمال بنى آدم .

(١) أَسْوِدَة : بوزن أزمنة ، وهى الأشخاص من كل شىء .

(٢) النبى الصالح : هو القائم بحقوق الله وحقوق العباد كلهم ، وقالوا له : « بالنبى الصالح » لشموله سائر الخلال المحمودة الممدوحة ؛ من الصدق والأمانة ، والعفاف والفضل ، فالصلاح شامل لسائر أنواع الخير .

(٣) نَسَمُ بنيه : النَّسَم :- بفتح النون والسين - والنَّسَمَة : الروح . وقال الخطابى : هى النفس ، والمراد أرواح بنى آدم .

هذا ؟ قال : هذا موسى قال : ثم مررت بعيسى ، فقال : مَرْحَبًا بالنبى الصالح والأخ الصالح . فقلت : من هذا ؟ قال : هذا عيسى قال : ثم مررت بإبراهيم . قال : مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح . قال : قلت : من هذا ؟ قال : هذا إبراهيم .

قال ابن شهاب : وأخبرنى ابن حزم أن ابن عباس وأبا حَبَّة الأنصارى كانا يقولان : قال رسول الله ﷺ : « ثم عرج بى حتى ظَهَرْت [1] لمستوى أسمع فيه صريف [2] الأقلام » قال ابن حزم وأنس بن مالك : قال رسول الله ﷺ : « ففرض الله على أمتى خمسين صلاة .

قال : فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال لى موسى : ماذا فرض ربك على أمتك ؟ قال : فقلت : فرض عليهم خمسين صلاة . فقال لى موسى : فراجع ربك ؛ فإن أمتك لا تُطِيق ذلك . قال : فراجعت ربى عز وجل ، فوضع شَطْرَها .

قال : فرجعت إلى موسى فأخبرته . قال : فراجع ربك ؛ فإن أمتك لا تُطِيق ذلك [3] . قال : فراجعت ربى عز وجل فقال : هى خمس ، وهى خمسون صلاة ، لا يُبَدَّلُ القول لَدَىّ .. قال : فرجعت إلى موسى . قال : فراجع ربك فقلت : قد استحييت من ربى عز وجل .

قال : ثم انطلق بى جبريل حتى أتى سِدْرَة [4] المُنْتَهَى ، قال : فغشيها ألوان ، لا أدرى ماهى .

قال : ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جَنَابِذ [5] اللؤلؤ ، وإذا تُرَابُها المِسْك » .

---

(١) ظهرت : علوت ، وارتفعت .

(٢) صريف الأقلام : تصويتها حالة الكتابة ، والمراد ماتكتبه الملائكة من أقضية الله سبحانه وتعالى .

(٣) هنا اختصار ، وفى رواية البخارى زيادة : « فراجعت ، فوضع شطرها ، فرجعت إليه ، فقال : ارجع إلى ربك ؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك » .

(٤) سدرة المنتهى : السدر : شجر النبق ، وسدرة المنتهى : شجرة فى أقصى الجنة ، إليها ينتهى علم الأولين والآخرين ، ولا يتعداها .

(٥) جنابذ اللؤلؤ : جمع جُنْبُذَة ، وهى القباب .

هذا حديث مُجْمَعٌ علَى صحته أخرجه البخارى [١] ومسلم [٢] بألفاظ متقاربة ، وأهل التصنيف فى مصنفاتهم من طرق من حديث / يونس وتابعه عُقَيْلُ بن خالد عليه ، ولا خلاف بين أهل النقل فى صحته .

٧/أ

[حديث مالك بن صَعْصَعَة] :

وحدثنى الشيخ الفقيه الإمام العالم القاضى العدل جمال العراقيين تاجُ الدين أبو الفتح محمد بن قاضى المِصْرَيْن ؛ الكوفة ، وواسط العراق أبى العباس أحمد ابن بختيار المنداى قراءة منى عليه لجميع المسند . قال :

حدثنا أمين الحَضْرَة الرئيس أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحسين الشيبانى ، قراءة عليه وأنا أسمع بالمُقْتَدِيَّة ببغداد سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة قال :

حدثنا الإمام العالم أبو على الحسن بن على ابن المُذْهِب الواعظ ، قراءة عليه ، وأنا أسمع قال : حدثنا الثقة أبو بكر أحمد بن جعفر القُطَيْعِىّ ، قراءة عليه وأنا أسمع لجميع المسند قال :

حدثنا الشيخ الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل ، قراءة عليه ، وأنا أسمع قال :

حدثنى أبى الصابرُ على المِحْنَة الناصر للسُّنَّه إملاء منه علىَّ سنة سبع وعشرين ومائتين قال :

---

(١) خ : (١٣٢/١) (٨) كتاب الصلاة - (١) باب كيف فرضت الصلوات فى الإسراء - من طريق يحيى بن بكير ، عن الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك به . رقم (٣٤٩) وطرفاه فى (١٦٣٦ ، ٣٣٤٢) .

(٢) م : (١٤٨/١ - ١٤٩) (١) كتاب الإيمان (٧٤) باب الإسراء برسول الله - ﷺ - إلى السموات ، وفرض الصلوات - من طريق حرملة بن يحيى التُّجَيْبِى ، عن ابن وهب ، عن يونس به . رقم (١٦٣/٢٦٣) .

حدثنا عَفَّان قال : حدثنا هَمَّامُ بن يَحْيَى قال : حدثنا قَتَادَة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صَعْصَعَة : أن نبى الله ﷺ حَدَّثَهم عن ليلة أُسْرِىَ به قال : « بينما أنا فى الحَطِيم »[١] ، وربما قال : « فى الحِجْر » مضطجِعًا إِذْ أَتَانى آتٍ فَقَدَّ[٢] ، فسمعته يقول : فَشَقَّ مابين هذه إلى هذه » . فقلت للجارود : وهو إلى جنبى : ما يَعنى به ؟ قال : « من ثُغْرَة نَحْرِه إلى شِعْرَتِه . وسمعته يقول : من قَصِّهِ[٣] إلى شِعرته . قال : / « فاستخرج قلبى . ثم أُتِيتُ بطَسْت من ذهب مملوءة إيمانا ، فغسل قلبى ، ثم حُشِىَ ، ثم أعيد . ٧/ب

ثم أُتِيت بدابَّة دون البَغْلِ ، وفوق الحِمَار أبيض » . فقال له الجَارُود : أهو البُرَاق يا أبا حمزة ؟ قال أنس : نعم ، يضع خطوه عند أقصى طرفه « فحملت عليه ، فانطلق بى جبريل عليه السلام ، حتى أتى بى إلى السماء الدنيا فاستفتح . فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قال : ومن معك ؟ قال : محمد : قيل : وقد أُرْسِل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مَرْحَبًا به ولَنَعِمْ المجِيءُ جَاء ، ففتح فلما خلصْتُ ، فإذا فيها آدم عليه السلام قال : هذا أبوك آدم فَسَلِّم عليه . قال : فسلمت عليه ، فَرَدَّ السلام ، ثم قال : مَرْحَبًا بالابن الصالح ، والنبى الصالح . ثم صعد بى إلى السماء الثانية ، فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أُرْسِل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مَرْحَبًا به ، فنعم المجَيءُ جاء ، ففتح . فلما خلصت فإذا يحيى ، وعيسى عليهما السلام ، وهما ابنا خالة . قال : هذا يحيى وعيسى ، فسلم عليهما . قال : فسلمت ، فَرَدَّا ، ثم قالا : مَرْحَبًا بالأخِ الصالح ، والنبى الصالح ، ثم صعد بى إلى السماء الثالثة ، فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أُرْسِلَ إليه ؟ قال : نعم . قيل : مَرْحبًا به ، فنعم المجَيء جَاء . ففتح ، فلما خلصت فإذا يوسف عليه السلام . قال :

---

(١) الحطيم : مابين باب الكعْبة إلى مقام إبراهيم عليه السلام .

(٢) فقدَّ : أى شق .

(٣) قصِّه : هو وسط صدره ، وهو ملتقى أطراف الأضلاع فى وسط الصدر .

هذا يوسف ، فسلم عليه . قال : فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح ، والنبى الصالح . ثم صعد بى حتى أتى السماء الرابعة / فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أُرْسِل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مَرْحَبًا به فنعم المجِيءُ جاء ، ففتح ، فلما خَلُصْتُ فإذا أنا بإدريس عليه السلام قال : هذا إدريس ، فسلم عليه . قال : فسلمت ، فردّ ، ثم قال : مَرْحَبًا بالأخ الصالح ، والنبى الصالح .

٨/أ

ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، فنعم المجَىءُ جاء ، فلما خَلُصْت فإذا هارون عليه السلام . قال : هذا هارون ، فَسَلِّم عليه قال : فسلمت عليه فَرَدَّ السلام . قال : مَرْحَبًا بالأخ الصالح ، والنبى الصالح .

قال : ثم صعد بى ، حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مَرْحَبًا ، فنعم المجىء جاء ، فلما خلصت فإذا موسى عليه السلام . قال : هذا موسى ، فسلم عليه . قال : فسلمت عليه ، فرد ، ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح ، والنبى الصالح ، فلما تجاوزت بكى ، فقيل له : ما يُبْكِيك ؟ قال : أبكى لأن غلامًا بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى .

ثم صعد بى إلى السماء السابعة ، فاستفتح ، فقيل من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، فنعم المجىء جاء ، ففتح ، فلما خلصت فإذا إبراهيم عليه السلام . قال : هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه . قال : فسلمت عليه ، فرَدَّ السلام ، ثم قال : مَرْحَبًا / بالابن الصالح ، والنبى الصالح .

٨/ب

ثم رُفِعت لى سِدْرَة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هَجَر ، وإذا أوراقها مثل آذان الفِيَلَةِ ، وإذا أربعة أنهار ، نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، فقلت : ما هــذا

ياجبريل ؟ فـــقال : أما الباطنان فنهران فى الجـــنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات .

ثم رفع لى البيت المعمور .

ثم أتيتُ بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، وإناء من عسل ، فأخذت اللبن ، فقال : هذه الفطرة التى أنت عليها وأمتك .

ثم فرضت علىّ الصلاة خمسين صلاة فى كل يوم ، فرجعت ، فمررت بموسى ، فقال : بم أمرت ؟ قلت أُمِرتُ بخمسين صلاة فى كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة فى كل يوم ، وإنى والله قد جربت الناس قبلك . وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك ، فسَلهُ التخفيف لأمتك . فرجعت فوضع عنى عشرًا ، فرجعت فقال مثله . فرجعت فوضع عنى عشرًا ، فرجعت إلى موسى فقال مثله . فوضع عنى عشرًا ، فرجعت إلى موسى فقال مثله . فرجعت فأُمِرْتُ بعشر صلوات كل يوم ، فقال مثله . فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى ، فقال : بم أمرت ؟ قلت : بخمس صلوات ، قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإنى جَرَّبْتُ الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، قال : لقد سألت رَبِّى حتى استحييت ولكن أرْضَى وأُسَلِّم .

فلما جاوزت نادى منادٍ : أَمْضَيْتُ فريضتى وخَفَّفْتُ عن عبادى » [1] .

وفى الرواية المقرونة برواية خليفة بن خياط [2] : « بينا أنا عند البيت بين

---

(١) خ : (٣/٦٣ - ٦٤) (٦٣) كتاب مناقب الأنصار - (٤٢) باب المعراج - من طريق هُدْبَة بن خالد ، عن همام بن يحيى ، عن قتادة ، عن أنس ، عن مالك بن صعصعة نحوه . رقم (٣٨٨٧) .
م : (١/١٤٩ - ١٥١) (١) كتاب الإيمان (٧٤) باب الإسراء برسول الله - ﷺ - إلى السموات ، وفرض الصلوات - من طريق محمد بن المثنى ، وعن ابن أبى عدى ، عن سعيد ، عن قتادة نحوه رقم (٢٦٤/١٦٤) .
ومن طريق محمد بن المثنى ، عن معاذ بن هشام ، عن أبيه ، عن قتادة نحوه . رقم (٢٦٥)
حم : (٤/٢٠٨ - ٢١٠) من طريق عفان ، عن همام بن يحيى عن قتادة به .

(٢) ستأتى هذه الرواية عند البخارى كاملة بعد قليل ، وسنخرجها عند ذلك - إن شاء الله تعالى .

النائم واليَقْظَـان » وفيه : « ثم غَـسَل البطن بماء زمزم ، ثم مُلِىءَ حكمةً وإيمانًا » .

وفيه « فَرُفِع لى البيتُ المعمور ، فسألت جبريل ، فقال : هذا البيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف مَلَكَ ، إذا خرجوا لم يعودوا ، آخرَ ما عليهم » .

قال ذو النسبين رضى الله عنه : أى آخر تكليفهم ، كما يقول : لا آتيك آخر الدهر .

ورويناه بضم الراء وفتحها كأنه قال : آخرُ ما عليهم أن يدخلوه ، والفتح فيها على الظَّرْف .

وفى آخره : « وخففت عن عبادى ، وأجزى بالحسنة عشرا » .

وفى حديث ابن أبى عَدِىّ عن سعيد : « بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان سمعت قائلا يقول : أحد الثلاثة بين الرَّجُلين فأُتِيتُ فانطُلِقَ بى ، فأُتِيتُ بطَسْت من ذهب ، فيها من ماء زمزم ، فشُرِح صدرى إلى كذا وكذا » .. يعنى إلى أسفل بطنه (١) .

وفى حديث هشام نحوه : فأُتِيتُ بِطَسْتٍ من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانًا ، فشق من النَّحْر إلى مَرَاقِّ البطن ، فغسل بماء زمزم » (٢) .

[رواية أخرى لحديث مالك بن صعصعة]

هذا حديث صحيح مجمع عليه أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق فى باب ذكر الملائكة بألفَاظ متقاربة فقال : حدثنا هُدْبة بن خالد قال : حدثنا هَمَّام ، عن قَتَادة ، وقال لى خليفة : حدثنا يزيد بن زُرَيْع قال : حدثنا سعيد ، وهشام ، قالا : حدثنا قتادة / قال : حدثنا أنس بن مالك عن مالك بن صَعْصَعَة ٩/ب

(١) انظر التخريج السابق عند مسلم . الطريق الأول .
(٢) انظر التخريج السابق عند مسلم ، الطريق الثانى .

قال النبى ﷺ : « بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان ، - وذكر بين الرَّجُلَيْن[١] - فأُتيت بطَسْتٍ من ذهب ملأى [٢] حكمة وإيمانا فشق من النحر إلى مَرَاقّ البطن [٣] ، ثم غُسل البطن بماء زمزم ، ثم ملىء حكمة وإيمانًا ، وأتيت بدابَّة أبيض دون البَغْل وفوق الحمار ؛ البراق ، فانطلقت مع جبريل ، حتى أتينا السماء الدنيا . قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل . قيل : من معك ؟ قيل محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، ولَنِعْمَ المجىءُ جاء ، فأَتيت على آدم ، فسلمت عليه ، فقال : مرحبا بك من ابن ونبىّ ، فأتينا السماء الثانية ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : من معك ؟ قال : محمد . قيل : أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، ولَنِعْمَ المجىء جاء ، فأتيت على عيسى ، ويحيى ، فقالا : مرحبا بك من أخ ونبى ، فأتينا السماء الثالثة . قيل : من هذا ؟ . قيل : جبريل . قيل : من معك ؟ . قيل : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، ولَنِعْمَ المجَىءُ جاء ، فأتيت على يوسف ، فسلمت . فقال : مرحبًا بك من أخٍ ، ونبىّ ، فأتينا السماءَ الرابعة . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : مَن معكَ ؟ قيل : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قيل : نعم . قيل : مرحبًا ، ونعم المجىء جاء . فأتيت على إدريس ، فسلمت عليه . فقال : مرحبا بك من أخٍ ونبىٍّ . فأتينا السماء الخامسة . قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قيل : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ مرحبا به ، ولَنِعْم المجىء جاء . فأتينا على هارون ، فسلمت . فقال : مرحبا بك من أخٍ ونبى ، فأتينا السماء السادسة . قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل . / قيل : من معكَ ؟ قيل : محمد . قيل وقد أرسل إليه ؟ مرحبًا به [٤] ، ١٠/أ

---

(١) يعنى : رَجُلًا بين الرَّجُلَيْن .

(٢) فى « خ » : ملآن .

(٣) فشق من النحر إلى مَرَاقّ البطن : النحر : مجتمع التراقى على الصدر ، و« مراق البطن » بتشديد القاف : أسفل البطن ، وأصلها : « مراقق » أدغمت القاف فى القاف ، وهى مَفَاعل من رقّ يرقُّ ، سميت بذلك لأنها موضع رقة الجلد ، وأولها السُّرة وهى كانت منتهى الشق .

(٤) كذا فى المخطوط ، وعليها علامة (صح) وهى كذلك فى البخارى ، وبعدها : « نِعْمَ المجىء جاء » بدون حرف العطف .

ونِعْمَ المجىء جاء . فأتيت على موسى ، فَسَلَّمْت عليه ، فقال : مرحبا بك من أخٍ ونبىٍّ . فلما جاوزت بكَى ، فقيل : ما أبكَاك ؟ قال : يارب هذا الغلام الذى بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتى . فأتينا السماء السابعة . قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل . قيل : من معك ؟ قيل : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ مرحبًا [(١)] . نِعْمَ ، ولَينعْمَ المجىءُ جاء . فأتيت على إبراهيم ، فسلمت عليه ، فقال : مرحبا بك من ابن ونبى . فرفع إلىَّ البيتُ المَعْمُور ، فسألت جبريل . فقال : هذا البيت المعمور يصلى فيه سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا لم يعودوا ، آخِرَ ماعليهم ، ورُفِعَت لى سِدْرَة المنتهى ، فإذا نَبِقُها كأنه قِلالُ هَجَر ، وورقها كأنه آذان الفُيُول [(٢)] ، فى أصلها أربعة أنْهَار ؛ نهران باطنان ؛ ونهران ظاهران . فسألت جبريل ، فقال : أما الباطنان ففى الجنة ، وأما الظاهران الفُرَاتُ والنِّيل ، ثم فُرِضَتْ عَلَىَّ خمسون صلاة ، فأقبلت حتى جئت موسى ، فقال : ماصنعت ؟ قلت : فرضت علىّ خمسون صلاة . قال : أنا أعلم بالناس منك ، عالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، وإن أُمَّتَك لا تُطِيق ، فارجع إلى رَبِّك فَسَلْه . فرجعت ، فسألته ، فجعلها أربعين ، ثم مثله ، ثم ثلاثين ، ثم مثله ، فجعل عشرين ، ثم مثله ، فجعل عشرًا . فأتيت موسى ، فقال مثله ، فجعلها خمسًا . فأتيت موسى ، فقال مثله . قلت : سَلَّمْتُ . فنودى : إنى قد أَمْضَيْت فريضتى ، وخَفَّفْتُ عن عِبَادِى ، وأَجْزِى الحسنة عَشْرًا » [(٣)] .

١٠/ب قال ذو / النسبين : وخليفة بن خَيَّاط بن خليفة بن خَيَّاط [(٤)] ، يقال

---

(١) كذا فى المخطوط ، وعليه علامة (صح) وفى البخارى : « مرحبًا به ، ولنعم المجىء جاء ....» .

(٢) جمع : فيل .

(٣) خ : (٤٢٢/٢ - ٤٢٤) (٥٩) كتاب بدء الخلق (٦) باب ذكر الملائكة - من طريق هدبة بن خالد ، حدثنا هَمَّام ، عن قتادة ، وقال البخارى : وقال لى خليفة : حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، حدثنا سعيد وهشام قالا : حدثنا قتادة به . رقم (٣٢٠٧) .

(٤) هو أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبى هبيرة خليفة بن خياط الليثى العُصْفُرِىّ الملقب بشباب ، وثقه بعض أئمة المحدثين ، وله مؤلفات منها الطبقات ، والتاريخ ، وهما مطبوعان وتوفى سنة (٢٤٠ هـ) انظر ترجمته فى مقدمة تحقيق كتاب الطبقات له (ص ١٣ - ١٤) والمراجع المبنية بها .

له : « شَبَاب » بتخفيف الباء أبو عمرو العُصْفُرِىّ البصرى ، وكنية جده خليفة أبو هُبَيْرة بضم الهاء ، أخرج البخارى فى الجنائز والدعوات عنه ، عن معتمر ، وأكثر مايقول البخارى عنه : وقال لى خليفه بن خياط . ويقول أيضا : وقال خليفة . وقد قال : حدثنى خليفة ، وقرنه بابن أبى الأسود جميعا عن مُعْتَمِر فى باب مرجع النبى ﷺ من الأحزاب ، ومخرجه إلى بنى قُرَيْظَة [(١)] .

وقال فى تفسير أول سورة البقرة : وقال لى خليفة بن خياط عن يزيد بن زُرَيْع ، وقرنه بمسلم عن هُشَيْم [(٢)] .

وقال فى الرِّدَّة : وحدثنى خليفة بن خَيَّاط ، وقرنه بمحمد بن أبى بكر [(٣)] .

على هذا رأيت أمره : إذا أفرده قال : « وقال خليفة » وإذا قرنه قال : « وحدثنى خليفة » [(٤)] .

وإنما كان ذلك كذلك لأن عبد الرحمن بن أبى حاتم قال : انتهى أبو زرعة الرازى إلى أحاديث كان أخرجها فى فوائده عن شَبَاب العُصْفُرِىّ ، فلم يقرأها علينا فضربنا عليها ، وتركنا الرواية عنه .

قال أبو حاتم الرازى : لا أحدث عن شَبَابةَ هذا ، هو غير قوى كتبت من مسنده أحاديث ثلاثة عن أبى الوليد ، فأتيت أبا الوليد ، فسألته عنها ، فأنكرها ، فقلت : كتبتها من كتاب شَبَابة العصفرى ، فعرفه ، وسكن غضبه .

قال ذو النسبين رضى الله عنه : وأكثر عنه بَقِىّ بن مَخْلَد الأندلسى ، مولى عَزَّة الجيانية ، وأدخل تاريخه الأندلس فملأ بالمنكر بلادها الدُّرُس .

---

(١) خ (٣/١١٩) (٦٤) كتاب المغازى (٣٠) باب مرجع النبى - ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بنى قريظة ، ومحاصرته إياهم - حديث رقم (٤١٢٠) .

(٢) خ (٣/١٨٩ - ١٩٠) (٦٥) كتاب التفسير (٢) سورة البقرة (١) باب قول الله - عز وجل : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ حديث رقم (٤٤٧٦) .

وفى البخارى : « مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام » فليس : « هشيم » كما ذكر المصنف .

(٣) ليس فى الرِّدَّة ، بل فى الحدود (٤/٢٥٢) رقم (٦٨٠٧) .

(٤) الأمثلة التى ذكرها المصنف لا تعطى استنتاجه هذا . وأغلب الظن أنه ليس هناك قاعدة .

١١/أ وأخرجه أيضا مسلم فى أول / صحيحه فى الإسراء [١] ورواه عن قَتَادَة سوى هَمَّام هشام الدستوائى ، وسعيد بن أبى عَرُوبة ، وأبو عَوَانَة ، وشُعْبَة وشَيْبَان النحوى ، وعِمْران بن داود ، وجماعة يَكْثُر تَعْدَادُهم – اتفقوا من رواية قتادة ، عن أنس ، عن مالك بن صَعْصَعَة ، وتابع قتادةَ عَبَّادُ [٢] بن أبى على عن أنس فيما قاله البخارى [٣] .

وخالفهم جماعة عن قتادة فلم يذكروا مالكًا فى الإسناد ، وهى من طرق أَفْرَاد لا تقاوم تلك الطرق الصحاح . ومالك هذا أنصارىّ من رَهْط أنس ، لا يعرف له إلا هذا الحديث من هذا الوجه . وقد اتفق علماء النقل على صحته .

* * *

(١) انظر تخريج الحديث ماقبل السابق (ص : ٢٧) .

(٢) فى الأصل : « عماد » وما أثبتناه من صحيح البخارى (٢/٤٧٢ – ٦٠ – كتاب أحاديث الأنبياء ٢٢ – باب قول الله تعالى : ﴿ وهل أتاك حديث موسى ﴾ رقم (٣٣٩٣) .

(٣) قال البخارى فى الموضع السابق بعد رواية هدبة بن خالد ، عن همام ، عن قتادة ، عن أنس ، عن مالك – قال : « تابعه ثابت – وعباد بن أبى على عن أنس ، عن النبى – ﷺ » .

ولكن يفهم من قول المؤلف أن عبادًا تابع قتادة **عن أنس عن مالك** بن صعصعة ، عن النبى – ﷺ . والله تعالى أعلم .

شْرح ماتقدم من غرائب اللغات

فى الأحاديث المتقدمة من رواية الثقات الأَثبات

قوله ﷺ : « **فُرِج سقف بيتى** » ؛ بتخفيف الراء ؛ أى شُقّ . وإن شُدِّدَت صارت للمبالغة فى الشَّقِّ - يعنى أن الملائكة لم يدخلوا من الموضع الذى لم يُشقَف من البيت ، بل دخلوا عليه من وسط السقف ، وانشق لهم السقف ؛ ليكون أوقع فى القلب صدقَ ماجاءوا به [١] .

وقوله : « **فنزل جبريل فَفَرَج صدرى** » وقد رويناه فى صحيح البخارى أيضا : « فَشَقَّ » مكان « فَرَج » وقيدناه فى الصحيحين أيضا : « فشرح صدرى » : أى شقه وأصله التوسعة .

وشرح الله صدره : وسعه بالبيان لذلك ، وشرحت الأمر : بيّنته وأوضحته ، وكانت قريش تشرح النساء شَرْحًا هو مما تقدم ؛ من التوسعة والبَسْط ، وهو وطء المرأة مستلقية على قَفَاهَا .

فالشرح : الكشف يقول : شرحت / الغامض ، ومنه تشريح اللحم . ١١/ب

قال الرَّاجز :

كم قد أكلت كبدًا وأنفحة   ثم اذَّخَرْتُ إِلْيَةً مشرَّحَة

(١) نقل الصالحى عن ابن دحية فى شق الصدر قوله : « يقال : لِمَ لَمْ يدخل من الباب ، مع قوله تعالى : ﴿ وأتوا البيوت من أبوابها ﴾ فالحكمة فى ذلك المبالغة فى المفاجأة ، والتنبيه على أن الكرامة والاستدعاء كانا على غير ميعاد ، ولعل كونه فرج عن سقف بيته توطئة وتمهيدًا لكونه فرج عن صدره ، فأراه الملك بإفراجه عن السقف فالتأم السقف على الفور كيفية ما يصنع به ، وقرب له الأمر فى نفسه بالمآل المشاهد فى بيته لطفًا فى حقه وتبيينا لبصره .. (سبل الهدى والرشاد ١٣٦/٣) .

وكذلك نقل هذا صاحب تاج الابتهاج (ص ٢٩) .

ثم قال الصالحى : ولعله فرج عن سقف بيته حتى لا يُعَرِّج الملك - وقد جاء فى هذا الأمر المهم العظيم على شيء سواه ، فانصب له من السماء انصبابة واحدة ، وهى خرق الحجاب .

والقطعة منه شريحة ، وكل سمين من اللحم مُمْتَدّ فهو شريحة .

وقوله : « **فأفرغها** » قيل : إن التأنيث للطَّست ؛ لأنها مؤنثة وهى فارسيَّة مُعَرَّبَة ، بدليل أنه يقال فى تصغيرها طُسَيْسَة وجمعها طَساس وطُسُوس . قال العسكرى فى التلخيص : كما يقول دَسْت ، ودسوس ؛ غير أنه لم يؤنثه فى حديث أبى ذَرَّ ، حيث قال ﷺ : « ممتلىء » ولم يقل : ممتلئة ، كما فى حديث قَتَادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة : أن نبى الله ﷺ قال : « فاستخرج قلبى ثم أتيت بطَسْت من ذهب مملوءة إيمانًا » .

وفى حديث هُدْبَة بن خالد قال : حدثنا هَمَّام عن قتادة بالسند المذكور فى الصحيحين . وفيه : « فأُتِيت بطَسْت من ذهب ملأى حكمة وإيمانا » ... الحديث بطوله . وقد تقدم آنفا .

وفى صحيح البخارى : « فأفرغه » .

وفى صحيح مسلم : « فأفرغها » كما فى رواية الطبرانى .

والطِّشت يقال بفتح الطاء وبكسرها ، حكى الكسر ابن الأنبارى فى « كتاب التذكير والتأنيث » عن اللغوى الثقة أبى زيد الأنصارى .

قال أبو عُمَر : وهى الطَّسَة . والطِّسَه لغتان ؛ يعنى الطشت .

وقال الفراء : يقال هى « الطَّسَة » أكثر كلام العرب « والطس » ، ولم يسمع من العرب الطست إلا فى ضرورة الشعر .

١٢/أ قال ذو النسبين رضى الله عنه / : بل سُمع يافرّاء فى غير ضرورة الشِّعْر ، وثبت فى الصحيحين عن سيد العرب والعجم محمد ﷺ ، وقد تقدم آنفا وأنشد الفراء فى الشعر .

أإن رأيتِ هامتى كالطَّسْت   جعلتِ ترمينى بقول بَهْتِ

وطاست نفسه إذا تغيرت من أكل الدَّسَم . والطاس : إناء من زجاج واسع . قاله الحربى .

والطيس العدد الكثير .

وقيل التأنيث للحكمة . ويجوز أن يكون لهما جميعا ؛ اكتفى بذكر أحدهما عن الأخرى ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها ﴾ (١) ولم يقل ينفقونهما ، فأخرج الكناية عن أحد النوعين .

أنشد سيبويه فى باب الفاعلين المفعولين لقَيْس بن الحَطِيم :

نحن بما عندنا ، وأنت بما عندك راضٍ والرأى مختلف

فقال : « راضٍ » ولم يقل : رَاضُون .

وقال شاعر الإِسلام حسان :

إنَّ شَرْخَ الشباب والشَّعرَ الأسودَ مالم يُعَاصَ كان جنونا

ولم يقل : يعاصيا .

وقوله : « **ثم أطبقه** » يعنى بالإِطباق ستر ما كان بدا بالتفريج من صدره حين غسله ، وإعادته إلى حالته الأولى . وكذا قال أنس فى صحيح مسلم : كنت أرى أَثَرَ المَخِيط فى صدر رسول الله ﷺ .

وقول ملائكة الله : « **وقد أرسل إليه ؟** » على ماثبت بإجماع من حديث أبى ذر ، ومالك بن صعصعة ، وغيرهما . وفى حديث شَرِيكٍ عن أنس : « وقد بُعِث إليه » . هذا كله أى « قد أرسل إليه » أو « بعث إليه » ليعرج / به إلى السماء ، كما وجدوا فى العلم أنه سيعرج به . وأما بعثه إلى الخلق فليس بخَفِيٍّ عليهم ، وقد كان قبل ذلك بمُدَّة مَدِيدَة ؛ لما ثبت فى صحيح البخارى عن أبى هريرة أن نبى الله ﷺ قال : « إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خِضْعَانا بقوله (٢) ؛ كأنه سِلْسِلَة على صَفْوَان ، فإذا فُزِّع عن قلوبهم ،

١٢/ب

---

(١) التوبة (٣٤) .

(٢) فى صحيح البخارى : « حضعانًا لقوله » .

قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذى قال : الحق ، وهو العلى الكبير ، فيستمعها مُسْتَرِقُ السمع . ومُسْتَرِقُ السمع هكذا بعضه فوق بعض وصفها سفيان بكفه فَحَرَفها وبدّد بين أصابعه ، فيسمع الكلمة ، فيلقيها إلى مَن تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى مَنْ تحته حتى يلقيها على لسانِ الساحرِ أو الكاهِن . فربما أدرك الشهابُ [المستمعَ] [١] قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كِذْبَة فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا وكذا فيصدَّق بتلك الكلمة التى سمعت [٢] من السماء [٣] .

ذكره البخارى فى تفسير سورة سبأ مُسْنَدًا عن الحُمَيْدِىّ ، عن سفيان ، عن عمرو ، عن عكرمة سمع أبا هريرة .

وذكره أيضا فى كتاب التوحيد عن علىّ بن عبد الله وهو ابن المدينى عن سفيان بسنده . وزاد عَلِىٌّ فى روايته إشكالًا فقال بعد قوله : كأنه سلسلة على صفوان :

قال على : وقال غيره : « يَنْفُذُهم ذلك » [٤] .

وفى رواية الكُشْمَيْهَنى : يَنْفُذُ بهم [٥] .

---

(١) [المستمع] من صحيح البخارى ، وليست فى المخطوط .

(٢) فى صحيح البخارى : « التى سمع » .

(٣) روى البخارى هذا الحديث فى ثلاثة مواضع من صحيحه :

فى (٢٤٧/٣) (٦٥) كتاب التفسير – تفسير سورة الحجر (١) باب ﴿ إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين ﴾ – من طريق على بن عبد الله ، عن سفيان ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن أبى هريرة يبلغ به النبى – ﷺ . رقم (٤٧٠١) .

وفى (٢٨١/٣ – ٢٨٢) الكتاب السابق – سورة سبأ – (١) ﴿ حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم . قالوا الحق وهو العلى الكبير ﴾ – من طريق الحميدى ، عن سفيان ، عن عمرو، عن عكرمة به . رقم (٤٨٠٠) .

وفى (٤٠٠/٤ – ٤٠١) (٩٧) كتاب التوحيد – (٣٢) باب قول الله تعالى : ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ، حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحقَّ وهو العلى الكبير ﴾ – من طريق على بن عبد الله به . رقم (٧٤٨١) .

(٤) هذه العبارة فى الرواية الأولى والثانية عند البخارى ، والمعنى : « يَعُمُّهُم ذلك » .

(٥) قال ابن حجر : « أى ينفذ الله ذلك القول إلى الملائكة ، أو من النفوذ أى ينفذ ذلك إليهم أو عليهم » (فتح ٤٦٧/١٣ ط ٢ سلفية) .

فقوله فى الملائكة « خِضْعَانا » بكسر الخاء لأكثرهم . وعند أبى / محمد ١٣/أ الأُصَيْلِىّ عن المَرْوَزِى بضمها ، وهما مصدران [١] كالوِحدان والكُفران ، وهو التَّذَلُّل ، وقد يكون بالضم صفة للملائكة وحالًا منهم ، وجوز بعضهم فيه الفتح . والخضوع : الرضا بالذُّلّ ويقال : خضع هو ، وخضعته مُتَعَدٍّ ، ولازم .

وقوله ﷺ : **كأنه سِلْسِلَة على صَفْوَان .**

والصَّفْوان ساكنة الفاء : الصَّخْرَة التى لا تراب عليها .

« وقال على : وقال غيره : على صَفَوَان يَنْفُذُهم » بفتح الفاء فظُنَّ أن ذلك هو موضع الاختلاف ، وليس كذلك . إنما الاختلاف فى زيادة قوله : « يَنْفُذُهم » بدليل أنه لم يروه الحميدى عن سفيان ، وهو أثبت الناس فيه ، وأكثرهم تقييدًا لحديثه ، وأشهرهم بملازمته .

ولم يرو الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن معقل النسفى عن البخارى لفظة « صفوان » جملة ، وإنما قال ، وقال غيره : « ينفذهم ذلك » .

وصَفْوَان جمع صَفْوَانة ، كقولك مَرْجَان ومَرْجَانة وسَعْدَان وسَعْدَانة .

قال الحوفى : ويجوز صَفْوان وصِفْوَان ؛ كوَرْل ووِرْلَان وأخ وإِخْوان . ويجوز أن يكون واحدًا ، وجمعًا .

قال ذو النسبين رضى الله عنه : إذا ثبت أن الواحد صَفْوَانة ، مثل مَرْجَانة ، كما ذكر ، فلا يجوز أن يكون صَفْوَان إلا جَمْعًا ، ولو أنهم لم يقولوا إلا « صَفْوَان » لجاز أن يكون واحدًا ، وجمعا ؛ كالدَّفْلَى ، يقال هذه دَفْلَا للواحدة من هذا النبات ، وهذه دَفْلَا للجماعة منها ، وكذلك / القَصْبَا والحَلْفَا عند ١٣/ب سيبويه .

وقال الكسائى : صَفْوَان واحد ، وجمعه صِفِىّ كَعِصِىّ وأُنْكِر عليه . وقيل : إنما صِفِىّ كعِصِىّ جمع صَفًا ، وكذلك من قال : يجمع صَفوان على صِفوان بكسر الصّاد ، إنما هو جمع صَفًا بمنزلة وَرَل وَوِرْلان ، وكَرًا ، وكِرْوَان .

---

(١) كذا بالأصل ، والمراد على الوجهين : الكسر والضم .

فصل

وقد تعلقت المُشَبِّهة بهذا الحديث ، وقالوا : كلام الله يشبه أصوات الصواعق التى تَقْتُل ، ورووا فى ذلك حديثا مَوْضوعًا من رواية على بن عاصم [١] ، عن الفضل بن عيسى [٢] . والفضل عندهم رجل سُوء ، قَدَرِىّ ، ليس بشىء ، وعلىٌّ متروك . قال يزيد بن هارون : مازلنا نعرفه بالكذب .

وأما هذا الحديث الصحيح الذى فيه : « كأنه سِلْسِلَة على صَفْوَان » فهو عائد على صوت ضرب الملائكة بأجنحتها ، فضربها بأجنحتها له صوت متدارك ، كأنه سلسلة حديدٍ على صخرة ، فله دَوِىٌّ شديد .

وقوله جل وعلا : ﴿ حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم ﴾ [٣] أى حتى إذا جُلِّىَ عن قلوبهم ، وَكُشِفَ عنهم الفَزَع ، وذهب .

قال مجاهد : كُشِفَ عنها الغطاء ، وإنما يُفَزَّع عن قلوبهم من غَشْيَة تصيبهم عند سماع كلام الله بالوحى . قال ذلك ابن مسعود . ومسروق ، وسعيد .

والقُرَّاء يقرءون ﴿ فُزِع عن قلوبهم ﴾ بضم الفاء وكسر الزاى . وفَتَحَها ابن عامر ، فالضم على مالم يسم فاعله ، والفتح على تسمية الفاعل .

وفيه كلام كثير للمفسرين ، وقد فسرنا ماصح بأحسن تفسير وتبيين .

وأخرجه مسلم فى صحيحه من / طريق ابن شهاب حدثنى على بن حسين أن عبد الله بن عباس قال : أخبرنى من أصحاب النبى ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة ، مع رسول الله ﷺ ، رُمِى بنجم فاستنار ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « ماذا كنتم تقولون فى الجاهلية ، إذا رُمى بمثل هذا ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، كنا نقول : ولد الليلة رجل عظيم ، ومات رجل عظيم . فقال رسول الله ﷺ : « فإنها لا يُرْمَى بها لموت أحدٍ ، ولا لحياته . ولكنّ ربّنا تبارك وتعالى

١٤/أ

---

(١) انظر ترجمته فى ميزان الاعتدال (١٣٥/٣) .

(٢) انظر ترجمته فى ميزان الاعتدال (٣٥٦/٣) .

(٣) سبأ : (٢٣) .

إذا قضى أمرًا سبّح حملة العرش ، وسبح أهل السماء الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا ، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ماذا قال . فيستخبر بعض أهل السموات بعضا . حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا ، فَتَخْطَف الجِنُّ السمع فَيَقْذِفُون إلى أوليائهم ويرمون ، فما جاءوا به على وجهه فهو حق ، ولكنهم يَقْرِفُون فيه ويزيدون » [١] .

وله طرق في صحيح مسلم .

قوله : « **يَقْرِفُون فيه** »

وفي رواية الأَوزاعي : « يَقْذِفُون » بالذَّال المعجمة [٢] وهو الصحيح ، أى يتقوَّلون ويكذبون . وأصل القذف الرمى بالشيء ، وقَذْفُ السّب رمى الإنسان بالفاحشة ، ويكون من التقول بالظن ، والترجيم ؛ كما قال جَلّ مِن قائل : ﴿ ويَقْذِفُون بالغيب من مكان ﴾ [٣] أى يَرْجُمُون ويَتَقَوَّلون .

وأما رواية « يَقْرِفُون » بالراء : يقال : / قَرَف يَقْرِف قَرْفًا والقَرْفُ الكذب ، ١٤/ب والتهمة ، من قَرَفْتُك ؛ أى مِنْ تَهِمْتُك . ويقال : قَرَف الذنب ، واقْتَرَفَه إذا عمله ، وأصله الاكتساب . قال الله العظيم : ﴿ ومن يقترف حسنة ﴾ أى يكتسب ، فالقرف هاهنا - والله أعلم - التهمة ، فمعناه : يوهمون زِيَادَة ، ويُلْقُون فى الأوهام .

---

(١) م (٤/١٧٥٠ - ١٧٥١) (٣٩) كتاب السلام (٣٥) باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان - من طريق حسن بن على الحلْواني ، وعبد بن حميد ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن صالح ، عن ابن شهاب به . رقم (٢٢٢٩/١٢٤) .

ومن طريق زهير بن حرب عن الوليد بن مسلم عن أبي عمرو الأوزاعى .

ومن طريق أبي الطاهر وحرملة ، عن ابن وهب ، عن يونس .

ومن طريق سلمة بن شَبِيب ، عن الحسن بن أَعْيَن ، عن معقل بن عبيد الله - كلهم عن الزهرى به (الرقم السابق) .

(٢) كذا بالأصل ، ولكن الذى فى مسلم ، فى رواية الأوزاعى : « يقرفون » والله تعالى أعلم .

(٣) سبأ : (٥٣) ﴿ ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ﴾ .

ورواية الذال أوجه وأعرف .

والأَسْوِدَة : الأشخاص جمع سواد ، مثل قَذَال وأَقْذِلَة ، كأفْرِخَةَ فى جمع فِرَاخ . والأَسَاوِد : جمع الجمع قال الأعشى :

تَنَاهَيْتُمُ عَنَّا ، وقد كان فيكم أَسَاوِدُ صَرْعَى ، لم يُوَسَّدْ قَتيلُها

والسَّوَاد الشخص يترآى لك من بُعْدٍ ، لا يتحقق حقيقته ، أو جمع سواد من الناس ، وهم الجماعة ، ومنه قوله : عليكم بالسواد الأعظم : أى الجماعة المجتمعة على طاعة الإمام ، وسبيل المؤمنين .

وأهل السواد هو ما حول كل مدينة من القُرَى ، وكأنها الأشخاص والمواضع العامرة بالناس والشجر بخلاف ما لا عمارة فيه .

والنَّسَمَ الأجساد المصورة فى صورة الإنسان جمع نَسَمَة . وقال الجوهرى : النَّسَمَة : النَّفْس ، والرُّوح ، والبدن . وقال الخليل : النَّسَمَة : الإنسان .

وقوله ﷺ عن جبريل عليه السلام فى الأَسْوِدَةِ التى رأى داخل السماء الدنيا : « **فأهل اليمين منهم أهل الجنة . والأَسْوِدَةُ التى عن شماله أهل النار** » .

١/١٥ وقد تخيل بعض الجهلة أن كون نَسَم أهل / النار فى السماء الدنيا مناقض للكتاب والسنة .

أما الكتاب العزيز فقوله تبارك وتعالى : ﴿ حتى إذا جاءتهم رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهم قالوا : أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضَلُّوا عَنَّا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ إلى قوله جل وعلا : ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تُفَتَّح لهم أبواب السماء ولا يَدْخلون الجنة حتى يَلِج الجَمَل فى سَمِّ الخياط وكذلك نجزى المجرمين ﴾ [١] ﴿ سَمِّ الخياط ﴾ : ثقب الإبرة و ﴿ مِهَاد ﴾ [٢] : فراش .

---

(١) الأعراف : (٣٧ - ٤٠) .

(٢) هذه الكلمة فى الآية التالية لهذه الآيات . رقم (٤١) وكذلك كلمة ﴿ غواش ﴾ التى بعد هذه الكلمة .

﴿ غواشٍ ﴾ جمع غاشية ، أى ما يَغْشاهم من النار .

مع حديث البَرَاء بن عازب : « أن روح الكافر إذا مات تخرج معها كأنتن جيفة وُجِدت على وجه الأرض فيَصعدون بها فلا يمرون بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا : ماهذه الروح الخبيثة ؟ فيقولون : فلان ابن فلان ، بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا ، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون بها ، ولا يفتح لهم .

ثم قرأ رسول الله - ﷺ - : ﴿ لا تُفَتَّح لهم أبوابُ السماءِ ولا يَدْخُلون الجنة حتى يَلِجَ الجَمَلُ فى سَمِّ الخِيَاط وكذلك نَجْزِى المجرمين ﴾ [1] قال : ثم يقول : اكتبوا كتابه فى سِجِّين فى الأرض السُّفْلَى ، فتُطْرَح روحه طَرحا ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ ومن يُشْرِكْ بالله فكأَنَّما خرَّ من السماءِ فَتَخْطَفُه الطير أو تَهْوِى به الرِّيحُ فى مكان سَحِيق ﴾ [2] الحديث الطويل [3] .

وله طرق كثيرة تهمم بتخريج طرقه على بن معبد عن البراء فى « كتاب الطاعة والمعصية » .

حدثنى به مؤرخ الأندلس وبقية المحدِّثين / بها الشيخ الفقيه أبو القاسم خَلَف بن أبى مَرْوَان الأنصارى ، قال : سمعت جميعهُ على الفقيه المفتى أبى محمد بن عَتَّاب إلا الجزء الأول ، فهو إجازة . ١٥/ب

وأخبرنى بجميعه عن أبيه عن أبى بكر التُّجِيبىّ عن أحمد بن مُطَرِّف ، عن سعيد بن عثمان الأَعْنَاقِى ، عن نصر بن مرزوق ، عن على بن معبد رحمه الله ، وكان شيخه يمسك أصله علينا .

واستفدت لمَّا رحلت إلى المشرق ، ودخلت العراق ، وقرأت فى مسند إمام

---

(١) الأعراف : (٤٠) .

(٢) الحج : (٣١) .

(٣) حم (٤/٢٨٧ - ٢٨٨) من طريق أبى معاوية ، عن الأعمش ، عن منهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب به فى حديث طويل .

مجمع الزوائد (٣/٤٩ - ٥٠) كتاب الجنائز - باب السؤال فى القبر . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

أهل السنة ، الصابر على المحِنَة ، أبى عبد الله أحمد بن حنبل فى مسنده ، وهو أربعون ألف حديث بزيادات ابنه عبد الله - على بقية مشايخ العراق ، القاضى العدل الفقيه المحدِّث تاج الدين أبى الفتح محمد بن أحمد ، نحو سماعه لجميعه على العدل الرئيس أبى القاسم بن الحُصَين نحو سماعه لجميعه ، على الثقة المحدث أبى على ابن المُذْهِب بحق سماعه لجميعه من الثقة أبى بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعى ، نحو سماعه لجميعه من العدل الإمام أبى عبد الرحمن عبد الله بحق سماعه من أبيه الإمام أبى عبد الله ، قال : حدثنا عبد الرَّزَّاق قال : حدثنا مَعْمَر ، عن يونس بن خَبَّاب ، عن المنهال بن عمرو عن زَاذَان عن البَرَاء بن عَازِب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى جنازة ، فجلس رسول الله ﷺ على القبر / وجلسنا حوله ؛ كأن على رؤوسنا الطير ، وهو يُلْحَد له ، فقال : « أعوذ بالله من عذاب القبر » ثلاث مرار . ١٦/أ

ثم قال : « إن المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة ، وانقطاع من الدنيا ، نزلت إليه الملائكة ؛ كأن على وجوههم الشمس ، مع كل واحد منهم كَفَنٌ وحَنُوط [١] ، فجلسوا منه مَدّ بصره ، حتى إذا خرج روحه ، صلى عليه كل مَلَك بين السماء والأرض ، وكل مَلَك فى السماء ، وفتحت أبواب السماء ، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يُعْرَج بروحه من قِبَلِهم ، فإذا عُرِجَ بروحه ، قالوا : رب عبدك فلان . فيقول : « أرجعوه ، فإنى عهدت إليهم أنِّى منها خلقتهم ، وفيها أُعيدهم ، ومنها أُخرجهم تارة أُخْرَى » . قال : فإنه يسمع خَفْقَ نِعال أصحابه ، إذا وَلَّوا عنه ، فيأتيه آتٍ ، فيقول : من ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟ فيقول : ربى الله ، ودينى الإسلام ، ونبيى محمد ﷺ فينتهره ، فيقول : من ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟ وهى آخر فتنة ، تعرض على المؤمن ، فذلك حين يقول الله : ﴿ يُثَبِّتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ [٢] فيقول : ربى الله ، ودينى الإسلام ، ونبيّى محمد ﷺ ، فيقول له :

---

(١) الحنوط : طيب يوضع للميت .

(٢) إبراهيم : (٢٧) .

صدقت . ثم يأتيه آتٍ حسن الوجه ، طَيِّب الريح ، حسن الثياب ، فيقول : أَبْشِر بكرامة من الله ، ونَعِيم مُقِيم ، فيقول : وأنت فبشرك الله بخيرٍ ، من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الصالح / كنت والله سريعًا فى طاعة الله بطيئًا عن معصية الله ، فجزاك الله خيرا . ١٦/ب

ثم يفتح له باب من الجنة ، وباب من النار ، فيقال : هذا كان منزلك لو عصيت الله أبدلك الله به هذا ، فإذا رأى مافى الجنة قال : ربِّ عجل قيام الساعة ، كيما أرجع إلى أهلى ومالى فيقال له : اسكن .

وإن الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزلت عليه ملائكة غِلاظٌ شِدَادٌ فانتزعوا روحه ؛ كما يُنتزع السَّفُّود [1] الكثير الشُّعَب من الصوف المبتل ، وتنزع روحه مع العروق فيلعنه كل مَلَك بين السماء والأرض ، وكل ملك فى السماء ، وتغلق أبواب السماء ، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن لا يُعْرَج بروحه من قِبَلِهم ، فإذا عرج بروحه ، قالوا : ربِّ فلان عبدك قال : « ارجعوا ؛ فإنى عهدت إليهم : أنِّى منها خلقتهم وفيها أُعِيدهم ، ومنها أُخْرِجهم تارةً أخرى » .

قال : فإنه ليسَمع خَفْقَ نِعَال أصحابه إذا وَلَّوا . قال : فيأتيه آت ، فيقول : مادينك ؟ من ربك ؟ من نبيك ؟ فيقول : لا أدرى . فيقول : لا دَرَيْت ، ولا تَلَوْت ، فيأتيه آتٍ قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول : أبشر بهوان من الله ، وعذاب مقيم . فيقول : وأنت بشرك الله بالشر ، من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث ، كنت بطيئًا عن طاعة الله ، سريعا فى معصية الله ، فجزاك الله شرًّا ثم يقيض له أعمى أصم أبكم فى يده مِرْزَبَّة ، لو ضرب بها جبل كان ترابًا ، [فيضربه ضربة حتى يصير ترابًا ، ثم يعيده الله كما كان] [2] فيضربه ضربة أخرى ، فيصيح صيحة يسمعه كل / شىء إلا الثقلين . ١٧/أ

قال البراء بن عازب : « ثم يفتح له باب من النار ، ويُمهَّد من فرش النار » [3] .

---

(١) السَّفُّود : حديدة يُشوى بها .
(٢) مابين المعكوفين من مسند أحمد ، وليس فى الأصل .
(٣) حم (٤/٢٩٥ - ٢٩٦) من طريق عبد الرزاق به .
ورجاله رجال الصحيح .

وقد أخرجه الإمام أحمد قبل هذا فى مسند الكوفيين فقال : حدثنا أبو معاوية قال : حدثنا الأعمش عن مِنْهَال بن عمرو ، عن زَاذَان عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع النبى ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ، ولَمَّا يُلْحَد ، فجلس رسول الله ﷺ ، وجلسنا حوله ، كأن على رؤوسنا الطير ، وفى يده عُود يَنْكُت به فى الأرض فرفع رأسه ، فقال : استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين ، أو ثلاثا .

ثم قال : « إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء ، بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، معهم كَفَنٌ من أكفان الجنة ، وحَنُوطٌ من حَنُوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مَدَّ البصر ، ثم يجىء مَلك الموت ، حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الطيبة ، اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء ، فيأخذها ، فإذا أخذها ، لم يَدَعُوها فى يده طرفة عين ، حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن ، وفى ذلك الحَنُوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها ، فلا يمرون - يعنى بها على مَلأٍ من الملائكة إلا قالوا : ماهذا الريح الطيب ؟ فيقولون : فلان ابن فلان ، بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا ، حتى ينتهوا / بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له ، فيفتح له ، فَيُشَيِّعُه من كل سماء مُقَرَّبُوها ، إلى السماء التى تليها ، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين ، وأعيدوه إلى الأرض ؛ فإنى منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى .

١٧/ب

قال : فتعاد روحه فى جسده ، فيأتيه ملكان ، فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : دينى الإسلام فيقولان له : ماهذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله . فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله ، وآمنت به ، وصدقت . فينادى منادٍ من السماء : أن قد صدق عبدى ، فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابًا إلى الجنة قال : فيأتيه من روحها وطيبها فيفسح له فى قبره مَدّ بصره . قال : ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول :

أبشر بالذى يَسُرُّك ، هذا يومك الذى كنت تُوعَد ، فيقول له : منِ أنت ، فوجهك الوجه يجىء بالخير ؟ فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول : رب أَقِم الساعة ، رب أقم الساعة ، حتى أرجعَ إلى أهلى ومالى .

قال : وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه ، معهم المُسُوح ، فيجلسون منه مَدَّ البصر ، ثم يجىء ملك الموت ، حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة ، اخرجى إلى سَخَطٍ من الله ، وغضب . قال : فتفرق فى جسده / فينتزعها ، كما ينتزع ١٨/ب السَّفُّود من الصوف المبلول فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدَعُوها فى يده طَرْفَة عين ، حتى يجعلوها فى تلك المسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا : ماهذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان ابن فلان ، بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا ، فيستفتح له ، فلا يفتح له . ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ لاَ تُفَتَّح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يَلِج الجمل فى سَمِّ الخِيَاطِ ﴾ (١) .

فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى ، فتطرح روحه طَرْحًا . ثم قرأ : ﴿ ومن يشرك بالله فَكَأَنَّما خَرَّ من السماء فَتَخْطَفُه الطير أَوْ تَهْوِى به الريح فى مكان سَحِيقٍ ﴾ (٢) فتعاد روحه فى جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه ، هاه ، لا أدرى . فيقولان له : مادينك ؟ فيقول : هاه ، هاه ، لا أدرى . فيقولان له : ماهذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هاه ، هاه ، لا أدرى ، فينادى منادٍ من السماء : أن كذب فافرشوه من النار ، وافتحوا له بابًا من النار ، فيأتيه من حَرِّها وسَمُومِها ، ويضيق عليه قبره ، حتى تختلف أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، مُنْتِن الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسوؤك ، هذا يومك

---

(١) الأعراف (٤٠) .

(٢) الحج : (٣١) .

الذى كنت تُوعَد . فيقول : من أنت ، فوجهك الوجه يجىء بالشر ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث ، فيقول : رب لا تُقِم الساعة » [(١)] .

١٨/ب قال الإمام أحمد : حدثنا ابن نُمَيْر ، قال : حدثنا الأعمش / قال : حدثنا المِنْهَال بن عَمْرو عن أبى عمرو زاذان قال : سمعت البَرَاء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ، ولمَّا يلحد . قال : فجلس رسول الله ﷺ ، وجلسنا معه . فذكر نحوه ، وقال : « فينتزعها تنقطع معها العروق والعصب » [(٢)] .

قال الإمام أحمد : وكذا قال زائدة : حدثنا الأعمش .

وهذا حديث صحيح .

قول الملائكة : « لا دَرَيْت ولا تَلَوْت » : على مارواه الإمام أحمد ؛ أى لم تدر ، ولم تَتْلُ القرآن ، فلم تنتفع بدرايتك وتلاوتك .

وهذه الرواية أحسن الروايات ، وإن كان ثبت فى الصحيحين : « ولاتليت » قال النحويون : الأصل فى هذه الكلمة الواو ، قلبت ياء ؛ ليتَّبع بها « دريت » .

وقد تكلم عليها ابن الأنبارى بكلام لا يصححه النقل ، ولا يقبله العقل .

وقول المسئول : « هاه ، هاه » هى حكاية صوت المَبْهُور من تَعَبٍ أو جَرْى أو حِمْلٍ ثقيل .

فلا يصح من آدم ﷺ مع كونه ﷺ على أتم أحوال الإِيمان أن يبكى رحمة للكفار ، ولا يرحم الأنبياءُ المشركين بالله المعاندين له . قال الله تعالى فى صفة إبراهيم عليه السلام : ﴿ وما كان استغفارُ إبراهيمَ لأبيه إلا عن مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إيَّاه فلما تَبَيَّنَ له أنه عَدُوٌّ لله تَبَرَّأَ منه ، إن ابراهيم لأوَّاهٌ حليمٌ ﴾ (٣) .

---

(١) سبق تخريجه فى الحديث الذى قبل السابق .

(٢) حم (٢٨٨/٤) .

(٣) التوبة : (١١٤) .

وثبت بنقل العدل عن العدل عن رسول الله / ﷺ قال : « يلقى إبراهيم أباه ١٩/أ
آزر يوم القيامة ، وعلى وجه آزر قَتَرَةٌ وغَبَرَة ، فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصنى ؟ فيقول أبوه : فاليوم لا أَعْصِيك ، فيقول إبراهيم : يارب ، إنك وعدتنى أن لا تخزينى يوم يبعثون ، فأى خِزْيٍ أخزى من أبى الأبعد . فيقول الله تعالى : إنى حَرَّمْتُ الجنة على الكافرين ، ثم يقال : ياإبراهيم ، ماتحت رجليك ، فينظر فإذا هو بذِيخٍ ملتطخ ، فيؤخذ بقوائمه ، فيلقى فى النار » (١) .

قوله : « بذِيخ » بكسر الذال بعدها ياءُ مُثَنَّاة من أسفلها بعدها خاء معجمة ، وهو ذكر الضباع .

ومعنى ملتطخ أى بالطين ، أو برجيعه ، كما قال فى الحديث الآخر الصحيح : بذيخ أمْدَر أى مُتَلُّوث بالمَدَر .

وقال فى صفة محمد ﷺ : ﴿ بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ جاهد الكفارَ والمنافقين واغْلُظ عليهم ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يُوَادُّون من حَادَّ اللهَ ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإِيمان ﴾ (٤) فبيَّن أن الإيمان لا يكتب إلا فى قلب بَايَن وُدّ الكافر ، ومحبته والحُنُو عليه .

وفى الكتاب العزيز من هذا كثير ، فكانت تلك الأسودة نسم بنيه الذين آمنوا ، ثم انهمكوا فى المعاصى ، فبكى رحمة لهم لعقوبتهم بعصيان الملك الجبار ، وإن كان لابد لهم من الخروج من النار بشفاعة النبى محمد المختار (٥) .

---

(١) خ (٤٥٩/٢) ، (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء ، (٨) باب قول الله تعالى : ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾ - من طريق إسماعيل بن عبد الله ، عن عبد الحميد أخيه ، عن ابن أبى ذئب ، عن سعيد المقبُرى ، عن أبى هريرة به - (٣٣٥٠) طرفاه فى (٤٧٦٨ ، ٤٧٦٩) .

(٢) التوبة : (١٢٨) .

(٣) التحريم : (٩) والتوبة : (٧٢) .

(٤) المجادلة : (٢٢) .

(٥) لم يجب المصنف على تصور بعض الجهلة أن الحديث معارض للأحاديث والآيات إلا بهذه =

....

= الإشارة وقد رد الصالحي باستفاضة فقال : وظاهر قوله في رواية آدم : « تُعْرَض عليه أَرواح ذُرِّيته » إلى آخره أَن أَرواح بني آدم من أَهلِ الجنة والنارِ في السماء . قال القاضي : « وهو مُشْكِل ، فقد جاء أَن أَرواح المؤمنين [مُنَعَّمة] في الجنة وأَن أَرواح الكُفَّار في سِجِّين ، فكيف تكون مجتمعة في السماء ؟ وأَجاب بأَنه يُحْتَمَل أَنها تُعْرَض أَوقاتًا فصادف وقت عَرْضها مرور النبي ﷺ ، ويدل على أَن كونهم في النار في أَوقات دون أَوقات قوله تعالى : ﴿ النَّارُ ، يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وعَشِيًّا ﴾ ، واعْتُرِض بأَن أَرواح الكفار لا تُفْتَح لهم أَبواب السماء كما هو نص القرآن » ، والجواب ما أَبداه القاضي احتمالًا أَن الجنة كانت في جهة يمين آدم والنار كانت في جهة شماله وكان يُكْشَف له عنهما .

وقال الحافظ : « ويُحْتَمَل أَن النَّسَم المَرْئِيَّة هي التي لم تدخل الأَجساد بعد وهي مخلوقة قبل الأَجساد ومستقرها عن يمين آدم وشِمَاله ، وقد أُعْلِم بما سيصيرون إِليه فلذلك كان يستبشِر إِذا نظر إِلى من على يمينه ، ويحزن إِذا نظر إِلى من على يساره ، بخلاف التي في الأَجساد فليست مُرَادَة قطعًا ، وبخلاف التي نُقِلت من الأَجساد إِلى مستقرها من الجنة أَو النار فليست مُرَادَة أَيضًا فيما يظهر ، وبهذا يندفع الإِيراد ، ويُعْرَف أَن قوله : « نَسَمُ بنيه » عام مخصوص أَو أُرِيد به الخصوص » . انتهى .

وقال في الفتح في باب المعراج : « وظهر لي الآن احتمالٌ آخر وهو أَن يكون المراد مَنْ « خَرَجتْ من الأَجساد لا أَنها مستقرة ولا يلزم من رؤية آدم لها وهو في السماءِ الدنيا أَن تُفْتَح لها أَبواب السماء ولا أَن تَلِجَها ، ويؤيد هذا ما رواه ابن إِسحاق : فإِذا أَنا بآدم تُعْرَض عليه أَرواح ذريته المؤمنين فيقول : روحٌ طَيِّبة ونَفْسٌ طَيِّبَة اجعلوها في علِّيِّين ، ثم تُعْرَض عليه أَرواح ذريته الفُجَّار فيقول : روحٌ خبيثة ونَفْسٌ خبيثة اجعلوها في سِجِّين . وفي حديث أَبي هريرة : فإِذا عن يمينه باب يخرج منه ريحٌ طَيبة وعن شِماله باب يخرج منه ريحٌ خبيثة ، فهذا لو صَحَّ لكان المصير إِليه أَولى من جميع ما تقدم ولكن سنده ضعيف ، وظاهره عدم اللزوم المتقدم » انتهى .

وقال السهيلي : « فإِذا قيل كيف رأَى عن يمينه أَصحاب اليمين ؟ ولم يكن إِذا ذاك منهم إِلا نفر قليل ، ولعله لم يكن مات تلك اللدنة منهم أَحد ، وظاهر الحديث يقتضي أَنهم كانوا جماعة ، والجواب أَن يُقال : إِن كان الإِسراءُ رؤيا بقلبه فتأْويلها أَن ذلك سيكون وإِن كانت رؤيا عَيْن فمعناها أَن أَرواح المؤمنين رآها هنالك لأَن الله يَتَوَفَّى الخَلْق في منامهم كما قال في التنزيل : ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا المَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ « فَصَعْدَ بالأَرواح إِلى هنالك ثم أُعِيدت إِلى أَجسادها » .

وقال ابن دِحْية : « فإِن قيل : كيف تكون نَسَم السُّعَداء كلهم في السماء ، وقد كان حين الإِسراء جماعة من الصحابة رضي الله عنهم في الأَرض وهم من السعداء ؟ فالجواب : أَن آدم إِنما رآهم في مواضعهم ومقارِّهم في الأَرض ، ولكنه يراهم من الجانب الأَيمن فالتقييد للنظر لا للمنظور » .

(سبل الهدى والرشاد ٣/١٧٠ - ١٧١) .

وقوله ﷺ « **حتى ظَهَرْت بمستوى** أى عَلَوْت / من قوله جل وعلا : ﴿ لِيُظْهِرَه على الدِّين كُلِّه ﴾ [(١)] أى يُعليه على الأديان كلها . **والمستوى** : المَصْعَد ، وهو المكان العالى ، يقال : استوى إلى الشىء وعليه ، إذا علا عليه ، وقيل : هو عبارة عن فضاء فيه استواء . ١٩/ب

وقوله ﷺ : « **أسمع فيه صَرِيف الأقلام** : صوتها عند جَرَيَانها بالكتبة ، ومنه صَرِيفِ الباب ، وصريف البَكَرَة . وقال بعض أهل اللغة فيما حكاه الفقيه المحدث أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسى النيسابورى فى كتاب المُفْهِم لصحيح مسلم : صرير الأقلام والأبواب والنعال هو الأشهر فى اللغة .

قال ذو النسبين رضى الله عنه : وهذا الحديث المتفق على صحته يرد على زاعم ذلك ؛ لأن النبى ﷺ أفصح العرب ، ولغته أفصح اللغات ، ولا يبلغ مانقل عن أهل اللغة من الصحة مابلغ هذا الحديث منها ، وفيه دليل على أن الأشياء ؛ كالمقادير ، والوحى ، وغير ذلك - مما شاء الله - تكتب بالأقلام لا بقلم واحد .

و« الجَنابِذ » : جمع جُنْبُذَة بالضم ، والجنبذة ما ارتفع من البناء وفسروه بالقِبَاب ، وهى كلمة فارسية مُعَرَّبة ، تكلمت بها العَرَب ، فصارت من كلامها ، وقد وقع فيه تصحيف فى صحيح البخارى فى كتاب الصلاة فقال : فإذا فيها حبائل اللؤلؤ ، وهو تَصْحِيف ، والحبائل ، إنما تكون / جمع حبالة أو حُبَيْلة [(٢)] . ٢٠/أ

---

(١) الصف : (٩) .

(٢) قال ابن حجر فى شرح هذه الكلمة من صحيح البخارى قوله : (حبايل اللؤلؤ) كذا وقع لجميع رواة البخارى فى هذا الموضع بالحاء المهملة ثم الموحدة وبعد الألف تحتانية ثم لام ، وذكر كثير من الأئمة أنه تصحيف وإنما هو « جنابذ » بالجيم والنون وبعد الألف موحدة ثم ذال معجمة كما وقع عند المصنف فى أحاديث الأنبياء من رواية ابن المبارك وغيره عن يونس ، وكذا عند غيره من الأئمة . ووجدت فى نسخة معتمدة من رواية أبى ذر فى هذا الموضع « جنابذ » على الصواب وأظنه من إصلاح بعض الرواة ، وقال ابن حزم فى أجوبته على مواضع من البخارى : فتشت على هاتين اللفظتين فلم أجدهما ولا واحدة =

وذكره على الصواب فى كتاب الأنبياء[1] : « فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ » كما فى صحيح مسلم ، وقال من تَحَيَّل للبخارى : إن الحبائل : القلائد والعقود ، أو تكون من حبال الرمل ؛ أى فيها اللؤلؤ كحبال الرَّمل ، وهو تَحَيُّلٌ ضعيف عند أشياخنا المتقنين ، وإنما الصحيح « الجنابذ » كما قدمناه والله الموفق ، لا رب سواه .

وقوله ﷺ : « **فرجعت إلى موسى** » إلى قوله ﷺ : « **فراجعت ربى عز وجل** » كل ذلك راجع إليه ﷺ ؛ لأنه جسم منتقل يجوز عليه الانتقال والتحول من مكان إلى مكان ، ولا يكون راجعا إلى الله تعالى ؛ لأنه لا يجوز عليه شيء من ذلك .

وقيل : كان موسى عليه السلام فى السماء السادسة ، وموضع السؤال فى السماء السابعة ، وكان رجوعه وتحوله مابين هذين المكانين . ولا يلزم من موضع السؤال أن يَكون المسئولُ فيه ، أو يكون حَائِزًا له ؛ لِتَعَالِى الله جل وعلا ، وتنزيهه عن الجهة والمكان ، فرجوع النبى ﷺ إليه رجوع إلى السؤال فيه ؛ لشرف ذلك الموضع على غيره ، كما كان الطُّور موضع سؤال موسى فى الأرض ، ومكة موضع حج الناس ، وعرفة موضع وقوف الناس للسؤال ، فمكان سؤاله ﷺ غير

= منها ولا وقفت على معناهما . انتهى . وذكر غيره أن الجنابذ شبه القباب واحدها جنبذة بالضم ، وهو ما ارتفع من البناء ، فهو فارسى معرب وأصله بلسانهم كنبذة بوزنه لكن الموحدة مفتوحة والكاف ليست خالصة ، ويؤيده ما رواه المصنف فى التفسير من طريق شيبان عن قتادة عن أنس قال : « لما عرج بالنبى ﷺ قال : أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ » وقال صاحب المطالع فى الحبائل قيل : هى القلائد والعقود ، أو هى من حبال الرمل أى فيها لؤلؤ مثل حبال الرمل جمع حبل وهو ما استطال من الرمل ، وتعقب بأن الحبائل لا تكون إلا جمع حبالة أو حبيلة بوزن عظيمة ، وقال بعض من اعتنى بالبخارى : الحبائل جمع حبالة ، وحبالة جمع حبل على غير قياس ، والمراد أن فيها عقودًا وقلائد من اللؤلؤ .

(١) خ (٢/٤٥٤ - ٤٥٥) ، (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء ، (٥) باب ذكر إدريس عليه السلام . من طريق عَنْبَسَةَ ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك : كان أبو ذر ... فذكره ، وفيه ، كما ذكر المصنف « ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ » .

كما رواه من طريق عبدان ، عن عبد الله ، عن يونس ، عن الزهرى به رقم : (٣٣٤٣) .

مكان سؤال موسى عليه السلام ، فهو رجوع من مكان موسى إلى مكان السؤال ؛ لاستحالة / المكان على من انفرد بالعظمة والجلال . ٢٠/ب

وقوله ﷺ : « **فغشيها ألوان** » أى أصناف من النور ومن الملائكة .

و« **ثُمَّ** » فى هذا الحديث فى مواضع ليس للترتيب ؛ كما فى قوله جل وعز : ﴿ ثم كان من الذين آمنوا ﴾ إنما هى مثل الواو للجمع ، والاشتراك ؛ فهى بذلك خارجة عن أصلها .

وتسميته نبى الله ﷺ « **بالنبى الصالح** » فالرجل الصالح فى اللغة هو المقيم لما يلزمه من حقوق الله سبحانه ، وحقوق الناس ، وهى كلمة جامعة لمعانى الخير كله .

ثبت وصح باتفاق عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : قال الله عز وجل : « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سمعت ، ولا خَطَرَ على قلب بَشَر ، دُخْرًا [١] من بَلْهِ [٢] ما أطلعتهم [٣] عليه . ثم قرأ : ﴿ فلا تَعْلَمُ

---

(١) قوله (دخرا) بضم الدال المهملة وسكون المعجمة منصوب متعلق بأعددت أى جعلت ذلك لهم مدخورا .

(٢) قوله (من بله ما أطلعتم عليه) قال الخطابي : كأنه يقول : دع ما أطلعتم عليه فإنه سهل في جنب ما ادخر لهم . قلت : وهذا لائق بشرح « بله » بغير تقدم « من » عليها ، وأما إذا تقدمت من عليها فقد قيل هى بمعنى كيف ويقال بمعنى أجل ويقال بمعنى غير أو سوى وقيل بمعنى فضل ، لكن قال الصغاني اتفقت نسخ الصحيح على « من بله » والصواب إسقاط كلمة « من » وتعقب بأنه لا يتعين إسقاطها إلّا إذا فسرت بمعنى دع وأما إذا فسرت بمعنى من أجل أو من غير أو سوى فلا ، وقد ثبت في عدة مصنفات خارج الصحيح بإثبات من . وأخرجه سعيد بن منصور ومن طريقه ابن مردويه من رواية أبي معاوية عن الأعمش كذلك ، وقال ابن مالك : المعروف « بله » اسم فعل بمعنى اترك ناصبا لما يليها بمقتضى المفعولية ، واستعماله مصدرا بمعنى الترك مضافا إلى ما يليه ، والفتحة في الأولى بنائية وفي الثانية إعرابية ، وهو مصدر مهمل الفعل ممنوع الصرف . وقال الأخفش : بله هنا مصدر كما تقول ضرب زيد ، وندر دخول من عليها زائدة . ووقع في « المغنى لابن هشام » أن بله استعملت معربة مجرورة بمن وأنها بمعنى غير ولم يذكر سواه ، وفيه نظر لأن ابن التين حكى رواية من بله بفتح الهاء مع وجود من ، فعلى هذا فهى مبنية وما مصدرية وهى وصلتها فى موضع رفع على الابتداء والخبر هو الجار والمجرور المتقدم ويكون المراد ببله كيف التى يقصد بها الاستبعاد ، والمعنى من أين اطلاعكم على هذا القدر الذى تقصر عقول البشر عن الإحاطة به ، ودخول من على بله إذا كانت بهذا المعنى جائز كما أشار إليه الشريف في « شرح الحاجبية » . قلت : وأصح التوجيهات لخصوص سياق حديث الباب حيث وقع فيه « ولا خطر على قلب بشر دخرا من بله ما أطلعتم » أنها بمعنى غير وذلك بين لما تأمله . والله أعلم . (فتح البارى ٣٧٦/٨) .

(٣) فى صحيح البخارى : « ما أطلعتم عليه » ، والأرجح أن هنا خطأ من الناسخ ، بدليل =

نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قُرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ [١] .

هذا نص صحيح البخارى [٢] فى تفسير سورة ﴿ ألم ﴾ السجدة :

حدثنا إسحق بن نصر قال : حدثنا أبو أسامة ، عن الأعمش قال : حدثنا أبو صالح ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ : « يقول الله : أَعْدَدْت لعبادِى الصالحين ...» الحديث

ورواه من طريق أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « قال الله عز وجل » [٣] الحديث الذى نَصَصْنَاه ، فوقع فى هذه الرواية « دُخرا من بَلْه » وعند المُسْتَمْلى : « دُخرًا بَلْه » بإسْقَاطِ / « مِنْ » وهو الصواب . وإذا ثبتت « مِنْ » فيكون تقديرها : « من سوى » أو « من » غير ما أطلعتم عليه ، لأن « من » تدخل على « غير » و « بَلْهَ » بمعنى « غير » ، وبمعنى « سوى » ؛ لأنها استثناء ، أو تكون « من » مُغَيَّرة من « مِنِّى » أى « دُخْرًا منى سوى » ، أو « غير ماقد أطلعتم عليه » .

٢١/أ

وأما من جعل « بَلْه » بمعنى « دَعْ » فلا معنى لدخول « مِنْ » إلا أن تكون مغيرة ، كما قلنا .

ومعنى « بَلْه » دع عنك ، كأنه إضراب عما ذكر ؛ لاستحقاره فى جنب مالم يذكر .

= أن المصنف عند ماذكرها بعد قليل ، ذكرها كما فى صحيح البخارى . والله تعالى أعلم .

(١) السجدة : (١٧) .

(٢) خ (٣/٢٧٦) ، (٦٥) كتاب التفسير ، (٣٢) سورة السجدة ، (١) باب ﴿ فلا تعلم نفسٌ ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ .

من طريق إسحاق بن نصر ، به . رقم (٤٧٨٠) .

(٣) خ (الموضع السابق) من طريق على بن عبد الله ، عن سفيان ، عن أبى الزناد به . رقم (٤٧٧٩) .

واللفظ الذى أتى به المؤلف من الطريق السابق ، طريق الأعمش عن أبى صالح .

وبَلْهَ من أسماء الأفعال : كـ « رُويدَ » و « مَهْ » ، وَ « صَهْ » ، يقال : بَلْهَ زيدًا بمعنى دَعْه ، واتركه ، وقد توضع موضع المصدر فيقال : بَلْهَ زيدٍ ؛ كأنه قيل : تَرْك زيد ، وتقلب في هذا الوجه فيقال : بَهْلَ زيد ؛ لأن حَال الأعراب مظنة التصرف . و« ما أطلعتهم » عليه يصلح أن يكون منصوب المحل ومجروره على مقتضى اللغتين .

وقد روى بيت كَعْب بن مالك الأنصارى :

تَذَرُ الجَمَاجِم ضَاحِيًا هاماتها   بَلْهَ الأكفِّ كأنها لم تخلق

على الوجهين .

المعنى [١] : « رَأَتْه ، وسَمِعَتْه فحذف لاستطالة الموصول بالصلة ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ أهذا الذى بَعَثَ الله رسولا ﴾ [٢] يجوز أن يكون مصدرا [٣] ؛ لأن معنى بعث : أرسل ، والألف للاستفهام الذى معناه التقرير والاحتقار . ويجوز نصبه على الحال ، والتقدير : أهذا الذى بعثه الله مُرْسَلًا .

« أهذا » رفع بالابتداء ، و« الذى » خبره ، « رسولا » نصب على الحال ، وبعث فى صلة الذى ، واسم الله عز وجل رفع ببعث .

وقوله ﷺ / « **فَشَقَّ من النَّحْر إلى مَرَاقّ البطن** ، فغُسِلَ بماء زمزم » . ٢١/ب

« النحر » مجتمع التَّرَاقِي على الصدر « ومَرَاقّ البطن » ، بتشديد القاف : أسفل البطن ، وأصلها عند أهل النحو مراقق ؛ أدغمت القاف فى القاف ، وهى مَفَاعِل من رقَّ يَرِقُّ ، سميت بذلك لأنها موضع رقة الجلد . فأول المراقّ السُّرَّة ، وهى كانت منتهى الشق .

---

(١) انتقل المصنف إلى قوله : « ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ...» ليبين أن ضمير الصلة محذوف « رأته ... سمعته » .
ثم أتى بآية كريمة فيها مثل ذلك ، ثم استطرد فى إعراب هذه الآية الكريمة .

(٢) الفرقان : (٤١) .

(٣) أى قوله « رسولًا » مفعولًا مطلقًا .

وقوله : « **من ثُغْرَة نَحْرِه** » . الثُّغْرَة بضم الثاء ، وهى النُّقْرَة التى بين التَّرْقُوَتَيْن ، حيث يُنْحَر البَعير والثُّغْرَة أيضا الثَّلْمَة تهدم من حائط ، والثَّغر ، بفتح الثاء أصله الفتح فى الشيء ينفذ منه إلى ما وراءه . وثَغْر العدو مايلى داره .

وقوله : « إلى شِعْرَته » بكسر الشين ، والجمع : « شِعَر » بالكسر ويقال « شِعْرَى أيضا ، هى شَعَر العَانَةِ » .

وقوله من « **قَصِّهِ إلى شعرته** » ؛ هو وسط صدره وهو القَصَصُ أيضا وهو المشاش المغروزة فيه أطراف الأضلاع فى وسط الصَّدر .

و« **سِدْرَة المُنْتَهى** » شجرة فى السماء السابعة أسفل العرش ، لا يجاوزها مَلَك ولا نَبِىّ ، قد أظلت السموات والجنة ، إليها ينتهى مايعرج من الأرض وما ينزل من السماء فيقبض .

فإن قيل : لم اختيرت السِّدْرَة لهذا الأَمْر ، دون غيرها من الشجر ؟ قيل : لأن السِّدْرَة تختص بثلاثة أوصاف ؛ ظلّ مَدِيد ، وطعام لذيذ ، ورائحة ذَكِيَّة ، فشابهت الإِيمان الذى يجمع قولًا ، ونِيَّة ، وعملا . فظلها من الإِيمان بمنزلة العمل ؛ لتجاوره ، وطعمها بمنزلة النية ، وكمونه ، ورائحتها بمنزلة / القول لظهوره . ٢٢/أ

وقوله : « **نَبِقُها كقلال هَجَر** » . « نبِقُها » بكسر الباء ، وهو ثمر السِّدْر ، الواحد نَبِقه ، ويقال : نَبْق بفتح النون وسكون الباء ، ذكرها يعقوب فى الإِصلاح ، وهى لغة المِصْرِيِّين ، والأولى أفصح ، وهى التى ثَبَتَتْ عن رسول الله ﷺ .

« **وقِلاَل هَجَر** » جمع قُلَّة ، والقُلَّة ، ما يُقِلُّه الإِنسان من الأرض ؛ أى يرفعه ، وقيل القُلَّة هى حُبُّ الماء ، وقد فسرها الشافعى بأنها تَسَع مائتين وخمسين رِطْلًا ، حكاه عنه القاضى أبو الفضل [1] فى مشارق الأنوار .

---

(١) هو القاضى عياض ، وكتابه مشارق الأنوار مطبوع وهو معجم لغوى .

وقد حدثنى أربعون شيخا عن القاضى أبى الفضل منهم ولداه الفقيه القاضى أبو عبد الله محمد ، والفقيه أبو محمد عمران .

وقال ابن جريج : القُلَّتان يَسعان خمس مائة رِطْل

قال الترمذى أبو عيسى الحافظ : وذلك نحو من خمس قِرَب .

وقوله ﷺ : « **بينا أنا فى الحطيم** » وربما قال « فى الحِجْر » فالحَطِيمُ : هو مابين الباب إلى المقام .

وقال ابن جريج هو مابين الركن والمقام ، وزمزم والحِجْر .

وقال الفقيه أبو مروان عبد الملك بن حبيب الأندلسى : هو مابين الركن الأسود ، إلى الباب ، إلى المقام حيث يتحطَّم الناس للدعاء .

وقيل : كانت الجاهلية تتحالف هناك ، ويتحطمون بالإيمان ، فكل من دعا على ظالم ، أو حلف آثما عجلت عقوبته .

وقد جاء فى البخارى عن ابن عباس من قوله : ولا تقولوا : « الحطيم » .

قال ذو النسبين رضى الله عنه : / وأظنه كره الاسم لاغير ، وذلك الانحطام ٢٢/ب انجبار للداعى ، ورحمة من الله تعالى ، كما قيل : سمى حَطِيما لانحطام الناس عنده وتزاحمهم عليه للدعاء .

وقال الهَرَوِىّ : الحطيم : حِجْر مكة المخرج منها .

قال النَّضْر : سمى حطيما لأن البيت رفع وترك هو محطوما .

وقيل : لأن العرب كانت تطرح فيه ماطافت به من الثياب ، فيبقى به حتى يتحطم بطول الزمان ، فهو بمعنى حاطم .

و« الحِجْر » : حِجْر الكعبة بكسر الحاء لا غير ، وهو ما تركت قريش فى بنيانها من أسس إبراهيم ، وحَجَّرَتْ على الموضع ليُعْلَم أنه من الكعبة ، فسمى حِجْرًا ؛ لكن فيه زيادة حَدّه فى الحديث بنحو من سبعة أذرع ، وقد كان

ابن الزبير أدخله فى الكعبة حين بناها ، فلما هدم الحجاج بناءه صرفه على ما كان عليه فى الجاهلية .

[مكان شق الصدر :]

فثبت بهذه الأحاديث المجمع على صحتها ، والمتفق على إخراجها فى الصحيحين أن شق الصدر كان ببيته بمكة على ما رواه أبو ذر ، أحد أكابر أصحاب رسول الله ﷺ ، والسابقين للإسلام ، والناقلين للشريعة والذَّابِّين عن الدين . وفى رواية مالك بن صَعْصَعَة المازِنِىّ ، من بنى مازِن ابن النجار عن رسول الله ﷺ : « بينما أنا فى الحطيم » وربما قال : « فى الحِجر » الحديث بطوله .

وقد اتفقا أيضا على إخراجه [1] .

٢٣/أ ورواه شَريك بن عبد الله بن أبى نَمِر ، عن أنس ، عن رسول الله وقد حكما / بصحته [2] .

وقال إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين : شَرِيك ثِقَة ومن يسأل عنه [3] .

وحديث شريك عن أنس يُعَضِّده حديث أبى ذر الغِفارى ومالك الأنصارى المازنى فى شق الصدر بمكة ، فليس حديثه بمنكر [4] .

---

(١) انظر تخريج هذا الحديث (ص ٢٧) من هذا الكتاب .

(٢) خ (٤٠٧/٤) ، (٩٧) كتاب التوحيد ، (٣٧) باب ماجاء فى قوله عز وجل : ﴿ وكلَّم الله موسى تكليمًا ﴾ .

من طريق عبد العزيز بن عبد الله ، عن سليمان ، عن شريك بن عبد الله به رقم (٧٥١٧) .

م (١٤٨/١) ، (١) كتاب الإيمان ، (٧٤) باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات ، وفرض الصلوات .

من طريق هارون بن سعيد الأَيْلِىّ ، عن ابن وهب ، عن سليمان بن بلال ، عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر ، به .

إحالة على حديث سبق . رقم (١٦٢/٢٦٢) .

(٣) كذا فى النص ، ولا أدرى معنى هذه العبارة .

(٤) وجهت نقود كثيرة لرواية شريك ابن أبى نمير ، انظر هذه النقود ، ومناقشتها فى كتاب أحاديث الإسراء والمعراج للمحقق ، وقد ثبت فيه تفنيد هذه النقود ، وأن حديثه صحيح لم يخطىء فيه شريك . (ص ٩١ - ١٠٥) .

وقد روى أنس حديث الإسراء عن رسول الله ﷺ دون واسطة بينه وبينه .
خرجه مسلم وحده ، وأتقنه ، وطَوّلَه من حديث ثابت البُنَانِيّ العالم ، الزاهد ، الثقة عن أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ [١] .

واختصره أيضا من حديث سليمان بن المغيرة قال : حدثنا ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « أتيت فانطلقوا بى إلى زمزم . قال : فَشُرِحَ عن صدرى ، ثم غسل بماء زمزم ثم أنزلت [٢] .

اختصره مسلم قال :

وحدثنا شيبان بن فَرُّوخ قال : حدثنا ثابت البُنَانِيّ ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ، وهو يلعب مع الغِلْمَان ، فأخذه ، فصرعه ، فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه عَلَقَة فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله فى طَسْت من ذهب ، بماء زمزم ، ثم لأَمَه ، ثم أعاده فى مكانه . وجاء الغلمان يسعَون إلى أمه – يعنى ظِئْرَه [٣] ، وقالوا : إن محمدًا قد قُتِل ، فاستقبلوه ، وهو مُنتقع اللون » [٤] .

---

(١) م (١/١٤٥) ، (١) كتاب الإيمان ، (٧٤) باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات ، وفرض الصلوات .

من طريق شيبان بن فَرُّوخَ ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت البُنَانِيّ به .

رقم (١٦٢/٢٥٩) .

والمصنف يريد أن يثبت فى التالى أن أنسًا سمع حديث الإسراء والمعراج بلا واسطة ، أى سمعه مباشرة من النبى – ﷺ ، كما سمعه من مالك بن صعصعة .

(٢) م (١/١٤٧) ، (١) كتاب الإيمان ، (٧٤) باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات ، وفرض الصلوات .

من طريق عبد الله بن هاشم العبدى ، عن بَهْز بن أسد ، عن سليمان بن المغيرة . به .

رقم (١٦١/٢٦٠) .

(٣) أى مرضعته .

(٤) م (١/١٤٧) ، (١) كتاب الإيمان ، (٧٤) باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات ، وفرض الصلوات .

من طريق شيبان بن فَرُّوخ ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت البُنَانِيّ به .

رقم (١٦٢/٢٦١) .

٢٣/ب قال ذو النسبين رضى الله عنه : يقال : **لأَمْتُ الصَدْع** / فالتأم ، أى أصلحته ، فَصَلُح ، وكذلك لآمْته بالمد ؛ أى ضممت بعضه إلى بعض .

وقوله : « **مُنْتَقِع اللون** » أى كاسفه ، يقال : انتقع لونه وامتقع بالميم ، وهو أقوى اللغتين : إذا تغير من حزن أو دَهَش ، أو غيره ، ويقال أيضا : إِلْتَقَع باللام ، كل ذلك إذا تغير لونه . قاله الخليل (١) فى كتاب العين .

وممن تابع ثابتًا على روايته عن أنس ، عن النبى ﷺ أبو عِمْران الجَوْنى ، ويزيد بن أبى مالك ، وعبد العزيز بن صُهَيْب ، وميمون بن سِيَاه ، وكثير بن سليم أبو سَلَمة وأبو هاشم ، وعلى بن زيد ، وثُمَامَة ، وكثير بن خُنَيْس ، وعبد الرحمن ابن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص .

وكذلك رواه بُكير بن الأَشَجّ ، وصالح بن كَيْسَان ، ومَعْمَر ، وعُقَيْل ، من رواية الليث عنه ، جميعا عن الزُّهْرِى عن أنس عن النبى ﷺ .

وكذلك رواه شَيْبَان النحوى ، وشعبة ، ومِسْعَر ، وطلحة بن مُصَرِّف ، ومَعْمَر ، وأبو مَرْيَم عبد الغفار بن القاسم ، وعمر بن نَبْهَان ، وسليمان التَّيْمِى ، وابن أبى عَرُوبة فى بعض الروايات عنهما – جميعا عن قَتَادة ، عن أنس ، عن النبى ﷺ .

ورواه مُعْتَمِر بن سليمان ، عن أبيهِ ، عن أنس ، عن النبى – ﷺ .

ورواه عَفَّان بن مسلم ، عن حماد بن سَلَمَة ، عن ثابت ، وسليمان التيمى عن أنس ، عن النبى ﷺ .

٢٤/أ كل واحد من هؤلاء روى الحديث أو بعضًا منه . فدل / بمجموع هذه الروايات – كما قدمنا : أن أنسًا سمعه من النبى ﷺ ، وكذلك قال أصحاب الصحيحين ، وإن وقع لبعض المحدثين إشكال فى شىء من أحاديث الصحيحين كهذا الحديث فذلك لقصور علمه .

---

(١) هو الخليل بن أحمد الفراهيدى ، واضع علم العروض . وكتابه العين معجم لغوى ، وهو مطبوع . انظر : (١٧١/١ – ١٧٢) منه وفيه « امتُقِعَ » و« انتُقِعَ » فقط .

وقال أبو ضَمْرة ، عن يونس ، عن الزهرى ، عن أنس ، عن أُبَىّ .

قال الدارقطنى : لعله سقط عليه فى الكتاب « ذر » فبقى عن « أَبِى » فظنه أُبَيًّا ، على أن لأُبَىّ بن كعب رواية لبعض هذا الحديث من طريق ابن عباس عنه .

وُروِىَ عن سليمان التيمى ، عن أنس ، عن أبى هريرة ولا يثبت أيضًا .

وروايات الصحيح كلها ثابتة ، والحمد لله .

[تواتر حديث الإسراء]

وقد تواترت الروايات فى حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبى ذَرّ ، ومالك بن صَعْصَعَة ، وأبى هريرة ، وأبى سعيد الخُدْرِىّ ، وعبد الله بن مسعود ، وشدَّاد بن أوس ، وأُبَىّ بن كعب ، وعبد الرحمن بن قُرْط ، وهو الثُّمَالى ، وأبو حَبَّة البَدْرِىّ .

وفى تقييده : هل هو بالباء بواحدة أو بالياء باثنتين من أسفل ، أو النون - اختلاف كبير . وكذلك اختلفوا فى اسمه والأشبه عند المُتْقِنِين أنه بالباء بواحدة .

وأبى ليلى الأنصاريين [١] ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وجابر بن عبد الله ، وحذيفة بن اليمان ، وبُرَيْدَة بن الحَصِيب ، وأبى أيوب الأنصارى ، وأبى أُمَامَة الباهِلِىّ ، وسَمُرَة بن جُنْدَب ، وأبى الحَمْراء ، وصُهَيْب الرُّومِىّ ، وأم هَانىء ، وعائشة ، / وأسماء ابنتى أبى بكر الصديق - رضى الله عنهم أجمعين ؛ منهم من ساقه بطوله ، ومنهم من اختصره ، على ماوقع فى المسانيد ، وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة . ٢٤/ب

فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون ، واعترض فيه الزنادقة الملحدون ﴿ يريدون ليُطْفِئُوا نورَ الله بأفواههم ، والله مُتِمُّ نُورِه ولو كَرِه الكافرون ﴾ [٢] .

* * *

---

(١) أى أبى حَبّة وأبى ليلى الأنصاريين .

(٢) الصف : (٨) .

فصـــل

فى إبطال حُجَجِ من قال : إنها نَوْم [١]

احتجوا بقوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرُّؤْيَا التى أَرَيْنَاك إلا فِتْنَةً للناس ﴾ [٢] فسماها رؤيا ، وهو قول ابن الكلبى ، وزعم أنه روى ذلك عن أبى صالح ، عن ابن عباس .

قالوا : وقد سماها فى الحديث منامًا فى قوله : « بين النائم واليَقْظَان » .

وقوله : « وأنا نائم ، ثم استيقظت » فدَلّ أنها كانت فى نوم لا رؤية عَيْن .

والجواب : أما احتجاجهم بقول ابن الكلبى - فابن الكلبى هو محمد بن السائب كَذَّاب وَضَّاع ، لا يجوز قبول خبره ، ولا الاحتجاج بحديثه [٣] .

وقد روى أبو عاصم النبيل ، عن سفيان الثورى ، قال : قال لنا ابن الكلبى : مَا حُدِّثتَ عنى ، عن أبى صالح عن ابن عباس فهو كَذِب ، فلا ترووه عنى .

وقد اتفق علماء النقل على ترك ابن الكلبى .

وأبو صالح واسمه باذان ، ويقال : باذام بالميم ، وهو مـــولى أم هانئ بنت أبى طالب ، شقيقة على رضى الله عنهما .

قال الإمام أبو أحمد عبد الله بن عَدِىّ فى كتاب التعديل والتجريح لـــــه : أبو صالح الذى روى عنه الكلبى اسمه باذام مولى أم هانىء بنت أبى طالب / ٢٥/أ يحدث عن ابن عباس ، ولم يسمع منه ، ولم يَـــروه ، ولا أعلم أحدًا من المتقدمـــين رَضِيَه [٤] .

---

(١) كذا بالأصل ، والمراد : رؤيا نوم .

(٢) الإسراء (٦٠) .

(٣) ميزان الاعتدال (٥٥٦/٣ - ٥٥٨) .

(٤) الكامل (٥٠١/٢ - ٥٠٤) وعبارة ابن عدى فى الكامل هى : « وباذام هذا عامة ما يرويه تفاسير ، وما أقل ما له من المسند ، وهو يروى عن على وابن عباس ، وروى عنه ابن أبى خالد ، =

وقال أبو الفتح محمد بن الحسين الأَزْدِىّ الحافظ : أبو صالح كَذَّاب .

وأما احتجاجهم بالآية فالذى ثبت بنقل العدل عن العدل عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ وماجعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس ﴾ [(١)] قال : هى رؤيا عين أُريها النبى ﷺ ليلة أُسْرِىَ به إلى بيت المقدس .

أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب القدرية [(٢)] .

قال الحسن : هى رؤيا معاينة [(٣)] ، وليست رؤيا منام .

« **إلا فتنة** » : أى مِحْنَةً ارتد بها قوم ، وزادت بصائر قوم .

وقوله جل وعلا : ﴿ سبحان الذى أسرى ﴾ يؤكد ذلك فى أنها رؤية عين ؛ لأنه لا يقال فى النوم : أسرى والقرآن نزل بلغة القوم ، وقد أجمعوا على ذلك ، فدلّ على أن الروح والبدن كانا معًا ؛ لأن الله تعالى عَجَّبَ الناس من ذلك بقوله : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ﴾ ولم يقل : « سُرِّىَ » لأن « سبحان » هاهنا للتعجب ، فتحمل على ماهو أعجب ، ولو عرج بروحه لم يكن فيه كبير عجب ؛ لأن الرجل قد يرى فى منامه أنه عُرِج به إلى السماء ، فإذا أخبر به لم ينسب إلى الكذب .

و« **الرؤيا** » يقع على الرؤية فى اليقظة ، كما يقع فى المنام بدليل ماصح فى حديث المعراج : رأيت كذا ، ورأيت كذا .

قال أهل اللغة : رأيت رؤية ، ورؤيا ، مثل قرية وقَرى . والقُدْرَة ، والرُّبوبِيَّة لاعجب فيهما ، ولا تَعَجُّب منهما .

= عن أبى صالح هذا تفسيرًا كثيرا قد زخرف فى ذلك التفسير مالم يتابعه أهل التفسير عليه ، ولم أعلم أحدًا من المتقدمين رضيه » .

(١) الإسراء (٦٠) .

(٢) خ : (٢١٢/٤) (٨٢) كتاب القدر (١٠) باب ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس ﴾ - من طريق الحميدى ، عن سفيان ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس به . رقم (٦٦١٣) .

(٣) تفسير الحسن البصرى (٨٨/٢) قال : « هى رؤيا عين رآها ليلة أسرى به » .

٢٥/ب ونزه الله سبحانه نفسه عن أن يكون لأحد فى تسيّر / نبيه ﷺ حركة أو خَطْرَة ، فيكون شريكه فى الإِسراء والتسيير ، وأسقط عنه جميع الاعتراضات والشبهات فى المعراج ، بقوله تعالى : ﴿ أسرى ﴾ لأن هذا اللفظ يقع على البَدَن والروح جميعا فى اللغة .

والدواب تحمل الأجسام لا تحمل الأرواح .

وقد ثبت وتواتر بنقل العدول عن رسول الله ﷺ أنه عُرِج به على دابة يقال لها : البُرَاق ، ووصف خِلْقَتها ، وسمى بُراقًا لسُرْعَة سيره تشبيها بِبَرْق السحاب .

وقوله تعالى : ﴿ فتنة للناس ﴾ يؤيد أنها رؤيا عين ، وإسراء بشخص ؛ إذ ليس فى الحُلْم فتنة ، ولا يكذب به أحد ؛ لأن كل أحد يرى مثل ذلك فى منامه ، من الكون فى ساعة واحدة ، فى أقطار متباينة .

على أن المفسرين قد اختلفوا فى هذه الآية ، وقالوا : إنها نزلت فى قضية الحُدَيْبِيَة ، وما وقع فى نفوس الناس من ذلك .

وأما احتجاجهم بقولهم : إنه قد سماها فى الحديث مَنَامًا فى قوله ﷺ : « بين النائم واليقظان » وقوله أيضا : « وهو نائم » وقوله : « ثم استيقظت ، وأنا فى المسجد الحرام » . فلعل قوله : « استيقظت » بمعنى أصبحت ، وهى لغة محفوظة قرشية ، ويدل عليه أن مسراه لم يكن طول ليله ، وإنما كان فى بعضه .

وقد يكون قوله « استيقظت وأنا فى المسجد الحرام » لما كان غَمَرَه من عجائب ماطالع من ملكوت السموات والأرض / وخامر باطنه من مشاهدة الملأ ٢٦/أ الأعلى ، وما رأى من آيات ربه الكُبْرَى ، فلم يستفق ، ويرجع إلى حال البشرية ، إلا وهو بالمسجد الحرام .

وقال المطوعى فى بعض الأخبار : إنه أخذه شبه غشيان فلما أفاق رأى نفسه فى بيت أم هانىء رضى الله عنها .

قال ذو النسبين رضى الله عنه : وهذه كانت حاله ﷺ عند نزول الوحى عليه .

ثبت فى الصحيحين عن صفوان بن يَعْلَى ، عن أبيه أنه كان يقول لعمر : ليتنى أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه ، فلما كان النبى ﷺ بالجِعْرَانة ، وعلى النبى ﷺ ثوب قد أظل به عليه ، معه فيه ناس من أصحابه ، فيهم عمر - إذ جاءه رجل عليه جُبَّة متضَمِّخ بطيب ، فقال : يارسول الله ، كيف ترى فى رجل أحرم بعُمْرَةَ فى جُبَّة بعد ما تَضَمَّخَ وطُيِّب ، فنظر إليه النبى ﷺ ساعة ، ثم سكت . فجاءه الوحى ، فأشار عمر بيده إلى يَعْلَى بن أُمَيَّة . فقال : فجاء يعلى ، فأدخل رأسه فإذا النبى ﷺ مُحْمَرّ الوجه ، يَغُطُّ ساعة ، ثم سُرِّىَ عنه . فقال : « أين الذى سألنى عن العُمْرَة آنفا ؟ » فالتُمِسَ الرجل ، فجىء به ، فقال النبى ﷺ : « أما الطِّيب الذى بك فاغسله ، ثلاث مرات ، وأما الجُبَّةُ فانزعها ، ثم اصنع فى عُمْرَتك ماتصنع فى حَجِّك » [(١)] .

وله طرق وزيادة ألفاظ فى الصحيحين وقوله : « انزعها » ؛ يعنى الجُبَّة ؛ أى أَزِلْهَا .

وقوله : **يَغُطُّ** : الغَطِيط / صوت يخرجه النائم مع نَفَسه ، والبُرْمَة تَغُطُّ ؛ أى تَغلى غليانًا له صوت . ٢٦/ب

وقوله : « **ثم سُرِّى عنه** ؛ بالتخفيف والتثقيل ؛ أى كشف عنه ما أصابه من غَشْيَة ، أو خوف ، أو غيره .

وفى هذا الحديث المتفق على صحته رَدٌّ على الكوفيين والمُزَنِىّ فى قولهم :

---

(١) خ : (٤٧٤/١) (٢٥) كتاب الحج - (١٧) باب غسل الخَلُوق ثلاث مرات من الثياب - من طريق أبى عاصم ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن صفوان نحوه . رقم (١٥٣٦) وأطرافه فى (١٧٨٩، ١٨٤٧ ، ٤٣٢٩ ، ٤٩٨٥)

م : (٨٣٧/٢) (١٥) كتاب الحج (١) باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة ، وما لا يباح ، وبيان تحريم الطيب عليه - من طريق زهير بن حرب ، عن إسماعيل بن إبراهيم ، وعن عبد بن حميد ، عن محمد بن بكر كلاهما عن ابن جريج ، وعن على بن خشرم واللفظ له ، عن عيسى ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن صفوان به .

ولفظ مسلم هو ما أورده المصنف . رقم (١١٨٠/٨) .

إنه من لَبِس أو تَطَيَّب ناسيًا فعليه الفدية على كل حال ، والحجة فى السُّنَّة الثابتة عن رسول الله ﷺ ، لا فى ماخالفها ؛ لأن النبى ﷺ لم يأمر الرجل بالكفارة عن لِبَاسه وتطييبه قبل علمه بالنهى عن ذلك ، وإنما يلزم الكفارة مَن تَعَمَّـد فعل مانهى عنه فى إحرامه ، ولو لزمه شىء لبَيَّنه له ﷺ ، وأمَـرَه به ، ولم يَجُزْ أن يؤخر ذلك .

وذهب مالك إلى أن من تَطَيَّبَ ، أو لَبِسَ فنزع اللباس ، وغسل الطيب فى الحال فلا شىء عليه .

وقال الشافعى : لا شىء عليه ، وإن طال وانتفع ؛ لأن الرجل كان أحرم فى الجُبَّة المطيَّبَة ، فسأل النبى ﷺ عن ذلك ، فلم يجبه ، حتى أوحى إليه ، وسُرِّىَ عنه ، فطال انتفاع الرجل باللبس والطيب ، ولم يوجب عليه النبى ﷺ كفارة ، فوافق الشافعى الحديث وعمل به . نفعه الله بذلك .

وفى هذا الحديث رَدٌّ على من زعم أن الرَّجُلَ إذا أحرم وعليه قميص أنَّ له أن يَشُقَّه ، وقالوا : لا ينبغى أن ينزعه ؛ لأنه إذا فعل ذلك فقد غَطَّى رأسه ، / وذلك لا يجوز له فلذلك أمر بشـــقه ؛ قاله الحسن ، والشعبى ، والنَّـخَـعِـــىّ وسعيد ابن جُبَيْر .

٢٧/أ

وخالفهم فقهاء الأمصار فقالوا : من نسى وأحرم وعليه قميص أن ينزعَه ولا يَشُقَّه ، واحتجوا بأن النبى ﷺ أمر بنزع الجُبَّة ، ولم يأمره بشقها ، وليس نزع القميص بمنزلة اللباس ؛ لأن المحرم لو حمل على رأسه ثيابا أو غيرها لم يكن بذلك بأس ولم يدخل ذلك فيما نهى عنه من تغطية الرأس بالقَلاَنِس وشبهها ؛ لأن النهى عن تغطية الرأس فى الإِحرام إنما وقع على اللباس المعهود فى حال الإِحلال إذا تعمد فعل مانهى عنه من ذلك .

ومن خصائصه ﷺ مما أوجبه الله تعالى عليه زيادة فى كرامته ، وخففه عن أمته ؛ منها أنه كان يُؤخَذُ عن الدنيا عند تَلَقِّى الوحى ، وهو مطالَب بأحكَامها عند الأخذ عنها .

[شـــق الصـــدر]

اعلموا – قرَّر الله لديكم الحق ، وحسنه ، وجعلكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أن هذا التقديس والشق **كان مرتين** ، وبه يتفق الجمع بين الروايتين ؛ إذ هى كلها صحيحة ، وبه قال جماعة من العلماء ؛ منهم القاضى أبو القاسم المُهَلَّب بن أبى صُفْرَه المَرِوىّ فى شرح مختصر صحيح البخارى له .

حدثنى به المحدث النحوى الخطيب أبو جعفر بن اليتيم بجامع مالَقَةَ ، قال : حدثنى الفقيه الخطيب أبو عبد الله محمد بن أحمد الحمزى ، قال : حدثنى الفقيه القاضى أبو عبد الله بن المرابط ، قال : قرأته / على مصنفه . ٢٧/ب

فالمرة الأولى : فى حالة الطُّفُوليَّة ؛ لينقى قلبه من مَغْمَز الشيطان ؛ وليُطهَّر ، ويُقَدَّسَ من كل خُلُقٍ ذَمِيم ، حتى لا يَتَلَّبس بشىء مما يُعَاب على الرِّجَال ، وحتى لا يكون فى قلبه شىء إلا التوحيد ، ولذلك قال ﷺ فى شق قلبه عند ظِئْرِه : فَوَلَّيَا عنى ؛ يعنى الملَكَيْن ، وكأنِّى أُعَايِن الأمر مُعاينة .

والثانية فى حال الاكتهال ، وبعد مانُبِّىء ، وعندما أراد الله تعالى أن يرفعه إلى الحضرة المقدسة التى لا يصعد إليها إلا مُقَدَّس ، فعرج به هنالك ؛ لتفرض عليه الصلاة ؛ وليصلى بملائكة السماء ، ومن شأن الصلاة الطهور ، فقُدِّس ظاهرًا وباطنًا ، وغسل بماء زمزم .

وفى المرة الأولى بالثلج ؛ لما يُشْعِر به الثَّلْج من ثَلَج اليقين ، وبَرْدِه على الفؤاد ، وكذلك هنالك حصل له اليقين بالأمر الذى يراد به ، وبوحدانية ربه .

وأما فى الثانية فإنه كان موقِنًا ، فإنما طهر لمعنى آخر ، وهو الذى ذكرناه من دخول حضرة القُدُس ، ولقاء المِلِك القُدّوس ، فغسله روح القدس بماء زمزم التى هى هَزْمَة روح القدس ، وهَمْزَة عَقِبه ؛ لأبيه إسماعيل .

وجىء بطَسْتٍ من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانًا فأفرغ فى قلبه ، وقد كان مؤمنا ، ولكن الله تعالى قال : ﴿ ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ﴾ [1] والزيادة هاهنا

---

(١) الفتح : (٤) .

في نَشْءٍ للإيمان آخر ؛ لأن قَبْلَه ﴿ هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ﴾ جاء فى التفسير أنها / سكون القلب وطمأنيته ، وذلك أشهر ماقيل وأصحه .

٢٨/أ

وقد يجوز ماقاله الأئمة : **إنه كان مرتين لحكمتين** : أما فى **حال الصِّغَر** فليصير قلبه مثل قلوب الأنبياء عليه وعليهم السلام فى الانشراح ، ثم فعل مرة أخرى حال الإسراء ؛ ليصير حاله مثل حال الملائكة ، حيث أريد به العروج إلى مقام المناجاة .

واعلموا – رحمكم الله – أن القلب هو الشكل الصُّنُوبَرِىّ الذى فى البطن ، وفيه سُوَيْدَاؤه ، وهى عَلَقَة سوداء ؛ إذا شق القلب بَدَتْ كأنها قطعة كَبِد وفى القلب غشاؤه ، وهى الجلدة المُلْبِسة التى هو فيها ، رُبَّمَا خرج فؤاد الإنسان ، أو الذابَّة عن غشائه ، وذلك من فَزَع يَفْزَعهُ فيموت مكانه . ولذلك تقول العرب : انخلع فؤاده .

وفى القلب أُذُنَاه ، وهما فى ناحيتيه يشبهان بالأذنين وفيه « التَّامور » وهو الدم الأسود الذى فيه .

وَحَبَّة القلب نكتة فيه سوداء ، وفيه الشِّغاف ، وهو حجاب القلب .

وقد ذكر ثقات أهل اللغة : القلب ، وما فيه فى خَلْق الإنسان مبيَّنًا بأحسن البيان ، وهو المَلِك ، وجميع الأعضاء جنوده ، فإذا صَلَح المَلِك صَلَحَت الجنود ، وإذا فسد الملك فسدت الجنود . قاله أبو هريرة ، وهو الذى ثبت فى الصحيحين « ألا وإن فى الجسد مُضْغَة ، إذا صَلُحَت صَلُحَ الجسد كله ، وإذا فَسَدَت فَسَد الجسد كله ، ألا وهى القلب » [١] .

---

(١) خ (٣٤/١) (٢) كتاب الإيمان (٣٩) باب فضل من استبرأ لدينه – من طريق أبى نعيم ، عن زكرياء ، عن عامر ، عن النعمان بن بشير مرفوعًا فى حديث طويل أوله : « الحلال بَيِّن والحرام بَيِّن » رقم (٥٢) وطرفه فى (٢٠٥١) .

م : (١٢١٩/٣ – ١٢٢٠) (٢٢) كتاب المساقاة (٢٠) باب أخذ الحلال وترك الشبهات – من طريق محمد بن عبد الله بن نمير ، عن أبيه ، عن زكرياء به . رقم (١٥٩٩/١٠٧) .

وهذا نص صحيح مسلم فى كتاب البيوع ، وله طرق فى الصحيحين .

والمُضْغَة قطعة من لحم .

والباطنية / قَبَّحَهَا الله تَقُول : القلب خلاف هذا ، فخالفوا الله تعالى ٢٨/ب ورسوله ؛ قال الله تعالى : ﴿ ولكن تَعْمَى القلوب التى فى الصدور ﴾ [١] .

وقال أنس فى صحيح مسلم : « كنت أرى أثر المِخْيَط فى صدر رسول الله ﷺ » [٢] .

وقد أجمع المسلمون على تكفيرهم فى قولهم هذا .

وفى قولهم : إن الفرائض أسماء رجال أمروا بالبراءة منهم . فحَذَارِ من قولهم ، حَذَارِ ؛ فإن اعتقادهم يدخل بُحْبُوحَة النار [٣] .

* * *

---

(١) الحج : (٤٦) .

(٢) م : (١٤٧/١ - ١٤٨) (١) كتاب الإيمان (٧٤) باب الإسراء برسول الله - ﷺ - من طريق شيبان بن فروخ ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت البنانى ، عن أنس به فى حديث الإسراء والمعراج الطويل . رقم (١٦٢/٢٦١) .

(٣) بُحبوحة النار : وسط النار .

[الإِسراء بالروح والجسد]

وأما احتجاجهم بحديث عائشة رضى الله عنها : ما فَقَدْت جسد رسول الله ﷺ . ويُروى : « ما فُقِد » فهو حديث موضوع عليها ، ولم يُسنده أحد من ثقات المسلمين إليه . وإنما يُروى عن محمد بن إسحاق قال : أخبرنى بعض آل أبى بكر أن عائشة كانت تقول : « ما فُقِدَ جسد رسول الله ﷺ ولكن الله أَسْرَى بروحه » [١] .

و« آل أبى بكر » سند مجهول . وابن إسحاق جَرَّحَه الأئمة العدول ، وأطلق عليه الكذب مالك إمام دار هجرة الرسول - ﷺ .

وقال القاضى أبو العباس بن سُريج : هذا حديث لا يصح ، وإنما وضع ردًّا للحديث الصحيح .

قال ذو النسبين رضى الله عنه : وقد ذكرنا تخريج العلماء له فى المجلد الأول من هذا الديوان فى شهر ربيع الأول .

وقرأت فى كتاب الفهرسة لأبى الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن أبى يعقوب النديم البغدادى ، وكان ثقة - ماهذا نصه : أبو عبد الله محمد بن إسحاق ابن يسار مطعون عليه غير مرضىّ الطريقة ، يُحكى أن أمير المدينة رُمِىَ إليه أن محمدًا يغازل / النساء ، فأمر بإحضاره ، وكانت له شَعَرَة حسنة ، فرفق [٢] ٢٩/أ رأسه وضربه أسواطًا ، ونهاه عن الجلوس فى مؤخرة المسجد ، وكان حسن الوجه ، ويقال : كان تعمل له الأشعار يؤتى بها ، ويسأل أن يدخلها فى كتابه فى السيرة ، فيفعل ، فضمن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة

---

(١) سيرة ابن هشام (٣٤/٢) .
والشفا للقاضى عياض (١٣٧/١) .

(٢) فى الفهرست : مصدر المصنف : « فرقق » ولا أدرى المعنى إلا أن يكون حلق شعره أو قصره . والله تعالى أعلم .

الشعر ، وأخطأ فى النسب الذى أورده فى كتابه . وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسميهم فى كتبه أهل العلم الأول [١] .

ولم يَبْنِ بعائشة رسولُ الله ﷺ بإجماعٍ من جميع الطوائف إلا بالمدينة تزوجها بمكة ، وهى بنت ست سنين ، وفى رواية بنت سبع سنين ، والإسراء كان فى أول الإسلام .

[الاختلاف فى زمن الإسراء والمعراج]

واختلف فيه أهل النقل ، فقال أبو الحسين أحمد بن فارس المحدث اللغوى : كان الإسراء وسن رسول الله ﷺ إحدى وخمسون سنة .

---

(١) الفهرست لابن النديم (ص ١٠٥) وقال : وتوفى سنة خمسين ومائة .

والحق أن المصنف تجنى على ابن إسحاق فى عرض ترجمته بهذه الصورة فمن عدلوه أكثر ممن جرحوه وروى له معظم الأئمة ؛ أصحاب السنن الأربع ومسلم والشافعى وأحمد .

وفيما يلى ترجمة عادلة لمحمد بن إسحاق ، كما قدمها الحسينى فى التذكرة ملخصا ماجاء عنه فى تهذيب الكمال :

روى عن أبيه ، وأبان بن عثمان ، وأبان بن صالح ، وجعفر الصادق ، والزهرى وعطاء ، ونافع ومكحول ، وخَلْق . وعنه شعبة ، ويحيى الأنصارى ، وهما من شيوخه وشريك ، والحمادان والسُّفيانان ، وزياد البكّائى ، وآخرون . وثقه ابن معين مرة ، وضعفه أخرى ، وقال العجلى : مدنى ثقة ، وقال ابن المدينى : صالح وسط ، وقال أحمد : حسن الحديث ، وقال الشافعى : من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن إسحاق . وقال مالك : دجّال من الدَّجاجلة . قال الخطيب : قد ذكر بعض الرجال أن مالكا عابه جماعة من أهل العلم فى زمانه بإطلاق لسانه فى قوم معروفين بالصلاح والديانة والثقة والأمانة . قال الخطيب وقد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن اسحاق غير واحد من العلماء لأسباب منها : أنه كان يتشيع ، ويُنْسَب إلى القدر ويدلِّس فى حديثه . **فأما الصدق فليس مدفوعًا عنه** ، وقال ابن عدى : لا بأس به ، وقال ابن سعد ، وغيره : مات سنة إحدى وخمسين ومائة قال . وقال ابنه : مات سنة خمسين .

(التذكرة لرواة العشرة ١٩٣/أ ، وهو يطبع بتحقيقنا - إن شاء الله تعالى) .

وانظر ترجمته الموسعة فى تهذيب الكمال ، وفيها يتجلى ما قلناه : إن الذين عدلوا ابن إسحاق أكثر من الذين جرحوه ، ولا يصل تجريحه إلى ما قدمه المصنف سامحه الله تعالى وغفر لنا وله وللمسلمين . ٤٠٥/٢٤ - ٤٢٩ . وقال المزى فى آخر ترجمته :

« استشهد به البخارى فى الصحيح ، وروى له فى « كتاب القراءة خلف الإمام » وغيره ، وروى له مسلم فى المتابعات ، واحتج به الباقون » ؛ أى أصحاب السنن الأربع .

وقال إمام العراقيين أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربى : كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الأول ، قبل الهجرة بسنة .

وقال أبو بكر محمد بن على الذهبى فى تاريخه : ثم أسرى بالنبى ﷺ من مكة إلى بيت المقدس فعرج به إلى السماء بعد مبعثه بثمانية عشر شهراً .

قال ذو النسبين رضى الله عنه فعلى قول الذهبى : لم تكن عائشة ولدت بعدُ .

وقال موسى بن عقبة : كان قبل الهجرة بسنة ، رواه عنه محمد بن فُلَيْح عن ابن شهاب . ذكره ابن أبى خيثمة فى تاريخه .

٢٩/ب وروى / الوقاصى واسمه عثمان بن عبد الرحمن ، عن الإمام المقدم أبى بكر محمد بن شهاب الزُّهْرِىّ أنه أسرى برسول الله ﷺ بعد مبعثه بخمس سنين .

حدثنا الفقيه الحسن بن الحسين الفاسى قال : حدثنا الفقيه العالم أبو الحجاج ابن عُدَيس قال : قرأت على العالم الربانى أبى عُمر النَّمَرِىّ قال : قرأت على عبد الله بن محمد بن يوسف : أن محمد بن يحيى حدثهم قال : حدثنا أحمد بن محمد بن زياد قال : حدثنا أحمد بن عبد الجبار العُطارِدِىّ قال : حدثنا يونس بن بُكَير قال : حدثنا عثمان بن عبد الرحمن ، عن الزهرى قال : فُرِضَت الصلاة بمكة بعد ما أوحى الله إلى النبى ﷺ بخمس سنين ، وفرض الصيام بالمدينة قبل بدر ، وفرضت الزكاة والحج بالمدينة وحرمت الخمر بَعْدَ أُحُد .

فقول الزهرى أصح من قول الذهبى ، وبه قال ابن إسحاق ، ورواية الوقاصى على جرحه عند ابن معين وغيره أولى من رواية موسى بن عُقْبَة فى هذا الموضع ؛ لأن محمد بن فليح وَهِمَ عليه فيه ، فيما يقال .

قال الإمام يحيى بن معين : محمد بن فليح بن سليمان أبو عبد الله الأسلمى يروى عن موسى بن عُقبة ، ليس بثقة .

وقال أبو حاتم الرازى : ليس بذاك القوى ، وأبوه فليح ليس بقوى ، ولا يحتج بحديثه .

قلت : وقد أخرج لهما البخارى فى صحيحه ، والجرح أعمل من التعديل ؛ لأنه شهد بأمر خاص ، وعَلِمَ من باطن الحال مالم يعلمه من شهد / بظاهرها ، وهو أمر طارىء عليه . ٣٠/أ

وأيضا فإن العلماء لا يختلفون أن خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة ، وخديجة توفيت قبل الهجرة بأعوام ، قيل : بخمس سنين ، وقيل : بثلاثة أعوام ، وصلت فى بيتها هى ، وعَلِىّ ، وزيد بن حارثة [١] ، ثم خرج بهم إلى الحرم ، فصلى بهم وبأبى بكر الصديق رضى الله عنهم . فهذا مذهب ابن شهاب أن الإِسراء كان بعد مبعثه بخمسة أعوام وهو ممن يذهب إلى أن رسول الله ﷺ أقام بمكة بعد أن بعث ثلاث عشرة سنة .

وعلى هذا أكثر الناس ، من أهل البيت ، وغيرهم .

ومع هذا الخلاف والنزاع فقد ثبت بإجماع : أن رسول الله ﷺ لم يدخل بعائشة رضى الله عنها إلا بالمدينة . قيل : بنى بها سنة هاجر . وقيل : سنة اثنتين من الهجرة فى شوال ، وهى ابنة تسع سنين .

وثبت الإِنكار عنها فى صحيحى البخارى ، ومسلم من حديث مسروق عنها أن يكون رؤياه لربه جل وعلا رؤيا عين [٢] فدل أن اعتقادها فيه أنه أسرى بجسده ، ولو كانت عندها منامًا لم تنكره .

فإن قيل : إن قوله جل وعلا ﴿ ماكذب الفؤاد ما رأى ﴾ [٣] جعل ما رآه للقلب ، وهذا يدل على أنها رؤيا نوم ، ووحى ، لا مشاهدة عين .

---

(١) فى الأصل : وزيد وحارثة ، وهو خطأ ظاهر .

(٢) خ : (٢٩٨/٣) (٦٥) كتاب التفسير (٥٣) - سورة النجم - من طريق يحيى ، عن وكيع ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن عامر ، عن مسروق عنها . رقم (٤٨٥٥) .

م : (١٥٩/١) (١) كتاب الإيمان (٧٥) باب معنى قول الله عز وجل : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ وهل رأى النبى - ﷺ ربه ليلة الإسراء - من طريق زهير بن حرب ، عن إسماعيل بن إبراهيم ، عن داود ، عن الشعبى ، عن مسروق به رقم (١٧٧/٢٨٧) .

(٣) النجم : (١١) .

وفى صحيح مسلم بنقل العدل عن العدل عن ترجمان القرآن العالم به الفقيه فيه عبد الله بن عباس : ﴿ ماكذب الفؤاد ما رأى ﴾ ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ قال : رآه / بفؤاده مرتين [١] . ٣٠/ب

والصحابى الذى شهد الوحى إذا فسر آية من القرآن أنها نزلت فى كذا ، فهو حديث مُسْنَد باتفاق أهل الصنْعَة ، ولذلك أوردوه فى مسانيدهم ؛ رواه عن ابن عباس أبو العالية البَرَاء ، واسمه زياد بن فيروز ، بصرى ثقة ، كان يَبْرِى النَّبْل ، فسمى البَرَاء ، وكان زاهدًا يعيش من عمل يده .

والجواب : أما ابن عباس فلم يرو عنه إنكار أن يكون الإسراء بالجسد .

وقوله : رآه بفؤاده مرتين لا يمنع من قوله : إنه رآه رؤية عين ، كما سنذكره فى اختلاف العلماء فى رؤية النبى ﷺ لربه مع قولهم بأنه أسرى به بجسده ، والصحابى إذا فسر آية وجب الاعتماد على تفسيره ، إذا لم يكن فيها قول آخر لغيره ، فحينئذ لا يكون أحدهما أولى فى الاعتماد على قوله من الآخر .

وقد اختلف فى تفسير الآية من غير ابن عباس : فقيل : أى لم يوهم القلبُ العينَ غيرَ الحقيقة ، بل صَدَّق رؤيتها .

وقيل : ماكذب الفؤاد ما رأى ، أى لم يخبركم لسانه إلا عن قلبه ، ولا اعتقد قلبه ، إلا المعلوم الصحيح ، ولم يكن حُلْمًا ولا تخيُّلًا . قال الله العظيم ﴿ أَفَتُمَارُونَهُ على مايرى ﴾ [٢] أفتمارونه تجادلونه فيما شاهده وتمارونه : تَجْحَدُونه .

وقيل : ما أنكر قلبه ما رأته عينه ، وهذا أبين ، وهو تصريح فى القولين برؤية العين .

---

(١) م (١٥٨/١) الموضع السابق – من طريق أبى بكر بن أبى شيبة ، وأبى سعيد الأشج ، عن وكيع ، عن الأعمش ، عن زياد بن الحصين أبى جَهْمَة ، عن أبى العالية ، عن ابن عباس به . رقم (١٧٦/٢٨٥) .

(٢) النجم : (١٢) .

ثم الآية مقابلة بالآية الأخرى ، وهى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ / ما زاغ : عدل عما أريه ، وما طَغَى : ماطلب أن يرى غير ذلك ، فقد أضاف الأمر إلى البصر ؛ أى ما أَعَار طَرْفُه شيئا من الأكوان وعَلَتْ هِمَّتُه عن الالتفات إلى الآيات والكرامات ، والجنة والنار ، ومن شاهد البحر استقل الأودية والأنهار ، وإذا تقابلت الآيتان وجب الجمع بينهما ما أمكن ، وإذا لم يكن فى حملهما على ظاهرهما محال صح الجمع . ٣١/أ

ووجه ذلك أن يكون رآه بفؤاده ، ورآه بعينه فى مرتين مختلفتين ؛ بدليل الآيتين ؛ بل هى آية واحدة فسّر آخرها أولها ؛ من حيث الرؤيةُ المختلفةُ باختلاف المحَلّيْن ؛ أعنى الفؤاد المنصوص عليه ، والبصر المنصوص عليه ، فهما رؤيتان لهما مَحَلَّان فى مرتين . والله أعلم .

فثبت والحمد لله بالكتاب العزيز وصحيح الآثار وقول علماء الأمصار **أن الإسراء كان بالروح والجسد .**

* * *

[رؤية رسول الله ﷺ ربه ليلة الإسراء]

وقد اختلف العلماء : هل رأى محمد ﷺ ربه جل وعز ليلة الإِسراء ، فأنكرها عَليّ عليه السلام ، وبه قال جميع الشيعة .

وكذلك روى في الصحيحين معاً عن عائشة أنها قالت : من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفِرْيَة [١] .

وفي جامع أبي عيسى الترمذى عن ابن عباس : أنه رآه [٢] ، وكذلك قال كعب [٣] .

وقال أبو الحسين علي بن إسماعيل الأشعريّ ، وجماعة من أصحابه أنه رأى الله تعالى ببصره ، وعَيْنَيْ رأسه ، وقال : كل آية أوتيها نبى من الأنبياء فقد أوتى نبينا محمد ﷺ مثلها ، وخص من بينهم بتفضيل الرؤية [٤] .

٣١/ب وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى وذكر إنكار عائشة أنه / رآه فقال الزهرى : ليست بأعلم عندنا من ابن عباس [٥] .

وقول أبي هريرة في هذه المسألة كقول ابن عباس أنه رآه [٦] .

---

(١) انظر التخريج السابق (ص ٧١) .

(٢) ت : (٣٩٥/٥) (٤٨) كتاب تفسير القرآن (٥٤) باب ومن سورة النجم - من طريق سعيد ابن يحيى بن سعيد الأموى ، عن أبيه ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن ابن عباس في قول الله تعالى : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ﴾ ... قال ابن عباس : قد رآه النبى - ﷺ .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن .

(٣) ت : (٣٩٥/٥) الموضع السابق - من طريق ابن أبي عمر ، عن سفيان ، عن مجالد ، عن الشعبى .. قال كعب : إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى ، فكلم موسى مرتين ، ورآه محمد مرتين .

(٤) الشفا للقاضى عياض : (١٤٠/١) فقد نقل المصنف ذلك منه . والله تعالى أعلم .

(٥) فى تفسير عبد الرزاق (٢٥٢/٢) وفيه أن الذى قال هذا هو معمر . وليس الزهرى . والله تعالى أعلم .

(٦) الشفا : (١٤٠/١) .

وكان عروة بن الزبير يشتد عليه إنكار عائشة خالته .

وقال النقاش فى تفسيره عن ابن حنبل أنه سئل : هل رأى محمد ﷺ ربه ؟ فقال : رآه ، رآه حتى انقطع صوته [(١)] . وهذا مشهور عن ابن حنبل ولا أقطع بقول النقاش فى هذا الباب ؛ لأنه عندهم كذاب .

قال ذو النسبين رضى الله عنه : وليس فى هذا الباب حديث متواتر عن النبى ﷺ يوجب العلم والعمل ، فيقطع به ، ولا نَصٌّ من القرآن قاطع ؛ إذْ المُعَوَّل فيه على آيتى النجم ، والتنازع فيهما مأثور ، والاحتمال لهما ممكن .

قال القاضى عياض بن موسى : وحديث عائشه فى الإنكار ، وحديث ابن عباس فى الإثبات لم يسنداه إلى النبى ﷺ فيجب العمل به ، وإنما حَدَّث كل منهما عن اعتقاده ، ومن أثبت منهما رؤية النبى ﷺ لربه جل وعلا ليلة الإسراء فإنما استدل برؤية الجبل فجعله دليلا على الجواز [(٢)] .

قال ذو النسبين رضى الله عنه : بل حديث ابن عباس مسند صحيح رواه الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل فى مسنده .

قرأت بمدينة واسط العراق على القاضى العدل تاج الدين أبى الفتح رحمه الله قال :

حدثنا الثقة أبو القاسم سماعا عليه ، نا أبو على الواعظ / الثقة سماعا عليه قال : نا أبو بكر القُطَيْعِيّ الثقة سماعا عليه قال : نا العدل أبو عبد الرحمن سماعا منه قال : حدثنى أبى الإمام أبو عبد الله سماعا من لفظه نا الأسود بن عامر ، نا حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيت ربى تبارك وتعالى » [(٣)] . ٣٢/أ

والأسود بن عامر يكنى أبا عبد الرحمن ، ولقبه شاذان أصله شامى سكن بغداد ، اتفقا على الإخراج عنه ؛ لثقته ، وحفظه .

---

(١) المصدر السابق (١٤٠/١) .

(٢) لخص المصنف هنا كلام القاضى عياض ، إذ ليس نصه موجودًا هكذا فى الشفا (١٤١/١ - ١٤٣) .

(٣) حم (٢٨٥/١) من طريق أسود بن عامر به .

قال على بن المدينى : الأسود بن عامر ثقة .
وقال البخارى : مات ببغداد سنة ثمان ومائتين .
قال أبو حاتم : هو صدوق ، صالح .
وأما الإِمام حماد بن سلمة فأحد أئمة المسلمين ، وعلمائهم وفقهائهم ، ونُحَاتِهم .
قال البخارى فى تاريخه : حدثنا سليمان بن حرب قال : مات حماد بن سلمة سنة سبع وستين ومائة ، فى آخر العام ، حين بقى منه أحد عشر يوما .
أخرج جميع المصنفين عنه ، وأكثر من حديثه مسلم فى صحيحه ، وأخرج عنه البخارى فى كتاب الرقاق ، عن أبى الوليد الطيالسى ، عنه ، عن ثابت البُنَانىّ .
قال يحيى بن معين : وهو أثبت الناس ، وأعرف بحديث ثابت البُنَانىّ .
وأما أبو الخطاب قتادة بن دِعَامَة بن قتادة السَّدُوسىّ ، وكان أعمى ، وهو بصرى ثقة ، اتفقا على الإِخراج عنه فى الصحيحين ، وكان أحفظ أهل زمانه .
قاله سعيد بن المُسَيَّب .
٣٢/ب / وقال عبد الرزاق : حدثنا معمر ، عن قتادة قال : ماقلت لأحد قط أَعِدْ عَلَىَّ الحديث .
وأما عِكْرِمَة فثقة عند أكثر العلماء ، عالم بتأويل كتاب الله عز وجل ، وأكثر عنه البخارى فى صحيحه ، وصرح مالك باسمه فى كتاب الحج من مُوَطَّئه .

* * *

[النظر إلى الله عز وجل فى الآخرة]

وأما النظر إلى الله جل جلاله فحقّ لأهل الجنة ، ثابت بنص كتاب الله ، وبنقل العدول ، عن العدول ، عن رسول الله ﷺ أخرجاه فى الصحيحين (١) وغيرهما ، وقد أفردتُ جزءًا فى ذلك فيه خمسة وعشرون صحابيًّا ؛ منهم أبو بكرة ، وعليّ ، وعمَّار ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن مسعود ، وأُبَيّ بن كعب ، وابن عمر ، وابن عباس ، وأبو سعيد الخدرى ، وحذيفة ، وأبو موسى الأشعرى ، وأبو هريرة ، وصهيب ، وأبو رَزِين العُقَيْلِي ، وأنس ، وكعب بن عُجْرَة ، وجابر بن عبد الله ، وفَضَالة بن عُبَيْد ، وأبو بَرْزَة الأسْلَمِيّ ، وعَدِيّ ابن حاتم ، وجرير بن عبد الله البَجَليّ رضى الله عنهم . وهذا حديث متواتر .

وصفة التواتر ثلاث ، متى اجتمعت وقع العلم بخبرهم ، ومتى عدمت ، أو بعضها لم يقع العلم بخبرهم . **إحداها** : العقل ، **والثانية** : أن يضطروا إلى علم ما أخبروا عنه **والثالثة** : أن يبلغوا عددًا كل من بلغه ووجد فيه الوجهان المتقدمان وقع العلم بخبره . ولابد أن يزيد على الأربعة . قاله القاضى سيف السنة أبو بكر .

قال ذو النسبين رضى الله عنه : وعندى فيه نظر من جهة العدد ؛ لأنه يجوز أن يقع العلم الضرورى بخبر الخمسة ، وأن لا يقع ، ولا طريق لنا / أن نقطع على أنه يقع العلم بخبرهم إلا لو أخبرنا أربعة عن خبر تساوت أحوالهم فى الاضطرارية ، فلم يقع لنا العلم بمخبرهم ، وأخبرنا خامس قد ساواهم فى الاضطرار إلى ذلك فوقع العلم بصدقهم ، وهذا يتعذر تتبعه ولا نقطع على أنه لا يقع بخبرهم ؛ لأنه إذا أخبرنا خمسة عن معنى من المعانى ، فلم يقع لنا العلم بخبرهم جوزنا أن يكون فيهم مقلد ، وظان ، فيجب التجويز والتوقف . ٣٣/أ

فإن قيل : كيف يصح لكم الدعوى لعلم الضرورة بخبر التواتر ، وأنتم لا تعلمون عددهم معينا ؟

---

(١) سيأتى الحديث المتفق عليه من الصحيحين ، وسيأتى تخريجه قريبًا - إن شاء الله تبارك وتعالى .

فالجواب : أنه لا يمتنع - كما نعلم - أن من الطعام والشراب ما يشبع ، ويروى ، ولا نعلم قدره محصورا ، ونعلم أن من الأمارات ما يعلم به خجل الخجل ، وإن لم يعين ذلك .

وأما خبر الآحاد فهو مارواه الرجل الواحد الثقة .

فقال جماعة ممن ينسب إلى العلم لا يقع به العلم ؛ لأن المخبر ، وإن كان ثقة يجوز عليه الغلط والسهو ؛ كالشاهد . وإنما يغلب على ظن السامع له صحته لثقة المخبر به ، وأنه يوجب العمل ، دون العلم ، وهو قول الشافعى وجماعة من أهل النظر ، ولا يوجب العلم عندهم إلا ما شهد به على الله ، وقطع العذر بمجيئه مجيئا لا خلاف فيه . وكل هؤلاء يدين بخبر الواحد العدل فى الاعتقادات ، ويعادى ويوالى عليها ، ويجعلها شرعا ودِينًا فى معتقده .

وقال أكثر العلماء ؛ علماء الأثر والفقه والنظر منهم أحمد بن محمد بن حنبل ومحمد بن خواز بنداد / ، والحسين بن على الكرابيسى ، صاحب الشافعى ، وداود الظاهرى : إن خبر الواحد يوجب العلم والعمل جميعا ، وذكر ابن خواز بنداد أن هذا القول يُخَرَّج على مذهب مالك ، قالوا : الإنسان إذا أقر على نفسه بالقتل علمنا صدقه . ٣٣/ب

وعلى قبول خبر الواحد الصحابة والتابعون ، وفقهاء المسلمين ، وجماعة أهل السنة يؤمنون بخبر الواحد ، ويدينون به فى الاعتقادات .

وأنكر العمل بخبر الواحد أهل الأهواء والبدع كالجُبَّائى ، والقاسيانى ، والرافضة ، ويد الله مع الجماعة .

وآخر من رواه عن رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البَجَلِيّ قال : كنا مع النبى ﷺ فى سفر فنظر إلى القمر ليلة البدر ، فقال : « إنكم سترون ربكم تبارك وتعالى عَيَانًا يوم القيامة ؛ كما ترون هذه [1] لا تُضَامُون فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تُغْلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ، وقبل الغروب فافعلوا ، وقرأ : ﴿ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾ [2] » .

---

(١) كذا فى النص .
(٢) ﴿ ق ﴾ : (٣٩) .

هذا حديث مجمع على صحته [١] . وهو أصل من أصول الدين وهذا يرفع الإشكال ويمنع الاحتمال ؛ لأن المعتزلة تأولت قوله ﷺ : « تَرَوْن ربكم يوم القيامة ، كما ترون القمر » . فقالوا : معناه رؤية العلم ، وإن المؤمنين يعرفون الله يوم القيامة ضرورة .

وهذا خطأ من قِبَل أن الرؤية إذا كانت بمعنى العلم ، تعدَّت إلى مفعولين ، وذلك كما يقول القائل رأيت زيدًا فقيهًا ؛ أي علمته . فأما إذا قال : « رأيت / زيدًا » مطلقًا فلا يعنى فيه إلا رؤية البصر ، وقد حقق ذلك رسول الله بما أَكَّدَه من تشبيهه برؤية القمر ليلة البَدْر ، وتلك رؤية البصر ، ولا رؤية علم . ٣٤/أ

ثم في هذا الحديث المجْمَع على صحته : « إنكم سترون ربكم تبارك وتعالى عَيَانًا » فأزاح الإِشكال ، ومنع الاحتمال ؛ لأن الرؤية - وإن كانت تستعمل في معنى العلم - فإنها إذا قرنت بلفظ العَيَان لم يحتمل غير العين ؛ وذلك كقول القائل : رأيت زيدًا مُعَايَنَةً ، وعَيَانًا ، لا تحتمل معنى العلم ، كما أنه إذا قال : رأيت زيدًا بقلبي ، لم يحتمل رؤية البصر .

قرأته بمدينة أصبهان على الأمين الفاضل أبي جعفر محمد بن أحمد قال : سمعته على أم إبراهيم العابدة قالت : سمعته على النحوي الفاضل أبي بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن رَبْدَة قال : سمعته على الإمام أبي القاسم سليمان ابن أحمد اللخمي الطَبَرَانيّ قال : حدثنا موسى بن هارون قال : حدثنا خَلَف بن هشام البزار ، حدثنا عبد ربه بن نافع أبو شهاب الحَنَّاط عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله [٢] .

---

(١) خ : (١٩٠/١) (٩) كتاب مواقيت الصلاة - (١٦) باب فضل صلاة العصر - من طريق الحميدي ، عن مروان بن معاوية ، عن إسماعيل ، عن قيس ، عن جرير به . رقم (٥٥٤) وأطرافه في (٥٧٣ ، ٤٨٥١ ، ٧٤٣٤ ، ٧٤٣٥ ، ٧٤٣٦) .

م : (٤٣٩/١) (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة : (٣٧) باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما - من طريق زهير بن حرب ، عن مروان بن معاوية الفزاري ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير به . رقم (٦٣٣/٢١١) .

(٢) معجم الطبراني الكبير : (٣٣٣/٢) من طريق موسى بن هارون ، عن خلف بن هشام البزار ، عن أبي شهاب الحناط به . رقم (٢٢٣٣) .

فكأن شيخى سمعه من أصحاب الفِرَبْرِىّ صاحب البخارى ، لأنه أخرجه فى صحيحه فى ستة مواضع من حديث إسماعيل هذا .

وكذلك مسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجة وغيرهم .

وحديث أبى شهاب أخرجه البخارى [1] فى صحيحه فى كتاب التوحيد ، وهو آخر الصحيح فى باب قول الله / عز وجل : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ عن يوسف بن موسى – وهو يوسف بن موسى بن راشد بن بلال ، أبو يعقوب القَطَّان الكوفى ، سكن بغداد ، ومات بها سنه اثنتين وخمسين ومائتين ، ثقة صدوق – عن عاصم بن يوسف اليَرْبُوعِىّ الكوفى الثقة ، عن أبى شهاب ، واسمه عبد ربه بن نافع . ٣٤/ب

قال يحيى بن معين : هو ثقة – عن أبى عبد الله إسماعيل بن أبى خالد ، أوثق أصحاب الشعبى وأحفظهم – عن قيس بن أبى حازم ، عن جرير قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ليلة البَدْر فقال : « إنكم سترون ربكم عَيَانًا ...»

وقيس كوفى ، ثقة وأبوه أبو حازم من الصحابة رضى الله عنهم .

واختلف فى اسمه فقيل : عبد الله بن عوف وقيل : عوف بن عبد عوف ، وقيل : عبد عوف بن الحارث ، وقيل : عوف بن عبد الحارث ، وهو أصح ، قاله : أبو الحسين محمد بن القاسم التيمى النَّسَّابة .

وقيل : حصين بن عوف وهو أَحْمَسى ، من ولد أَحْمَس بن الغوث ابن أنمار ابن أراش .

فكأن شيخى قرأه على أصحاب الفِرَبْرىّ .

وقوله : « **عَيَانًا** » يُعدُّ فى أفراد أبى شهاب ، وتابعه عليه زيد بن أبى أُنَيْسَة الثقة .

---

(١) خ : (٣٩٠/٤) (٩٧) كتاب التوحيد (٢٤) باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ من طريق يوسف بن موسى ، عن عاصم بن يوسف اليربوعى ، عن أبى شهاب به . ولفظه : « إنكم سترون ربكم عيانًا » .

ورواه عن إسماعيل نيف وسبعون نَفْسًا من الأئمة والأعلام .

وقوله : « فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة » عقيب ذكر الرؤية يدل على أن المحافظة على الصلاة تؤدى إلى الجنة ، والرؤية .

وإنما خَصَّ رسول الله ﷺ هاتين الصلاتين بزيادة / الوصية لأنهما أعم الصلوات فواتًا . ٣٥/أ

أما صلاة الصبح فإنها فى وقت انغمار الناس فى النوم ، وغَلَبة الغفلة والذهول بحلاوة النوم ، وقد أنشدونا بالأندلس : لأبزون بن مهبودا الكاتب بعمان لنفسه :

وقالوا : انْتَبِه من رَقدَة اللهو والصِّبَى فقد لاحِ صُبْحٌ فى دُجَاك عَجِيبُ
فقلت: أَخِــلَّائِى دَعونى ولَذَّتِى فإن الكَرَى عند الصباحِ يَطِيبُ

وقيل :

وقالوا : أَفِق عن سَكْرَة اللَّهْوِ والصِّبَى فقد لاحِ شَيْبٌ فى دُجَاكَ عِجيبُ
فقلت: أَخِلَّائِى دَعُــونى ولَذَّتِى فَإنَّ الكَرَى عند الصباحِ يطِيبَ

الكَرَى : النعاس ، وأصله اللين والسهولة ، يقال : سير مُكْـرِى ، أى لَـيِّن رَقِيق .

وبعد رحلتى إلى المشرق قرأت بها فى كتاب عنوان « السير » وهو عندى فى مجلدين تأليف أبى الفضل محمد بن عبد الملك الهمدانى ، وذكر فيه أن البيتين للأمير ركن الدولة أبى العباس خسرو فيروز ، وقال : كان شاعرًا أديبًا .

وأمَّا صلاة العصر فهى فى وقت اشتغال الناس بأمور الدنيا .

وتأخير كل واحد منهما يؤول إلى الدخول فى وقت المكروه من طلوع الشمس ، وغروبها ، فيجب المبادرة بهما .

وهما الصلاتان اللتان تشهدهما ملائكة الليل ، وملائكة النهار ، على ما ثبت باتفاق عن النبى ﷺ .

٣٥/ب رواه مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ / قال : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة العصر وصلاة الفجر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون »[(١)] .

قوله : يتعاقبون : أى يتداولون ، يجىء بعضهم ، إثر بعض . وهذا مما جاء الضمير مُقدَّما على اسم الجمع ، على لغات العرب ، وهى لغة بنى الحارث ، وهى لغة أكلونى البراغيث ، وكان ﷺ يعرف جميع لغة العرب .

فصلاة الصبح فاتحة اليوم من العمل الصالح . وصلاة العصر آخر صلوات النهار ، فأراد ﷺ لشفقته على أمته أن تنطوى صحيفة آخر النهار على فعل الصلاة المرفوعة إلى الجبار ، فيكون كفارة لما سَلَف من الخطايا ، فى جميع النهار .

وجرير آخر من أسلم - رضى الله عنه -

وروينا عن الطبرانى : حدثنا أبو الزِّنْبَاع البصرى ، حدثنا حامد بن يحيى البَلْخِىّ قال : قيل لسفيان بن عُيينة : إن بِشْرًا المَرِيسىّ يقول : إن الله عز وجل لا يُرَى يوم القيامة . فقال : قاتله الله الدُّوَيْبَة ، ألم يسمع الله عز وجل يقول : ﴿ كَلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾[(٢)] فجعل احتجابه عنهم عقوبة لهم ، فإذا احتجب عن الأولياء والأعداء ، فأى فَضْلٍ للأولياء على الأعداء ؟

قال ذو النسبين رضى الله عنه : والدليل على أنه ممكن أن يُرَى فى الآخرة ٣٦/أ شرطه فى سؤال موسى الرؤية ما يمكن من استقرار الجبل ، ولا / يستحيل وقوعه .

---

(١) ط : (ص ١٣٢) (٩) كتاب قصر الصلاة فى السفر (٢٤) باب جامع الصلاة

خ : (١/ ١٩٠) (٩) كتاب المواقيت (١٦) باب فضل صلاة العصر - من طريق عبد الله بن يوسف ، عن مالك به . رقم (٥٥٥) .

م : (٤٣٩/١) (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٣٧) باب فضل صلاتى الصبح والعصر والمحافظة عليهما . من طريق يحيى بن يحيى ، عن مالك به . رقم (٦٣٢/٢١٠)

(٢) المطففين (١٥) .

ولو كان محالًا كون الرؤية لَقَيَّدَها بما يستحيل وجوده ، كما فعل بدخول الكافرين الجنة ؛ لَمَّا قيد ذلك بما يستحيل من دخول الجمل فى سَمِّ الخِيَاط .

ولا يشك مسلم أن موسى عليه السلام كان عارفًا برَبِّه وبما يجوز عليه ، فلو كان عنده مستحيلًا لم يسأله ذلك ، ولكان بسؤاله إياه كافرًا ؛ كما لو سأله أن يتخذ شريكا وصَاحِبَةً ، فرؤيته جلت قدرته فى الدنيا جائزة عقلًا ، وليس فى العقل ما يُحيلها بدليل [سؤال] [١] موسى الكليم إياها ، ولكنَّ وقوعها ومشاهدتها من الغيب الذى لا يعلمه إلا من عَلَّمَه الله ؛ لأن الله تعالى قال له : ﴿ لن ترانى ﴾ [٢] ؛ أى لن تطيق ، ولا تَحْتَمِل رؤيتى ، ثم ضرب له مثالا بما هو أقوى من بِنْيَة موسى وأثبت ، وهو الجبل ، وليس فى دليل قاطع على استحالتها ، ولا امتناعها ؛ إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة [٣] .

وأما من استدل على منعها بقوله جل وعلا : ﴿ لا تُدْرِكُه الأبصار ﴾ [٤] فقد اختلف العلماء فى تأويل هذه الآية .

فقيل : لا تدركه أبصار الكفار .

وقال ابن عباس : لا تدركه الأبصار : لا تحيط به .

وقيل : لا تدركه الأبصارُ ، وإنما يدركه المُبْصِرُون .

وكل هذه التأويلات لاتقتضى منع الرؤية ، ولا استحالتها ، وحيث تتطرق التأويلات ، وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع إليه سبيل .

وقوله ﴿ تُبْتُ إليك ﴾ [٥] أى من سؤال مالم تُقَدِّرْه لى .

---

(١) زيدت هذه الكلمة لاقتضاء السياق إياها ، وليست فى الأصل .

(٢) الأعراف : (١٤٣) .

(٣) الشفا : (١/١٤١) فقد نقل المصنف كلام القاضى عياض تقريبًا .

(٤) الأنعام : (١٠٣) .

(٥) الأعراف : (١٤٣) .

٣٦/ب وإذا امتنع أن يُرَى فى الدنيا بسبب أن أبصار / الخلائق لم تُعْطَ فى الدنيا تلك القوة ، أى ذلك الإدراك لم يكن لقوله جل وعلا : ﴿ وجوه يومئذٍ نَاضِرَة إلى ربها ناظرة ﴾ [(١)] وَجْهٌ إلا النظر إليه فى القيامة .

وقال بعض المعتزلة : إن « ناظرة » بمعنى منتظرة ، وأنشد أشعارًا تشهد له على زعمه ، وقد كذَّبه الله جل من قائل بقوله : ﴿ إلى ربها ناظرة ﴾ فقرن حرف الجر بها ، فهى تؤدى إلى نظر العين ، و« يومئذ » ظرف متعلق « بناضرة » و« إلى ربها » متعلقة بمعنى الاستقرار ، والإشارة بـ ﴿ يومئذٍ ﴾ إلى القيامة .

ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « تَعَلَّمُوا أنه لن يرى أحدٌ منكم ربه حتى يموت » [(٢)] .

وهذا نص يرفع جميع الإشكال ، إلا عن أهل الأهواء والضلال .

وقوله ﷺ : « تَعَلَّمُوا » بفتح التاء ، وتشديد اللام قيدناه فى صحيح مسلم بمعنى : « اعلموا » . تقول : تَعَلَّم منى ؛ أى اعلم .

قال الإمام معين الدين تاج الإسلام أبو بكر محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعانى فيما حدثنى غير واحد عنه :

وبهذه الآيات استدل مالك ، وابن عُيينة ، والشافعى وأحمد بن حنبل ، وجماعة من الأئمة على أن المؤمنين يرون الله تعالى فى الجنة على ماشهد بذلك كتاب الله العظيم ، وحديث رسوله محمد الكريم ، وليس بعد هذا سوى الانقياد والتسليم .

وحكى الفقيه القاضى بمدينة سَبْتَة أبو الفضل عياض بن موسى ، وقد حدثنى ٣٧/أ عنه أربعون شيخا ؛ منهم ولداه الفقيهان / أبـو عبد الله محمد ، وأبو محمد

---

(١) القيامة : (٢٢ - ٢٣) .

(٢) م : (٢٢٤٥/٤) (٥٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة - (١٩) باب ذكر ابن صياد - من طريق حرملة بن يحيى ، وعن ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن عمر بن ثابت الأنصارى أنه أخبره بعض أصحاب رسول الله - ﷺ قال يوم حذر الناس الدجال : تَعَلَّمُوا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت . رقم (١٦٩) .

عِمْرَان ، عن الإمام أبي عبد الله مالك بن أنس قال : لم يُرَ فى الدنيا ؛ لأنَّه باقٍ ولا يُرَى الباقى بالفَانِى . فإذا كان فى الآخرة ، ورزقوا أبصارًا باقية رُؤِىَ الباقى بالباقى .

قال القاضى أبو الفضل : وهذا كلام حسن مليح .

ذكره فى كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى [(١)] .

وقد شهدت الآثار الصحيحة عن رسول الله ﷺ ، المبينة لكتاب الله بما فيه شفاء ، لا يردها إلا جاحدٌ أو مُعَانِد .

منها حديث جرير المتقدم آنفا ، وحديث أبي سعيد الخُدْرِىّ ؛ فنص البخارى فى كتاب التوحيد قال : قلنا : يارسول الله ، هل نرى ربنا [(٢)] ؟

وفى صحيح مسلم فى كتاب الإيمان عن أبي سعيد الخدرى أن ناسًا فى زمن رسول الله ﷺ قالوا : يارسول الله : هل نرى ربنا ؟ قال رسول الله ﷺ : « نعم » . قال : « فهل تُضَارُون فى رؤية الشمس بالظهيرة ، صَحْوًا ليس معها سَحَاب ؟ وهل تُضَارُون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوًا ليس فيها سحاب ؟ » قالوا : لا يارسول الله . قال : « ما تُضَارُّون فى رؤية الله تعالى يوم القيامة ، إلا كما تُضَارُّون فى رؤية أحدهما » . الحديث بطوله . وهو متفق على صحته [(٣)] .

وطريق مسلم أتم لفظًا .

---

(١) الشفا : (١٤٢/١) .

(٢) خ : (٣٩١/٤ - ٣٩٢) (٩٧) كتاب التوحيد (٢٤) باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ من طريق يحيى بن بكير ، عن الليث بن سعد ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد ابن أبي هلال ، عن زيد ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدرى به فى حديث طويل . رقم (٧٤٣٩) .

(٣) انظر التخريج السابق عند البخارى

م : (١٦٧/١) (١) كتاب الإيمان (٨١) باب معرفة طريق الرؤية - من طريق سويد بن سعيد ، عن حفص بن ميسرة ، عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد به .

ومنها حديث أبي هريرة : أن الناس قالوا : يارسول الله [١] ...

وفي صحيح مسلم : أن ناسا قالوا لرسول الله ﷺ : يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : هل تضارون / في القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يارسول الله . قال : فهل تُضَارُّون ...»

٣٧/ب

وفي صحيح مسلم : « هل تُضَارُّون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا قال : « فإنكم ترونه كذلك » الحديث بطوله . متفق على صحته .

ومنها حديث أبي موسى الأشعريّ من رواية أبي عِمْرَان الجَوْنِيّ ، واسمه عبد الملك بن حبيب ، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « جَنَّتَان من فِضَّة آنِيَتُهُما ، وما فيهما . وجَنَّتَان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رِدَاء الكبرياء ، على وجهه في جنة عَدْن » . وهو حديث متفق على صحته [٢] .

والكبرياء : فِعْلِياء من الكِبْر ، وهو العَظَمَة ، والمُلْك والسُّلْطَان . فالكبرياء والعَظَمَة صفتان لله سبحانه ، اختص بهما ، لا يَشْرَكُه فيهما أَحد ، ولا ينبغي

---

(١) خ : (٣٩٠/٤) (٩٧) كتاب التوحيد (٢٤) باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ من طريق عبد العزيز بن عبد الله ، عن إبراهيم بن سعد ، عن ابن شهاب ، عن عطاء ابن يزيد ، عن أبي هريرة أن الناس قالوا : يارسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة ... الحديث . رقم (٧٤٣٧) .

م : (١٦٣/١ - ١٦٤) الموضع السابق - من طريق زهير بن حرب ، عن يعقوب بن إبراهيم به ، عن أبيه ، عن ابن شهاب ، عن عطاء بن يزيد ، عن أبي هريرة به .

(٢) خ : (٣٩٣/١) (٩٧) كتاب التوحيد (٢٤) باب قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ من طريق علي بن عبد الله ، عن عبد العزيز بن عبد الصمد ، عن أبي عمران ، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس ، عن أبيه عن النبي - ﷺ به .

م : (١٦٣/١) (١) كتاب الإيمان (٨٠) باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى - من طريق نصر بن علي الجهضمي ، وأبو غسان المِسْمَعِيّ ، وإسحاق بن إبراهيم جميعًا عن عبد العزيز بن عبد الصمد به .

رقم (١٨٠/٢٩٦) .

لمخلوق أن يتعاطاهما ؛ كما ثبت عن أبى سعيد الخدرى ، وأبى هريرة قالا : قال رسول الله ﷺ : « العِزُّ إزارُه ، والكِبْرِيَاء رِدَاؤه ، فمن ينازعنى عَذَّبْتُه » [١] .

وفى صحيح مسلم فى كتاب البر والصلة وتحريم الظلم : « الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدًا منهما ألقيته فى النار » [٢] .

وكما لا يشرك الإنسان فى ردائه وإزاره أحد ، فكذلك لا يشرك الله فى الكبرياء والعظمة مخلوق . فإن صفة المخلوق التواضع والتذلل للإيقان بالعبودية .

وقوله : « رداء الكبرياء على وجهه » هو من مجاز لسان / العرب ، وبديع ٣٨/أ استعارتها ، يَكْنُون عن الصفة اللازمة بالثوب يقولون : شِعَار فلان الزُّهْد ، والشِّعَار مايلى الجسد من الثياب ؛ لأنه يلى الشَّعَر ، ولباسه التقوى ، فالمراد هنا . والله أعلم - صفاته اللازمة له المختصه به التى لا تليق بغيره .

ومنها حديث صُهَيْب بن سِنَان ، وهو من المهاجرين الأَوَّلين ، وممن شهد بدرًا ، وقد غفر الله لمن شهدها من المؤمنين :

فروى عن النبى ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة » قال : « يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئًا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تُبَيِّض وجوهنا ، ألم تُدْخِلْنَا

---

(١) م : (٤/٢٠٢٣) (٤٥) كتاب البر والصلة والآداب (٣٨) باب تحريم الكبر - من طريق أحمد بن يوسف الأزدى ، عن عمر بن حفص بن غياث ، عن أبيه ، عن الأعمش ، عن أبى إسحاق ، عن أبى مسلم الأغر ، عن أبى سعيد الخدرى ، وأبى هريرة عن رسول الله ﷺ به . رقم (١٣٦/ ٢٦٢٠) .

(٢) لم أعثر عليه فى مسلم بهذا اللفظ ، وهو فى :

د : (٤/٣٥٠) (٢٦) كتاب اللباس - (٢٩) باب ماجاء فى الكبر - من طريق موسى بن إسماعيل ، عن حماد ، وعن هناد ، عن أبى الأحوص ، عن عطاء بن السائب كلاهما عن الأغر أبى مسلم ، عن أبى هريرة به . رقم (٤٠٩٠) .

وانظر مزيدًا من تخريج هذا الحديث الصحيح فى التعليق عليه فى كتاب « الأحاديث القدسية الأربعينيه » لملا على القارى - خرجه أبو إسحق الحوينى - مكتبة التابعين بالقاهرة .

الجنَّة ، وتُنَجِّنا من النار ؟ قال : فيكشف الحِجَاب فما أُعْطُوا شيئًا أحَبَّ إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى » [(١)] .

هذا حديث صحيح .

وروى مسلم أيضًا : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة قال : حدثنا يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، بهذا الإِسناد . وزاد : ثم تلا هذه الآية : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ [(٢)] .

رواه عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صُهَيْب .

وفى هذا الباب أحاديث كثيرة ، وفيما ذكرناه كفاية لمن وفَّقَه الله تعالى .

وقال يزيد بن هارون فى هذا الحديث : من كَذَّب بهذا الحديث فهو زِنْدِيق ، أو كافر .

وعلى هذا جماعة الصحابة وأهل السنة والجماعة : أن الله تعالى يُرى فى الآخره بالأبصار ، ويراه أهل الجنة فى دار المُقَامَةِ ، ومَحَلِّ الزُّلْفَى والكرامة .

٣٨/ب / فكتاب الله تعالى يُصَدِّقُ بعضه بعضًا ، فعُلِم أن معنى ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ غير معنى ﴿ إلى ربها ناظرة ﴾ وأن معناه لا تدركه أبصار الخلائق فى الدنيا ، وتدركه فى الآخرة ، على ما بينه رسول اللّهُ ﷺ ، المأمور بالبيان لما أُنْزِل عليه من القرآن ، فَخَصَّ اللهُ جل وعلا برؤيته المؤمنين ، وحَجَب عنه الكافرين .

---

(١) م : (١٦٣/١) (١) كتاب الإيمان - (٨٠) باب إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم سبحانه وتعالى - من طريق عبيد الله بن عمر بن ميسرة ، عن عبد الرحمن بن مهدى ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت البنانى ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن صهيب ، عن النبى - ﷺ به . رقم (١٨١/٢٩٧) .

م : (الموضع السابق) . رقم (١٨١/٢٩٨) .

(٢) الآية الكريمة من سورة يونس : (٢٦) .

شرح قول جرير : « كنا عند النبى ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر » :

القمر أصله من القُمْرَة ، وهى البياض ويجمع القمر أقمارًا ، فإذا قيل : « القَمَرَان » أريد الشمس والقمر ، كما نقول : « العُمَرَان » لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما . ويقال : « جلسنا فى القَمْرَاء » ولا يقال : « جَلسنا فى القمر » .

والبدر : لأربع عشرة ، سمى بَدْرًا لامتلائه ، وكماله ، ويقال : « غلام بَدْر » ، و« جارية بَدْرَة » ؛ إذا تمت ، وكَمُلَت ، ومن هذا قيل لعشرة آلاف درهم : بَدْرَة ؛ لأنها تمام العدد .

وقيل : سمى بَدْرًا لمبادرته الشمس بالطلوع ، كأنه يُعْجِلها [١] بالمغيب .

وقوله ﷺ : « **لا تُضامُون فى رؤيته** » فيه سبعة أوجه :

أحدها : « لا تُضَامُّون » بتشديد الميم ، وضم التاء ، وهو تَفَاعَلُون من الضَّمِّ ، أى لا ينضم بعضكم إلى بعض حال الرؤية لإشكاله وخفائه ، كما يكون وقت الهلال ، أى تَرَون الله عَيَانًا ظاهرًا لا يحتاج بعضكم أن ينضم إلى بعض فى الاستعانة به لجَلَائِه .

والوجه الثانى : « لا تَضَامُّون » بفتح التاء وتشديد الميم على أن تكون : « تتفاعلون » ، فتكون إحدى التاءين محذوفة والأصل تَتَضامُّون .

/ **والوجه الثالث** : « تُضَامُون » بتخفيف الميم وضم التاء فيكون تُفْعَلُون ٣٩/أ من الضيم ؛ وهو الظلم ، بمعنى : لا تظلمون فى ذلك ، فَيُرْزَق بعض المؤمنين الرؤية ، ويُحْرَم البعض .

والوجه الرابع ، والخامس : لا تضـارُّون بتشديد الـراء ؛ أصله «تَضَارَرُون » أو تُضَارَرُون ، من الضُّرِّ ؛ أى لا يضركم أحد ، ولا تَضُرُّوا أحدًا ، بمنازعة ولا مجادلة ، ولا مُضَايَقَةٍ ؛ لأن ذلك كله إنما يُتَصَوَّر فى مَرْئِىّ يُرَى فى

---

(١) فى الأصل : « كأنها يعجلها » وأظنه خطأ من الناسخ .

حين واحد ، أو جهة مخصوصة ، أو قَدْرٍ مُقَدَّر ، وذلك كله فى حق الله تعالى مُحَال .

والوجه السادس : « تُضَارُون » ، مخفف الراء ، فهو من الضير ؛ أى لا يخالف بعضكم بعضًا ، فيكذبه وينازعه ، فيضره ذلك يقال : ضَرَّه وضَارَه ، يَضِيُره ويَضُوره .

وقيل : معناه لا تُضَايَقُون ، والمَضَارَّه المضايقة ، وهو بمعنى تزاحمون ، كما جاء تَضَامُّون .

وقيل : لا يحجب بعضكم بعضا عن رؤيته ، فَيُضَرُّ به .

والوجه السابع : ماروواه البخارى فى صحيحه فى فضل صلاة الفجر : « لا تُضَامُون ، أو لا تُضاهُون » [1] فى رؤيته ؛ أى لا تُشَبِّهُون ربكم بغيره ، والمضاهاة المشابهة .

وقوله : « **كما تَرون القمر** » يعنى فى وضوح الرؤية وتحقيقها ، ورَفْع اللَّبْس ، كما لا يقع لهم فى الدنيا فى رؤية القمر ليلة البدر ، وهى ليلة أربع عشرة .

ودل على هذا قوله فى الصحيحين من رواية غير واحد من الصحابة : هل تُمَارُون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب .

وقيل : إنه أراد استواءهم فى النظر إليه ، ونيل جميعهم كرامة الرؤية من غير تعب ونَصَب ؛ كما يستوى / جميع الناس فى النظر إلى القمر ليلة البَدْر ، ويَنال رؤيته كُلُّ أحد ، من غير مشقة . ٣٩/ب

وليس فى هذا الحديث المتفق على صحته مع غيره من الأحاديث تشبيه الخالق بالخَلْق ، ولا المَرْئِىّ بالمَرْئِى ، وإنما فيه تشبيه النظر بالنظر ، والرؤية بالرؤية .

---

(١) خ (١/١٩٦) (٩) كتاب مواقيت الصلاة (٢٦) باب فضل صلاة الفجر - من طريق مسدد ، عن يحيى ، عن إسماعيل ، عن قيس ، عن جرير بن عبد الله عن النبى - ﷺ . رقم (٥٧٣) .

فإن قيل : كيف يُرَى كما يُرَى القمر ، والقمر جسم متحيز له كَيْف ، والبارئ يتعالى عن ذلك ، والرؤية إنما تتعلق بالمتحيزات الجسمية بشرط المقابلة ؟

قلنا : فى هذا السؤال أمران : أحدهما : كيف يرى كما يرى القمر ؟ والثانى : رؤية ماليس بجسم ؟

فأما الأول فالجواب عنه : أن اختصاص القمر فى هذا الخبر المجمع على صحته إنما كان لأنه أوضح المَرْئِيَّات الليلية ، ولذلك قال ﷺ : ليلة البَدْر ؛ لأنها أتم نورًا ، وتكون الإِشارة فيه إلى أنه يُرَى رُؤْيَة يرتفع معها الشك . ولذلك قال : لا تُضَامُون فى رؤيته على مامضى ذكره فى الأوجه السبعة .

وأما الثانى : فالجواب عنه : أنا لا نجعل المقابلة والجسمية ، واتصال الأشعة شرطًا عقليا فى الرؤية ، وإن جرت بذلك العادة بيننا فى الشاهد ، فهو عادى لا عقلى ، ويجوز رفع العادى وخَرْقُه فى حق من لا يجوز عليه المقابلة والجسمية .

وقد سلك أرباب الكلام فى إثبات جوازها طريقين : **عقليًا وسمعيًا** .

فأما العقلى ففيه من الإِشكالات وغوامض الشبهات ، وورود السؤالات ما لا تطمئن النفس فيه / إلى الدلالات ، فالصحيح فيه الالتجاء إلى السَّمْعِيَّات من القرآن العظيم ، والخبر الصحيح الوارد عن العدول الأَثبات . ولذلك فَرَّ الإِمام أبو المعالى فى تواليفه فى آخر عمره إلى السَّمْعِيّ ، وهو الحق الذى يلجأ إليه كل عالم أَلْمَعِيّ . ٤٠/أ

ونص أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشَّهْرِسْتانِيّ فى كتاب النهاية له على ذلك فقال : « لا شكَّ أن وقوع الرؤية مسألة سمعيه ، فليجعل الجواز أيضا مسأله سمعية ، فإن العقلى فى ذلك - كما رأيت - بعُرْضَةِ الإِشكالات ، فلم يطمئن القلب إليه » .

هذا كلامه مع أنه أدقُّ نظرًا عند أصحابه ، وأميل إلى المعقول من المنقول ، وأنا برىء من اعتقاده ؛ لفساد طَوِيَّته ، وخُبْث سريرته ، أخبرنى عنه جماعة من أشياخى بخراسان أنه كان من أهل الإِلحاد والطغيان ، وأنه كان لا يعتقد دِينًا من الأديان .

وكذلك قال لنا الشيخ الفقيه الإمام شهاب الدين الطوسى رحمه الله .

وإذا رجع الكلام فى هذه المسألة إلى السمع فأقوى دليل ماذكرناه فى قصة موسى الكليم ، من الكتاب الكريم ، والخبر المَرْوى الثابت عن النبى ، عليه أشرف التسليم . فنقول برؤية الله تعالى مع نفى ما يؤدى إلى صفات النقص والتجسيم . فقوله سبحانه : ﴿ ليس كمثله شىء ﴾ [١] دلّ على نفى المماثلة ، فيعتقد أصل الصفات ، ونفى المماثلة ، وكذلك نعتقد فى كل صفة من أصلها نفى المماثلة ، كما نعتقد أصل وجوده ، مع نفى المماثلة لسائر / الموجودات . ٤٠/ب

* * *

(١) الشورَى : (١١) .

[فوائد حديث الإِسراء]

وفى حديث الإِسراء إحدى وستون فائدة ، نذكرها على التوالى - بعون الله الكريم :

الفائدة الأولى الواجبة التقديم ، وهى **الكلام على مايوهم التشبيه** من حديث الإِسراء ، ثم نورد الفوائد ، ثم نرجع إلى خاتمه للفوائد ، نذكر فيها قصة النِّيل والفُرَات ، فى آخر هذا الكتاب .

فنقول : تعلقت جماعة من فقهاء المحدِّثين بأحاديث الإِسراء وقالوا : فيها دليل على أن الله عز وجل فى السماء على العرش من فوق سبع سموات ، واحتجوا أيضا بغيره من الأحاديث المجمع على صحتها ، والذى عليه أهل السنة وأئمة الفقه والأثر فى هذه المسائل .

منها حديث النـزول [1] ، وأن الله خلق آدم على صورتـه [2] . وحديث

---

(١) خ : (٣٥٦/١) (١٩) كتاب التهجد (١٤) باب الدعاء والصلاة فى آخر الليل - من طريق عبد الله بن مسلمة ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن أبى سلمة وأبى عبد الله الأغرّ ، عن أبى هريرة - رضى الله عنه أن رسول الله - ﷺ قال : ينزل ربنا - تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخِر ، يقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ؟ ، من يستغفرنى فأغفر له ؟ رقم (١١٤٥) وطرفاه فى (٦٣٢١ ، ٧٤٩٤) .

م : (٥٢١/١) (٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٢٤) باب الترغيب فى الدعاء والذكر فى آخر الليل والإِجابة فيه - من طريق يحيى بن يحيى ، عن مالك به رقم (٧٥٨/١٦٨) .

(٢) خ : (١٣٥/٤) (٧٩) كتاب الاستئذان - (١) باب بدء السلام - من طريق يحيى بن جعفر ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبى هريرة قال : خلق الله آدم على صورته ، طوله ستون ذراعًا ، فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك - نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يحيونك ، فإنها تحيتك وتحية ذريتك . فقال : السلام عليكم . فقالوا : السلام عليك ورحمه الله ، فزادوه : « ورحمة الله ، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، فلم يزل الخلق ينقص بعدُ حتى الآن . رقم (٦٢٢٧) .

م : (٢١٨٣/٤) (٥١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (١١) باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير - من طريق محمد بن رافع عن عبد الرزاق به .

وانظر المعنى الذى يليق بهذا الحديث فى صحيفة همام بن منبه للمحقق (ص ٢٠٥ - ٢٠٨ تخريج الحديث وشرح هذا الجزء من الحديث) .

الأَمَة السوداء [١] : أين الله ؟ قالت : في السماءِ ، وأن موسى عليه السلام لَطَم عين ملك ففقأها [٢] .

وفى إسنادنا عن مَعْمَر عن هَمَّام بن مُنَبِّه قال : هذا ماحدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ ، فذكر أحاديث منها : وقال رسول الله ﷺ : « جاء ملك الموت إلى موسى فقال له : أجب ربك . قال : فلطم موسى عين مَلَك الموت ، ففقأها . قال : فرجع المَلَك إلى الله ، فقال : إنك أرسلتنى إلى عبد لك لا يريد الموت ، وقد فقأ عينى . قال : فرد الله إليه عينه » [٣] وهو حديث طويل .

وفى رواية من طرق الصحيحين قال : « أرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاءه صَكَّه ، / ففقأ عينه » الحديث بطوله . ٤١/أ

وزاد الإمام أحمد فى هذا المتن ، وصحح طرقه ، وأوضح مكنون سِرِّه وحققه ، رحلت بسببها إلى العراق ، فقرأت المسند كله ، وفيه أربعون ألف حديث - على جمال العراقيين ، القاضى بمدينة واسط العراق ، تاج الدين أبى الفتح - رحمه الله - بحق سماعه لجميعه على الرئيس الثقة أبى القاسم بن الحصين ، بحق سماعه لجميعه على الثقة أبى على الواعظ ، بحق سماعه لجميعه على الثقة

---

(١) م : (١/٣٨١ - ٣٨٢) (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة - (٧) باب تحريم الكلام فى الصلاة ، ونسخ ماكان من إباحته - من طريق أبى جعفر محمد بن الصباح ، وأبى بكر بن أبى شيبة عن إسماعيل بن إبراهيم ، عن حجاج الصواف ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن هلال بن أبى ميمونة عن عطاء بن يسار ، عن معاوية بن الحكم السلمى فى قصة طويلة منها قوله ﷺ للجارية : « أين الله ؟ قالت : فى السماء ، قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله . قال : أعتقها ؛ فإنها مؤمنة » .

(٢) سيأتى هذا الحديث وتخريجه - إن شاء الله تعالى .

(٣) خ : (٢/٤٧٨) (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء (٣١) باب وفاة موسى ، من طريق يحيى ابن موسى ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أرسل ملك الموت إلى موسى ..

ثم قال البخارى : وأخبرنا معمر ، عن همام : حدثنا أبو هريرة ، عن النبى - ﷺ . رقم (٣٤٠٧) .

م : (٤/١٨٤٢ ، ١٨٤٣) (٤٣) كتاب الفضائل (٤٢) باب من فضائل موسى عليه السلام - من طريق محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق به . رقم (١٥٨/٢٣٧٢) .

حم (١٦/٦٥) عن عبد الرزاق به (رقم ٨١٥٧/٦١ طبعة أحمد شاكر) .

أبى بكر القُطَيْعِىّ ، بحق سماعه لجميعه على الإمام أبى عبد الرحمن ، بحق سماعه لجميعه من فِلْقِ فى أبيه [(١)] الإمام أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل قال : .

حدثنا أُمَيَّة بن خالد ، ويونُس قالا : حدثنا حماد بن سَلَمَة ، عن عَمَّار بن أبى عَمَّار ، عن أبى هُرَيْرَة ، عن النبى ﷺ قال يونس : رفع الحديث إلى النبى ﷺ قال : « كان ملك الموت يأتى الناس عَيَانًا قال : فأتى موسى فلطمه ، ففقأ عينه ، فأتى ربه عز وجل فقال : يارب عبدك موسى فقأ عينى ، لولا كرامته عليك ، لعَنُفْت به » .

وقال يونس : « لشققت عليه » .

« فقال : اذهب إلى عبدى ، فقل له : فليضع يده على جلد أو مِسْك [(٢)] ثور ، فله بكل شَعَرَة وَارَت يده سَنَة . فأتاه ، فقال له . فقال : مابعد هذا ؟ قال : الموت . قال : فالآن فشَمَّه شَمَّة ، فقبض روحه » .

قال يونس : « فَرَدَّ الله عز وجل إليه عينه ، فكان يأتى الناس خِفْيَة » [(٣)] .

قال الإمام أحمد : حدثنا مُؤَمِّل قال : حدثنا حماد قال : حدثنا عمار بن أبى عمار قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ / : « كان مَلَك الموت » ... فذكره [(٤)] . ٤١/ب

قال ذو النسبين رضى الله عنه : أُمَيَّة بن خالد بن الأسود بن هُدْبَة ، ويقال : ابن خالد بن هُدْبَة ، أخو هُدْبَة بن خالد ، بصرى ، سمع شعبة ، وحماد ابن سلمة ، وابن أخى الزُّهْرِىّ ثقه عدل ؛ قاله الإمامان أبو زُرْعَة ، وأبو حاتم

---

(١) فى القاموس : كلمنى من فِلْق فيه ؛ أى من شِقِّه و« فى أبيه » أى فم أبيه .

(٢) المِسْك : الجلد .

(٣) حم : (٥٣٣/٢) عن أمية بن خالد ويونس به .

ومن طريق مؤمل به .

(٤) انظر التخريج السابق .

وانظر شرحًا لهذا الحديث ومزيد تخريج فى صحيفة همام بن منبه للمحقق (ص ٢١٤ - ٢٢٦) .

الرَّازِيَّـان ، وقالا : يُكْنَى أبا عبد الله ، روى عنه أخوه هُدْبَة ، ومسدَّد ، ومحمد ابن بَشَّار بُنْدَار ، وعَمْرو بن عليّ ، وعلى بن الحسين بن نصر الدِّرْهَمِيّ .

قال البخارى : مات سنة إحدى وثلاثين .

ويونس بن محمد أبو محمد المؤدِّب اتفقا على الإخراج عنه .

وحماد بن سَلَمة إمام من أئمة المسلمين ، وعالم بجميع علوم الدين وعمار ابن أبى عَمَّار مولى بنى هاشم ، يُكَنى : أبا عَمرو ، وقيل : يكنى : أبا عُمَر ، وقيل : يكنى : أبا عبد الله .

قال الإمام أحمد : ثقة .

روى عن ابن عباس ، وأبى هريرة وقتادة الأنصَارِىّ ، وعمران بن حُصَيْن ، وأبى حَبَّةَ البَدْرِىّ روى عنه جماعة من العلماء ؛ منهم عطاء بن أبى رَبَاح ، ويونُس بن عُبَيْد ، وخالد الحَذَّاء ، وشعبة ، وحماد ، وغيرهم .

أخرج عنه مسلم .

ومؤمِّل شيخ الإمام أحمد بصرى ثقة .

وقد أخرج عنه البخارى فى غير موضع من صحيحه .

وقد تكلم العلماء فى تأويل هذا الحديث ؛ فى صَكِّ موسى لملك الموت ولَطْمِه إياه . قالوا : لطَمَه بالحُجَّة ، وفَقَأ عين حُجَّتِه ، وهو كلام مستعمل فى اللغة ، معروف .

وقال لى جماعة من علماء شيوخى – رحمهم الله : إن هذا الحديث ليس فيه ما يُحْكَم على موسى عليه السلام بالتَّعَدِّى ؛ لأن موسى دافع عن نفسه / مَنْ أتَاه لإتلافها وقد تصور له فى صورة آدمى ، ولم يعلم إذْ ذَاك أنه مَلَك الموت ، فدافعه عن نفسه مدافعة أدت إلى ذهاب عين تلك الصورة التى تُصُوِّر له فيها الملك ، امتحانًا من الله تعالى ، فلما جاءه بعدُ وأعلمه أنه رسول رب العالمين استسلم للموت الذى هو سبيل الأولِّين ، والآخرين .

٤٢/أ

وقد ذكرنا عِصْمة الأنبياء من الكبائر والصغائر صلى الله عليهم أجمعين فى كتاب « دليل المُتَحَيِّرين » .

وأن [١] الله تعالى يجعل السموات على إصبع [٢] ... الحديث .

وقوله ﷺ : « وإن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن ، كقلب واحد يُصَرِّفه كيف يشاء » . ثم قال رسول الله ﷺ : « اللهم مُصَرِّف القلوب صَرِّف قلوبنا على طاعتك » .

وفى رواية : « لطاعتك » .

ثبت هذا فى صحيح مسلم [٣] وحده ، منفردًا به دون البخارى : عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن قلوب ...» .

إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة قالوا : نرويها ونُقِرُّها كما جاءت ، بلا كَيْف ، ولا تشبيه ، ونَكِلُ أمر تَأْوِيلِها إلى الله - عز وجل - وهو أحد قولى الأشعرى [٤] .

---

(١) رجع إلى الأحاديث التى توهم التشبيه .

(٢) خ : (٣٨٦/٤) (٩٧) كتاب التوحيد (١٩) باب قول الله تعالى : ﴿ لِمَا خلقتُ بيدىّ ﴾ من طريق مسدد ، عن يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن منصور ، وسليمان عن إبراهيم ، عن عبيدة عن عبد الله أن يهوديًا جاء إلى النبى - ﷺ فقال : يامحمد : إن الله يمسك السموات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والجبال على إصبع ، والشجر على إصبع ، والخلائق على إصبع ، ثم يقـول : أنا الملك ، فضحك رسـول الله - ﷺ حتى بدت نواجذه ، ثم قـرأ : ﴿ وما قـدروا الله حق قدره ﴾ .

قال يحيى بن سعيد : وزاد فيه فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن إبراهيم عن عَبيدة ، عن عبد الله : فضحك رسول الله - ﷺ تعجبًا ، وتصديقًا له .

م (٢١٤٧/٤) (٥٠) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - كتاب صفة القيامة والجنة والنار - من طريق أحمد بن عبد الله بن يونس ، عن فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن إبراهيم عن عبيدة السلمانى نحوه . رقم (٢٧٨٦/١٩) .

(٣) م (٢٠٤٥/٤) (٤٦) كتاب القدر (٣) باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء - من طريق زهير بن حرب ، وابن نمير كلاهما عن المقرئ ، عن حيوة ، عن أبى هانئ ، عن أبى عبد الرحمن الحُبُلِىّ ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما به .

رقم (٢٦٥٤/١٧) .

(٤) الإبانة عن أصول الديانة (ص ٥٣ ، ٥٧ - ٥٨) .

حدثنى الفقيه القاضى الثقة أبو القاسم خَلَف بن عبد الملك بن بَشْكُوَال قراءة منى عليه بجامع قرطبة قال : حدثنا شيخ عصره أبو محمد بن عَتَّاب ، سماعًا عليه قال : أنبأنا العالم أبو عمر بن عبد البرّ قال : أخبرنا أبو القاسم خَلَف بن القاسم الحافظ ، قال : حدثنا عبد الله / بن جَعْفَر بن الورد قال : نا أحمد بن إسحاق قال : نا أبو داود قال : نا الحسين بن محمد قال : سمعت الهيثم بن خارجة قال : حدثنى الوليد بن مسلم قال : سألت الأوزاعى ، وسفيان الثورى ، ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التى جاءت فى الصفات فقالوا : أَمِرُّوهَا كما جاءت بلا كَيْف ، فكلهم أَمَرَّهَا ، ونفى التشبيه عن البارى جل جلاله ؛ لأنه ليس كمثله شىء من خَلْقِه ، ولا يُقَاسُ بشىء من بَرِيَّته ، لا يُدْرَك بقياس ، ولا يقاس بالناس ، لا يوصف إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، أو اجتمعت عليه الأمة الحَنِيفِيَّة . ٤٢/ب

وقال مالك بن أنس فيما حكاه عنه ابن عبد البر فى التمهيد ، وعندى منه أصله فى سبع مجلدات ، فحكى عنه عند قوله ﷺ : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا » .

فحكى عن مالك : من وَصَف شيئا من صفات الله مثل قوله : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾ فأشار إلى عنقه .

ومثل قوله : ﴿ وهو السميع البصير ﴾ فأشار إلى عينيه أو أذنيه ، أو شىء من بدنه قطع ذلك منه ؛ لأنه شبه الله تعالى بنفسه .

ثم قال مالك : أما سمعت قول البَرَاء حين حدَّث أن النبى ﷺ قال : « لا تُضَحَّى بأربع من الضحايا » وأشار البراء كما أشار النبى ﷺ بيده . قال البراء : ويَدِى أقصر من يد رسول الله ﷺ إجلالًا له وهو / مخلوق ، فكيف الخالق الذى ليس كمثله شىء » ؟ (١) . ٤٣/أ

---

(١) التمهيد (١٤٥/٧ - ١٤٦) .

وقال الفقيه القاضى بسَبْتَة أبو الفضل عياض بن موسى فى كتاب « الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ » عن مالك قال : من وصف شيئا من ذات الله تعالى ، وأشار إلى شيء من جسده ؛ يد ، أو سمع ؛ أو بصر - قُطِعَ ذلك منه ؛ لأنه شَبّه الله تعالى بنفسه (١) .

قال ذو النسبين رضى الله عنه : وهذا لا يلزم عند فقهاء المسلمين ، ولا يصح عن مالك رحمه الله ؛ لأن الراوى عن ابن وهب عن مالك ، هو حَرْمَلَة بن يَحْيَى قال أبو حاتم الرازى فى تعديله وتجريحه : حرملة لا يحتج به . وقال يحيى ابن معين: دخلت مصر فرأيتهم يتكلمون فيه .

وإنما الحكم فى ذلك أن يستتاب عن التشبيه ، فإن تاب ، وإلا قتل ، وإن كانت له بُنَيّتٌ (٢) له ، وردّ عنها ، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ خلاف ما قال ، ولا رَأْى لأحد مع رسول الله ﷺ ولا مقال .

أخرج البخارى فى صحيحه فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة فى ترجمة نصها : « باب قول الله عز وجل : ﴿ ولتصنع على عينى ﴾ تُغَذَّى ، وقوله تعالى : ﴿ تجرى بأعيننا ﴾ .

قال ذو النسبين رضى الله عنه : ومعنى ﴿ ولتصنع على عينى ﴾ ؛ أى تُرَبَّى وتُغَذَّى بمرأى منى ، لا أَكِلُكَ إلى غيرى .

وأسند البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل قال : حدثنا (٣) جُوَيْرِيَة ، عن نافع عن عبد الله ، قال : ذُكِرَ الدَّجّال عند النبى ﷺ فقال : « إن الله لا يَخْفَى عَلَيْكم ، إن الله ليس بأعور ، وأشار / بيده إلى عينه ، وإن المسيح الدَّجال أعور عين اليُمنى ، كأن عينه عِنَبة طافية » (٤) . فنَفْىُ العَوَر عن الله جل جلاله ، ٤٣/ب

(١) الشفا (٢/٢٢٠) .
(٢) كذا ، وربما كان الصواب : « وإن كانت له شبهة بُيِّنَت له وردّ عنها » .
(٣) فى الأصل : « حدثتنا جويرية » وهو خطأ .
(٤) خ (٤/٣٨٥) (٩٧) كتاب الوحيد - (١٧) باب قول الله تعالى : ﴿ ولتصنع على عينى ﴾ تُغَذَّى ، وقوله جل ذكره : ﴿ تجرى بأعيننا ﴾ - من طريق موسى بن إسماعيل ، عن جويرية ، عن نافع به رقم (٧٤٠٧) .
=

وإثباته فى الدجال لا يعطى إلا نفى العَيْب والنَّقْص عن الله جلت قدرته ، ومن أكبر النقائص إثبات الجوارح .

فمعنى نفى العَوَر عنه أنه ليس بناقص الإدراك .

فائدة ثانية : وهى كالأولى فى نفى التشبيه ، وإنما فيها اختصاص **نفى الجِهَة** بنظرٍ من المعقول .

اعلموا رحمكم الله ، وتَفَهَّمُوا أن الكلام فى هذه المسألة إما أن يدار على لفظ ، أو على معنى . فإن أدرناه على لفظ وجب تأويله ، وعند ذلك إذا فتح باب التأويل ، لم يبق مع مُدَّعِى الجهة والمكان دليل ؛ لأن السماء فى اللغة التى أنزل الله بها كتابه وبعث بها رسوله ممدودة مؤنثة ، وتجمع سموات واشتقاقها من السُّمُوّ ، وهو العُلُوّ ، ومنه سماء البيت : سقفه ، فهو اسم لكل ما علاك ، فأعلى كل شىء سماؤه .

قال الشاعر [(١)] :

وأَحْمَرُ كالدِّيبَاج أمّا سَمَاؤُه ... فَرَيَّا وأما أرضه فَمُحُول

فالسماء إذًا اسم مشترك يراد بها العُلُوّ ، يقال لكل ماعلاك : سماء ، ومنه سما جَدُّك ، أى علا .

وقال الشاعر ، وهو امرؤ القيس :

سَمَوْتُ إليها بعد ما نام أهلها ... سُمُوَّ حُبَاب الماءِ حَالًا على حَالِ

يريد عُلُوّ حُبَابِ الماء .

والتأويل الذى يليق بهذا الموضع أن يكون بمعنى العُلُوّ ، كما ذكرناه .

ولو شرحنا مُسَمَّيَات هذه اللفظة فى اللغة لطال ، وأورث الإِملال .

= م : (١٥٥/١) (١) كتاب الإيمان - (٧٥) باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال - من طريق محمد بن إسحاق المسيبى ، عن أنس بن عياض ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع نحوه فى حديث طويل . رقم (١٦٩/٢٧٤) . وليس فيه : « وأشار بيده إلى عينه » . والله تعالى أعلم .

(١) هو طفيل الغنوى - كما قال صاحب اللسان (مادة سمو) .

وأما / إذا أدرناه على « معنى » **فالعقول تقضى ببطلان الجهة والمكان** من ٤٤/أ
وجهين هما فى هذه الدلالة أوثق الأركان :

أحدهما : أن الجهة لو قُدِّرَت لكان فيها نفى لكمالٍ لو لم تكن لما كان ، وخالق الكل مستغنٍ بكمال ذاته عما يكون به كاملًا .

والثانى : أن الجهة ؛ إما أن تكون قديمة ، أو حادثة ، فإن كانت قديمة أدى إلى **محالين** :

أحدهما أن يكون مع البارى فى الأزل غيره ، والقديمان ليس أحدهما بأن يكون مكانا للثانى بأولى من الآخر .

والمحال الثانى : أن الجهة والمكان إنما يكونان جسمين ، وهذا يؤدى إلى جواز وجود الأجسام كلها أَزَلًا ، وفيه قِدَمُ العالم . أعوذ بالله من مذهب يؤدى إليه .

وإن كانت الجهة حادثة فالحادث كيف يحتاج إليه القديم ؟ فإنه قبل كونه كان ، مُسْتَغنيًا عنه ، وهو على استغنائه عنه لم يزل ، فكذلك لا يزال .

وفيه محال ثالث يجمع التقديرين ؛ وهو أن الجهة لو قُدِّرَت لكانت مخلوقة ، ومحال أن يكون خالق الكل مفتقرًا إلى بعض مخلوقاته ، فقفوا عند هذا التحقيق والله يوفقنا وإياكم إلى سواء الطريق .

فائدة ثالثة : قوله : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذى باركنا حوله ﴾وفيه تأويلان :

أحدهما : بمن جعل حوله من الأنبياء المُصْطَفَيْن الأَخْيَار .

والثانى : بكثرة الثمار ومجارى الأنهار .

وأما الإِعراب : فسبحان مصدر نُصِبَ نَصْبَ / المصادر ، ولم ينون ؛ لأن ٤٤/ب
فيه زائدتين تمنعانه الصرف ؛ الألف والنون وهو فى هذا الموضع مضاف إلى الذى .

ومعنى الآية : التنزيه والتبرئة لله عز وجل مما نسبه إليه المشركون ؛ من أن يكون له من خلقه شريكًا .

وقد تقدم الكلام على قوله جل من قائل « أسرى » فى الترجمة التى نصها : « فصلٌ فى إبطال حُجَج من قال : إنها نومٌ » .

فائدة رابعة :

قوله تعالى : ﴿ من المسجد الحرام ﴾ أراد به – والله أعلم – الحَرَم الذى هو مسجد ، فيضاف إلى الكعبة فأضاف الكل إلى الحرم . والحرم يجوز أن يطلق عليه اسم المسجد الحرام ، قال الله العظيم : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ﴾ أريد به الحرم ؛ لأن الحرم كله مسجد .

وقال تعالى : ﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حَرَمًا آمنا ﴾ .

فإذا حمل على هذا زال الاختلاف المروى : أنه كان فى بيت أم هانىء ، وهو بين الصفا والمروة حين أسرى به من بيته ، فإنه أضاف بيت أم هانىء إلى نفسه ؛ لأنه كان بيت أبى طالب ، وفيه تَرَبَّى ﷺ وهو قوله ﷺ : « فُرج سقف بيتى وأنا بمكة ....» الحديث المتفق على صحته .

فالمسجد الحرام الحَرَم لإحاطته بالمسجد والتباسه به .

قال ابن عباس : « الحَرَمُ كله مسجد » [٢] .

---

(١) انظر ص (٦١ – ٦٢) من هذا الكتاب .

(٢) عن ابن عباس قال : الحرم كله هو المسجد الحرام . أخرجه سعيد بن منصور وأبو ذر . وهو قول بعض أهل العلم ، ويتأيد بقوله تعالى : ﴿ وَالمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِى جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ، وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ . وكان ذلك من بيت أم هانىء . وقال بعضهم : المسجد الحرام مسجد الجماعة ، ويتأيد بما تقدم من قوله ﷺ : صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام . والإشارة بمسجده إلى مسجد الجماعة ، فينبغى أن يكون المستثنى كذلك . وقال بعضهم : المسجد الحرام هو الكعبة خاصة . واختاره بعض المتأخرين من أصحابنا ، واستدل بقوله تعالى : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ وقال هذا القائل : لو نَذَر الاعتكاف فى المسجد الحرام لزمه فى البيت ، أو فيما فى الحجر منه ، والله أعلم . ويتأيد هذا القول بحديث ميمونة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الكعبة ، وبحديث أبى هريرة : صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا الكعبة . أخرجهما النسائى .

القِرَى لقاصد أم القرى (ص ٦٥٧) .

فائدة خامسة :

عرج به إلى السماء **على البُرَاق** ؛ إظهارًا لكرامته له ، فإنه قادر على أن يكون ذلك بدون بُرَاق ؛ إذْ لا استحالة فيه ، فكان البُرَاق لكرامته / ، من حيث كرامة الراكب على الماشى غيره ، ولذلك لم ينزل عنه إظهارًا لكرامة الله تعالى له ، على ماجاء فى حديث حذيفة : مازايل ظَهْرَ البُرَاق حتى رجع [1] .

٤٥/أ

فائدة سادسة :

وإنما لم يذكر البُرَاق فى الرجوع ؛ لأن ذلك معلوم بذكره فى الصعود ؛ كقوله تعالى : ﴿ سَرَابِيل تَقِيكُم الحَرَّ ﴾ [2] يعنى الحر ، والبرد .

وسألت الفقيه الأستاذ النحوى أبا القاسم الخَثْعَمِىّ فى مسجده بمالقة سؤالين :

أحدهما : ما الحكمة فى اختصاص كل واحد من الأنبياء بالسماء التى رآه فيها رسول الله ﷺ ؟ .

---

(١) ت : (٥/٣٠٧ - ٣٠٨) (٤٨) كتاب التفسير (١٨) باب تفسير سورة بنى إسرائيل - من طريق ابن أبى عمر ، عن سفيان ، عن مِسْعَر ، عن عاصم بن أبى النجود ، عن زربن حبيش قال : قلت لحذيفة بن اليمان أصلى رَسُولُ اللهِ ﷺ فى بَيْتِ المَقْدِس ؟ قالَ : لاَ ، قُلْتُ ، بَلَى ، قَالَ : أَنْتَ تَقُولُ ذَاكَ يَا أَصْلَعُ : بِمَا تَقُولُ ذٰلِكَ ؟ قُلْتُ : بِالْقُرْآنِ ، بَيْنِى وَبَيْنَكَ الْقُرآنُ ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ : مَنِ احْتَجَّ بِالْقُرْآنِ فَقَدْ - قَالَ سُفْيَانُ يَقُولُ - فَقَدِ احْتَجَّ ، وَرُبَّمَا قَالَ أَفْلَحَ فَقَالَ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصا ﴾ قَالَ : أَفَتَرَاهُ صَلَّى فِيهِ ؟ قُلْتُ لاَ ؟ قَالَ : لَوْ صَلَّى فِيهِ لَكُتِبَ عَلَيْكُمْ فِيهِ الصَّلاَةُ كَمَا كُتِبَتِ الصَّلاَةُ فى المَسْجِدِ الحَرَامِ . قَالَ حُذَيْفَةُ : أُتِى رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّم بِدَابَّةٍ طَوِيلِ الظَّهْرِ مَمْدُودٍ هٰكَذَا خَطْوُهُ مَدُّ بَصَرِهِ ، فمَا زَايَلاَ ظَهْرَ الْبُرَاقِ حَتّى رَأَيَا الجَنَّةَ وَالنَّارَ وَوَعْدَ الآخِرَةِ أَجْمَعَ ، ثُمَّ رَجَعَا عَوْدَهُمَا عَلَى بَدْئهِما قَالَ : وَيَتَحَدَّثُونَ أَنَّهُ رَبَطَهُ لِمَ ؟ أَيَفِرُّ مِنْهُ وَإِنَّمَا سَخَّرَهُ لَهُ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ؟ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

هذا ونقل السيوطى عن ابن كثير قوله : « وهذا الذى قاله حذيفة نفى ، وما أثبته غيره من الصلاة فى بيت المقدس ، وربط الدابة بالحلقة مقدم عليه » . (الآية الكبرى ، ص ٢٨) .

(٢) النحل : (٨١) .

والثانى : ما الحكمة فى اختصاص هؤلاء الأنبياء باللقاء دون غيرهم ؟ وإن كان رأى الأنبياء كلهم فما الحكمة فى اختصاص هؤلاء بالذِّكْر ؟

وذكرت له ماقال الفقيه القاضى بمدينة لورقة أبو الحسن على بن بَطَّال فى شرح صحيح البخارى له : إن الأنبياء لمَّا علموا بقدومه عليهم ابتدروا إلى لقائه ابتدار أهل الغائب للغائب القادم ؛ فمنهم من أسرع ، ومنهم من أبطأ .

فقال لى : لم يصنع شيئا ؛ لأن مأخذ فهمه من علم التعبير ؛ فإنه من علم النبوة ، وأهل التعبير يقولون : من رأى نبيًا بعينه فى المنام فإن رؤياه تؤذن بما يشبه من حال ذلك النبى من شدة أو رخاء ، أو غير ذلك من الأمور التى أخبر بها عن الأنبياء فى القرآن والحديث .

وحديث الإسراء كان بمكة ، ومكة حرم الله وأَمْنُه ، وقُطَّانُهَا جيران الله ؛ لأن فيها بيته ، فأول ما رأى ﷺ من الأنبياء آدم / الذى كان فى أمن الله وجواره ، فأخرجه عدوه إبليس منها ، وهذه القصة تشبهها الحالة الأولى ، من أحوال النبى ﷺ ، حين أخرجه أعداؤه من حرم الله ، وجوار بيته ، فكَرَبَه ذلك ، وغَمَّه ، فأشبهت قصته فى هذا قصه آدم ، مع أن آدم تُعْرَض عليه أرواح ذريته البرِّ والفاجر منهم ، فكان فى السماء الدنيا ، بحيث يرى الفريقين ؛ لأن أرواح أهل الشقاء لا تَلِجُ فى السماء ، ولا تُفَتَّح لهم أبوابها ، كما قال الله تعالى .

٤٥/ب

ثم رأى فى السماء الثانية عيسى ، ويحيى وهما المُمْتَحَنَان باليهود ؛ أما عيسى فكَذَّبته اليهود ، وآذته وهَمُّوا بقتله ، فرفعه الله ؛ وأما يحيى فقتلوه .

ورسول الله ﷺ بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان ، وكانت محنته فيها باليهود ؛ آذوه وظاهروا عليه ، وهموا بإلقاء الصخرة عليه ؛ ليقتلوه ، فنجاه الله ؛ كما نَجَّا الله عيسى منهم ، ثم سَمُّوه فى الشاة ، فلم تزل تلك الأُكْلَة تُعَادُه حتى قَطَعَت أَبْهَره ، كما قال عند الموت .

وهكذا فعلوا بابنى الخالة عيسى ، ويحيى ؛ لأن أم يحيى أشباع بنت عمران أخت مريم ، أمهما حنة .

وأما لقاؤه ليوسف فى السماء الثالثة ، فإنه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حال يوسف ، وذلك أن يوسف ظفر بأخوته بعد ما أخرجوه من بين ظهرانيهم ، فصفح عنهم ، وقال : ﴿ لا تَثْرِيبَ عليكم ﴾ الآية ، وكذلك نبينا ﷺ أسر يوم بدر جُمْلَة من أقاربه الذين أخرجوه ، فيهم / عَمُّه العباس [١] وابن عمه عُقَيْل ، فمنهم من أطلق ، ومنهم من أفداه ، ثم ظهر عليهم بعد ذلك عام الفتح ، فجمعهم ، فقال لهم : أقول ماقال أخى يوسف ﴿ لا تَثْرِيبَ عليكم اليومَ ﴾ [٢] . ١/٤٦

ثم لقاؤه لإدريس فى السماء الرابعة ، وهو المكان الذى سماه الله مكانا عَلِيًّا . وإدريس أول من آتاه الله الخط بالقلم ، فكان ذلك مُؤْذِنًا بحالة رابعة ، وهو عُلُوّ شأنه ﷺ ، حتى أخاف الملوك ، وكتب إليهم يدعوهم إلى طاعته ، حتى قال أبو سفيان ، وهو عند ملك الروم حين جاءه كتاب رسول الله ﷺ ، ورأى ما رأى من خوف هِرقْل : « لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبى كبشة ، حين أصبح يخافه مَلِك بنى الأصفر » [٣] ، وكتب عنه بالقلم إلى جميع ملوك الأرض ، فمنهم من اتبعه على دينه ؛ كالنجاشى ، وملك عُمَان ، ومنهم من هادَنَه ، وأهدى إليه ، وأتحفه ؛ كهِرَقْل ، والمُقَوْقِس ، ومنهم من تعصَّى عليه ، فأظفره الله به . فهذا مقام عَلِيّ ، وخَطٌّ بالقلم ؛ كنحو ما أوتى إدريس .

ولقاؤه فى السماء الخامسة لهارون المحبَّب فى قومه يؤذن بحب قريش ، وجميع العرب له ، بعد بُغْضِهم فيه .

---

(١) فى الأصل : « أبو العباس » . وهو خطأ .

(٢) يوسف : (٩٢) .

(٣) خ : (١/١٦ - ١٧) (١) كتاب بدء الوحى - من طريق أبى اليمان الحكم بن نافع ، عن شعيب ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، عن أبى سفيان به فى حديث طويل . رقم (٦) .

وابن أبى كبشة هو رسول الله - ﷺ . وملك بن الأصفر هو ملك الروم .

والمعنى : لقد قوى أمر رسول الله - ﷺ - أى دعوته ودينه بما دخل فيه من المسلمين ونصرته على أعدائه .

ولقاؤه فى السماء السادسة [١] يؤذن بحالة تشبه حالة موسى حين أُمِرَ بغزو الشام ، فظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها ، وأدخل بنى إسرائيل البلد الذى خرجوا منه ، بعد إهلاك عَدُوِّهم . وكذلك غزا رسول الله ﷺ تبوك من أرض الشام ، وظهر على صاحب دَوْمَة ، حتى صالحه على الجزية ، بعد أن أوتى به أسيرًا ، وافتتح / مكة ودخل أصحابه البلد الذى خرجوا منه . ٤٦/ب

ثم لقاؤه فى السماء السابعة إبراهيم عليه السلام لحكمتين :

إحديهما [٢] : أنه رآه عند البيت المعمور مسندًا ظهره إليه . والبيت المعمور حيال الكعبة وإليه تحج الملائكة كما أن إبراهيم هو الذى بنى الكعبة ، وأَذَّن فى الناس بالحج إليها .

والحكمة الثانية : أن آخر أحوال النبى ﷺ حجه إلى البيت الحرام ، وحج معه ذلك العام نحو من سبعين ألفًا من المسلمين ، ورؤية إبراهيم عند أهل التأويل تؤذن بالحج ؛ لأنه الداعى إليه ، والرافع لقواعد الكعبة المحجوجة .

فقد انتظم فى هذا الكلام الجواب عن السؤالين المتقدمين : أحدهما السؤال عن تخصيص هؤلاء بالذكر والآخر السؤال عن تخصيصهم بهذه الأماكن من السماء الدنيا إلى السماء السابعة .

وقد ذكر ذلك أيضا شيخنا فى كتاب الروض الأُنُف له [٣] .

قال ذو النسبين رضى الله عنه :

فائدة سابعة من فوائد حديث الإِسراء :

والمعراج : قيل : هو السُّلَّم والدَّرَج الذى يعرج به ، وهو سلم بين السماء والأرض ، من زُمُرُّدَة خضراء ، فليس شىء أحسن منه ، إذا رأته أرواح المؤمنين لم تتمالك أن تخرج ، وروى أن الميت أول ما يشق بصره لرؤية المعراج .

---

(١) كذا فى الأصل : والمراد لقاؤه بموسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

(٢) كذا الأصل ، وأظنها : « إحداهما » .

(٣) الروض الأنف (٢/١٥٧ - ١٥٨) ويريد بشيخه السهيلى .

فائدة ثامنة :

إنما أسرى بالنبى ﷺ أولا إلى بيت المقدس قبل أنْ عُرِج به إلى السماء لِمَا عَلِم الله سبحانه أن كفار قريش يكذبونه فيما يخبرهم به ، من / أخبار السماء فأراد أن يخبرهم بأخبار من الأرض ، قد بلغوها ، وعاينوها ، وعلموا أن النبى ﷺ لم يدخل بيت المقدس قط ، فلما أخبرهم بأخبار بيت المقدس لم يمكنهم أن يكذبوه فى أخبار السماء ، بعد أن صَدّقُوه فى أخبار الأرض . ٤٧/أ

فائدة تاسعة :

ويحتمل أن يكون أراد الحق جل ذكره أن لا يُخْلِىَ تُرْبَة فاضلة من مَشْهَدِه ، ووَطْء قدمه ، فَتَمَّم تقديس بيت المقدس بصلاة محمد ﷺ فيه . كما أخرجه مسلم فى صحيحه (١) .

فائدة عاشرة :

إنما ذهب به أولًا إلى بيت المقدس ، ثم إلى السماء ؛ لأن باب السماء الذى يقال له : مصعد الملائكة بحذاء بيت المقدس .

قاله كعب ، وقال : بيت المقدس أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلًا .

وذكر القاضى العالم أبو محمد بن عطية فى تفسيره فى سورة ﴿ ق ﴾ ﴿ واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب ﴾ (٢) قال كعب : يعنى صخرة بيت المقدس ، وصفها بالقرب من السماء (٣) .

وهذا الخبر إن كان بوحى ، وإلا فلا سبيل إلى الوقوف على صحته .

---

(١) فى رواية ثابت البنانى عن أنس أنه صلى فيه - ﷺ - ركعتين وقد سبق تخريج هذه الرواية .

(٢) ﴿ ق ﴾ : (٤١) .

(٣) تفسير ابن عطية (٥/١٦٩ - ١٧٠) .

فائدة حادية عشرة :

ويحتمل أن الله تبارك وتعالى أراد أن يريه القِبْلَة التى صلى إليها مدة كما عرف الكعبة التى صلى إليها .

فائدة ثانية عشرة :

ويحتمل إذ كانت هجرة الأنبياء سواه إلى بيت المقدس فأراد الحق سبحانه أن تجتمع له الهجرتان ؛ ما شارك فيه الأنبياء ، وما اختص به .

فائدة ثالثة عشرة :

٤٧/ب ولما تم تقديسه به أخبر النبى ﷺ / : « أنه لا تُشَدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاث مساجد » [١] ؛ مسجد الحرام ؛ لأنه مولده ، ومسقط رأسه ، وموضع نُبُوَّته ، ومسجد المدينة ؛ لأنه مسجد هجرته ، وأرض تُرْبَته ، ومسجد الأقصى ؛ لأنه موضع معرجته .

قال الله العظيم : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا ﴾ [٢] .

فائدة رابعة عشرة :

وأمَّا كون البراق استصعب عليه ، ولم يُمَكِّنه من ركوبه ، فيما ذكر حفاظ الأثر ، وثقات أهل السِّيَر ليلة الإِسراء - فإن ذلك هَيْبَةٌ له ، وفَرَحٌ بركوبه إياه ؛ تَشَرُّفًا وتبركا ، كما يَتَجنَّى الحبيب على حبيبه .

---

(١) خ : (٣٦٧/١) (١/٢٠) باب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة - من طريق سفيان ، عن الزهرى ، عن سعيد ، عن أبى هريرة به .

م : (١٠١٢/٢) كتاب الحج (٩٤) باب فضل الصلاة بمسجدى مكة والمدينة - عن سفيان ابن عيينة به .

(٢) الإِسراء : (١) .

وقال شيخنا أبو القاسم السهيلى فى الروض الأُنُف : إنما استصعب عليه لبعده بركوب الأنبياء قبله [١] .

وليس كما قال ؛ فإن الإسراء لا يصح بوجهٍ لغيره من النبيين والأَرْسَال .

ونَصُّ هذا الحديث الصحيح ذكره الإمام أحمد فى مسنده ، وقد تقدمت قراءتى لجميعه قال :

حدثنا عبد الرزاق قال : حدثنا مَعْمَر ، عن قَتَادَة ، عن أنس : أن النبى ﷺ أُتِىَ بالبُرَاق ليلة أُسْرِىَ به مُلَجَّمًا مُسْرَجًا ؛ ليركبه ، فاستصعب عليه ، فقال له جبريل : ما يحملك على هذا ، فوالله ماركبك أحد قط أكرم على الله منه . قال : فارْفَضَّ عَرَقًا [٢] .

قال ذو النسبين رضى الله عنه : أى سَال ، ومنه ارْفَضَّ الدَّمْعُ : سال .

وهذا الحديث معناه عند العلماء على تقدير / أن لو كان لك من يركبك لما كان أكرم على الله من محمد ﷺ ، وذلك موجود فى كلام العرب ؛ كقول امرئ القيس : ٤٨/أ

« على لاحِبٍ لا يُهْتَدى بمنارِه »

معناه أنْ لو كان له منارٌ لما اهتدى به ؛ لسَعَةِ البَرِّيَّة وليس به منار - إذ لم يرو فى أثر صحيح أن البراق ركبه أحدٌ من خلق الله ؛ لا من الملائكة ، ولا من الآدمِيِّين ، وإنما نعرف من هذا ما عُرِّفْنَا به ، ونقله العدول إلينا من قول من يجب التسليم له ﷺ ، وليس فى هذا مجال نظر ، ولا قياس ؛ إنما هو أمر تَوْقِيفِىٌّ ، نَقْلِىٌّ ، وكما نقل إلينا ركوب الملائكة على الخيل ؛ كركوب جبريل على حجر يوم أغرق [٣] الله فرعون ، ويوم بَدْر على فرس شَقْرَاء ، وقد عصم بثَنِيَّته النَّقْع .

---

(١) الروض الأنف (١٥٠/٢) .

(٢) حم (١٦٤/٣) عن عبد الرزاق به .

ت : (٣٠١/٥) (٤٨) كتاب تفسير القرآن الكريم (١٨) باب : ومن سورة بنى إسرائيل - من طريق إسحاق بن منصور ، عن عبد الرزاق به .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، ولا نعرفه إلا من حديث عبد الرزاق . رقم (٣١٣١) .

(٣) فى الأصل : « غرق » .

وفى وسط المغازى من صحيح البخارى فى باب شهود الملائكة بَدْرًا : عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال يوم بدر : « هذا جبريل آخذ برأس فرسه ، عليه أداة الحرب » (١) .

أداة الحرب : آلته ، وما يحتاج إليه من السلاح .

وفى غزاة بنى قريظة : على بغلة بيضاء عليها رِحَاله ، وعليها قطيفة ديباج ، وهو فى صورة دِحْيَة الكَلْبِىّ ، فقال رسول الله ﷺ : « ذلك جبريل بُعِث إلى بنى قريظة ، يُزَلْزِل بهم حصونهم ، ويَقْذف الرُّعْبَ فى قلوبهم » (٢) .

وذكر الإمام المُجْمَع على عدالته موسى بن عُقْبَة فى مغازيه ، وهى أصح المغازى ، ماهذا نَصُّه : فخرج / رسول الله ﷺ فى إِثْر جبريل ، فمر على بنى غَنم ، وهم ينتظرون رسول الله ﷺ ، فسألهم : « هل مَرَّ عليكم فارس آنفا » ؟ قالوا : مر علينا دِحْيَة الكلبى على فرس أبيض تحته نمط أو قطيفة من دِيباج عليه اللأْمَة ...» الحديث إلى آخره ، فى غزوة بنى قريظة . ٣٨/ب

قوله ﷺ آنفًا ؛ أى قريبا ، أو الساعة . والنَّمَط ظهر فِرَاش ، وهو أيضًا ما يُغْشَى به الهَوْدَج . والقطيفة والخَميلَة واحد ، وهى كساء ذو خَمَل ، إلا أنها هاهنا من حرير مَرْقُوم ؛ لكونها من ديباج ، ومنه ثوب مُدَبَّج .

والديباج فارسىٌّ مُعَرَّب ، أى نِساجَةُ الجن ؛ لبديع صنعته .

فائدة خامسة عشرة :

قوله ﷺ : « فلم نُزَايِل ظهره ، أنا وجبريل » تُوهِم فيه أنهما كانا راكبين ، وليس كذلك .

وذلك أن الإمام أحمد روى فى مسنده قال : حدثنا يونس قال : حدثنا حمَّاد بن سَلَمَة ، عن عاصم بن بَهْدَلَة عن زِرٍّ بن حُبَيْش ، عن حُذَيْفَة بن اليَمَان

---

(١) خ : (٣/٩٠ - ٩١) ، (٦٤) كتاب المغازى ، (١١) باب شهود الملائكة بدرًا . من طريق إبراهيم بن موسى ، عن عبد الوهاب ، عن خالد عن عكرمة ، عن ابن عباس به . رقم (٣٩٩٥) طرفه فى (٤٠٤١) .

(٢) لم أعثر عليه فى البخارى فى هذا الموضع .

أن رسول الله ﷺ قال : « أُتيت بالبراق ، وهو دابَّة أبيض طويل ، يضع حافره عند منتهى طَرْفِه ، فلم نزايل ظهره أنا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس ، ففتحت لنا أبواب السماء ، ورأيت الجنة والنار » [١] .

قال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى قال : حدثنا حَمَّاد بن سَلَمَة قال : حدثنا عاصم بن بَهْدَلة ، عن زِرِّ بن حُبَيْش ، عن حذيفة بن اليَمَان : أن رسول الله ﷺ قال : « أُتِيتُ بالبراق » [٢] / فذكر معناه . ٤٩/أ

وقال حسن في حديثه : يعني هذا الحديث ؛ « ورأيا الجنة والنار » [٣] .

وقال عفان : وفتحت لهما أبواب السماء ، ورأى الجنة والنار [٤] .

وهذه أسانيد عدول مخرج عنهم في الصحيحين ويونس هو ابن محمد أبو محمد المؤَدِّب ثقة صدوق مخرج عنه في الصحيحين .

وهذا يوهم أنهما كانا راكبين .

فنقول : قوله ﷺ : « فلم نزايل ظهره أنا وجبريل » هذا اللفظ في ظاهره يقتضي من حيث عطف جبريل على ضمير النبي ﷺ ، وهو قوله : « أنا وجبريل » أن يكونا معًا راكبين ، ولم يزايلا ظهره ، ولكن الوجه غير ذلك لأمرين :

أحدهما : أن قصة المعراج كلها إنما كانت كرامة في حق النبي ﷺ ، ومعجزة له ، فلا مَدْخَل لغيره فيها ، ولا يشاركه جبريل ؛ إذ لا معنى لاختصاصه بها مع المشاركة .

---

(١) حم : (٣٩٢/٥) وفي طبعة دار الفكر (٩٢/٩ رقم ٢٣٣٩٢) في حديث طويل .
وهذا الحديث أصله عند الترمذي عن عاصم بن أبي النجود بإسناد الإمام أحمد ، وقال عنه : هذا حديث حسن صحيح .
ورجال أحمد ثقات . والله تعالى أعلم .

(٢) حم (٣٩٢/٥) وفي طبعة دار الفكر (٩٢/٩ - ٩٣ رقم ٢٣٣٩٣) .

(٣) هذا القول مع الحديث السابق وبعده مباشرة .

(٤) هذا القول مع الحديث السابق وبعده مباشرة ، وبعد القول السابق .

الثانى : أن جبريل – عليه السلام – إنما جاء بالبراق لكى يركب النبى ﷺ ، فالمطلوب بالبراق ، والمجىء به إنما هو ركوب النبى ﷺ ، فلا مدخل لجبريل عليه السلام فى هذا المطلوب ؛ لأنه إنما جاء به لغيره ، فدّل من حيث هذين الأمرين على أن الركوب يختص بالنبى ﷺ .

وقوله ﷺ : « فلم نزايل ظهره أنا » وقوله : وجبريل ؛ أى وجبريل قائدٌ أو سائِقٌ . وسوق جبريل عليه الصلاة والسلام للبراق مما يؤكد هذه الكرامة / ويحقق هذه المعجزة ، كيف لا ، وقد جاء به قائدًا إليه ، فكيف لا يكون قائدا له ، وهو عليه ؟ هذا هو الحق المبين والله الموفق والمعين . ٤٩/ب

وإنما تكلمنا على ماصح ، وأسقطنا الحديث الموضوع والمنكر ؛ لأنه خِزْىٌ فى الدنيا ويوم القيامة ، يَصْلَى صاحبُه العذابَ الأكبر .

فقد روى النسائى عن أبى مالك عن أنسٍ بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « أُتِيتُ بدابة فوق الحمار ، ودون البغل ، خَطْوُها عند منتهى طَرْفها ، فركبت ، وركب معى جبريلِ ، فسرت فقال : انزل فصلِّ ، ففعلت ، فقال : أتدرى أين صَلَّيْتَ ؟ صليت بطَيْبَة ، وإليها المُهَاجَر ، ثم قال : انزل فصلِّ ، فصليت . فقال : أتدرى أين صليت ؟ صليت بطور سَيْناء ؛ حيث كَلَّم اللهُ – عز وجل – موسى عليه السلام ، ثم قال : انزل فصلِّ ، فصليت ، فقال : أتدرى أين صليت ؟ صليت بِبَيْت لَحْم ؛ حيث وُلد عيسى ، ثم دخلت بيت المَقْدِس ..»[1] الحديث إلى آخره ، وهو مشهور من رواية أبى مالك ، واسمه غَزْوان بن يوسف المازنى ، بصرى ، يروى عن الحسن .

---

(١) س : (١/٢٢١ – ٢٢٢) (٥) كتاب الصلاة (١) فرض الصلاة وذكر اختلاف الناقلين فى إسناد حديث أنس بن مالك رضى الله عنه واختلاف ألفاظهم فيه .

من طريق عمرو بن هشام ، عن مخلد ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن يزيد بن أبى مالك ، عن أنس .. وعبارة النسائى : « فركبت ومعى جبريل » وقد لا تفيد هذه العبارة أنه ركب معه .

وهكذا يتبين أن الحديث ليس عن أبى مالك ، وأبو مالك الذى يروى عنه النسائى اسمه غزوان الغفارى ، وهو فى غير هذا الحديث وليس فى رجال الكتب الستة من اسمه غزوان بن يوسف المازنى الذى نسب إليه المصنف هذا الحديث .

وهذا الحديث رجاله وثقوا إلا يزيد بن أبى مالك ، فإنه صدوق ربما وهم . فالحكم بأن هذا الحديث موضوع كما يفهم من صنيع المصنف فيه جور كبير . وخطأ ووهم . والله تعالى أعلم .=

قال أبو حاتم الرازى : هو متروك الحديث .

وقال البخارى : تركوه .

وقال محمد بن حِبَّان : يروى عن الثقات ما لا يشبه حديث الأَثبات ، فسقط الاحتجاج بما يرويه .

وقد قيل : إن النَّسائىّ رواه عن أبى مالك سعد بن طارق بن أشيم الأشجعى منسوب إلى أشجع بن ريث بن غَطَفان بن سعد بن قيس عَيْلاَن ، ولا يصح عنه بوجه ، وهو ثقه أخرج له / مسلم ، يروى عن أبيه وعن أنس بن مالك ، وعبد الله ابن أبى أوفى . ٥٠/أ

روى عنه الثورى ، وشُعْبَة وأبو عَوَانة ومروان بن معاوية ، ويزيد بن هارون ، وغيرهم .

والنسائى رحمه الله وإن كان يَعْرِف التعديل والتجريح يخلط فى كتبه الموضوع ، والصحيح .

وقد ذكر فى خصائص أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام أحاديث موضوعة وهَنَابِثُ [١] مفتعلة مصنوعة ؛ منها قوله : « أنا مدينة العلم وعلى بَابُهَا » [٢] .

= وعبارة ابن حبان أنه يروى عن الحسن كافيه بأن تفهم أنه لا يروى عن أنس . (المجروحين ٢/ ٢٠٠) .

(١) قال فى القاموس : الهَنْبَثَة : الأمر الشديد ، والاختلاط فى القول .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك والطبراني في الكبير ، وأبو الشيخ في السنة ، وغيرُهم كلهُم عن ابن عباس مرفوعا مع زيادة فمن أتى العلمَ فليأتِ البابَ ، ورواه الترمذي وأبو نعيم وغيرهما عن علي بلفظِ أن النبي ﷺ قال أنا دار الحكمة ، وعلي بابُها ، وهذا حديث مضطرب غير ثابت كما قاله الدارقطني في العلل ، وقال الترمذي منكر ، وقال البخاري ليس له وجه صحيح ، ونَقل الخطيب البغدادي عن يحيى بن معين أنه قال إنه كذب لا أصل له ، وقال الحاكم في الحديث الأول إنه صحيح الإِسناد ، لكن ذكره ابن الجوزي بوجهيه في الموضوعات ، ووافقه الذهبى وغيرهُ ، وقال أبو زُرْعة كم خلقٍ افتضحوا فيه ، وقالوا أبو حاتم ويحيى بن سعد لا أصل له ، لكن قال السيوطى في الدرر نقلًا عن أبي سعيد العلائي الصواب أنه حسن باعتبار تعدد طرقه ، لا صحيح ولا ضعيف ؛ فضلا أن يكون موضوعا ، وكذا قال الحافظ ابن حجر في فتوى له ، قال وبسطت كلامهما في التعقبات على =

قال ذو النسبين رضى الله عنه : ولئن كانت آية نبى الله سليمان عليه مُتَجَدِّد السلام تسخير الريح مسيرة شهرين غُدُوًّا ورَوَاحًا بين الأنام ، فأين هذا من تسخير البُرَاق الذى بلغ بسيدنا المصطفى محمد ، فيما ثبت بالاتفاق والإِصفاق [١] ، إلى السماء السابعة مسيرة سبعة آلاف سنة صاعدًا ونازلًا فى طَرْفَة عين .

= الموضوعات انتهى ، وقال في اللآلىء بعد كلام طويل : والحاصل أن الحديث ينتهي بمجموعِ طريقَيْ أبي معاوية وشَريك إلى درجة الحَسَنَ المحتج به انتهى . وقال في شرح الهمزية لابن حجر المكي عند قولهما – كما أبانت عن علوم – إنه حسن ، خلافا لمن زعم ضعفه انتهى ، وقال في الفتاوي الحديثية : رواه جماعة وصححه الحاكم وحسَّنه الحافظان العلائى وابن حجر انتهى ، وقال ابن دقيق العيد لم يُثبتوه ، وقيل إنه باطل ، وهو مشعر بتوقفه فيما قالوه من الوضع ، بل صرح العلائي بذلك ، فقال وعندي فيه نظر ، ثم بين ما يشهد لكون أبي معاوية حدّث به عن ابن عباس ، وهو ثقة حافظ يحتج بأفراده كابن عيينة وأضرابه ، قال فمن حكم على الحديث مع ذلك بالكذب فقد أخطأ ، وليس هو من الألفاظ المنكرة التي تأباها العقول ، بل هو كحديثِ أرحمُ أمتي بأمتي أبو بكر ، فليس الحديث بكذب ، لاسيما وقد أخرج الديلمي بسند ضعيف جدا عن ابن عمر أنه قال : عليٌّ بن أبي طالب باب حِطَّةٍ ، فمن دخل فيه كان مؤمنًا ، ومن خرج منه كان كافرًا ، وأخرجه أيضًا عن أبي ذر رَفَعه بلفظِ علي بابُ عِلمْي ومُبيِّنٌ لأمتي ما أرسلتُ به مِن بعدي ، حبه إيمان وبغضه نفاق ، والنظر إليه رأفة ، ورواه أيضًا عن ابن عباس رفعه أنا ميزان العلم ، وعلي كِفَّتاه ، والحسن والحسين خيوطه ، وروى الديلمى بلا إسناد عن ابن مسعود رَفَعه ، أنا مدينة العلم ، وأبو بكر أساسها ، وعمر حيطانها ، وعثمان سقفها ، وعلي بابها ، وروي أيضًا عن أنس مرفوعا أنا مدينة العلم ، وعلي بابها ، ومعاوية حلْقتها ، قال في المقاصد وبالجملة فكلها ضعيفة ، وألفاظُ أكثرِها ركيكة ، وأحسنُها حديثُ ابنِ عباس بل هو حسن ، وقال النجم كلها ضعيفة واهية ، وقد روى الترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم من حديث حبشي بن جنادة مرفوعا : علي مني ، وأنا من علي ، لا يؤدي عني إلا أنا أو علي ، وليس في هذا كله ما يقدح في إجماع أهل السنة من الصحابة والتابعين فمَن بعدَهم على أن أفضل الصحابة بعد النبي ﷺ على الإطلاق أبو بكر ثم عمر ، وقد قال ابن عمر كنا نقول ورسول الله ﷺ حي أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر وعثمان ، فيسمع ذلك رسولُ الله ﷺ فلا ينكره ، بل ثبت عن علي نفسِه أنه قال خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ، ثم عمر ، ثـــم رجل آخر ، فقال له ابنه محمد بن الحنفية ثم أنت يا أبت ، فقال ما أبوك إلا رجل من المسلمـــين .

(كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلونى ١/٢٣٥ – ٢٣٧) .

(١) قال فى القاموس : أصفقوا على كذا : أطبقوا .

وهذا من الفخر الذى لاخلاف فيه بين اثنين ، ولم يزل سليمان بالأرض ، ولم يطَّلِع إلى السماء ، فأين كرامته من كرامة سيد الأنبياء ، وبين المنزلتين بَوْنٌ عظيم للناظر ، وفرق لا يخفى على صفحات المَنَاظِر .

فائدة سادسة عشرة :

وإنما أُسْرِىَ به دون سائر الأنبياء عليهم السلام ، إذ لا يصح بنقل العدول أنه أسرى بنَبِىّ قَبْلَه ، وكانت هذه الآية خاصة له ؛ بقول الله جَلَّ مِنْ قائل : ﴿ لنُرِيَه من آياتنا ﴾ [(١)] فلذلك لم تكن فى مجمع وأفرد بها ؛ لأنه كان صاحب الشفاعة فى القيامة / وتوسط قبلهم لأن لا يقع له حشمة البديهة ، كما يقع لغيره من الأنبياء . ٥٠/ب

ولئن نوجى موسى عليه السلام فى البقعة المباركة من جانب الطُّور الأَيْمَن ، من غير مشاركة ، فلقد كانت مناجاة محمد ﷺ فوق سبع سموات ، وعند سِدْرَة المُنْتَهى ، ذات الكرامات والمَعْلُوَات ، وعندئذ فُرِضَت عليه أعداد الصلوات ، وتردَّدَ إلى ربه عز وجل فى الشفاعات ، حتى جعلها من خمسين صلاة إلى خمس مفروضات ، فهذه الشفاعات زائدة الفضل على سائر المناجات[(٢)] ، ولذلك قال الله سبحانه ﴿ تلك الرُّسُل فَضَّلْنَا بعضَهم على بعضٍ منهم من كَلَّمَ اللهُ ، ورَفَع بعضَهم درجاتٍ ﴾ [(٣)] .

فائدة سابعة عشرة :

ولأنه صاحب المقام المحمود فأراد الحق تعالى أن يزيل عنه قبل ذلك مقام الانقباض **ليتمكن فى المقام المحمود** ؛ فأهله قبل المشهد الأعلى للمشاهدة والكلام ، ورفعه إلى مكانٍ ، لا مكان بعد مكانه ، ولا مقام وراء مقامه ؛ ليكون مشاهدًا للكل ، فيتفرغ فى المشهد الأعلى إلى الشفاعة ، والتمكين فى المقام المحمود .

---

(١) الإسراء : (١) .

(٢) كذا رسمت فى الأصل ، وأظنها : « المناجاة » . أو لينطق بها تاء للسجع .

(٣) البقرة : (٢٥٣) .

فائدة ثامنة عشرة :

وأما شق صدره وغسلهم قلبه في صغره بالثَّلْج على ما رواه أصحاب السِّيَر – فإن الله سبحانه أراد أن يغسل قلبه أوّلًا بماء حُمِل من الجنة فى طَسْتٍ من ذهب ، ممتلىء حكمة وإيمانا ؛ ليعرف قلبه طيب الجنة ، ويجد حلاوتها ، فيكون فى الدنيا أزهد ، وعلى دعوة / الخلق إلى الجنة أحرص . ٥١/أ

فائدة تاسعة عشرة :

ولأنه كان له أعداء يتقوَّلون عليه ، فأراد الله أن **ينفى عنه طبع البشريَّة** ؛ من ضيق الصدر بسوء مقالات الأعداء ، فغسل قلبه ليورث ذلك فى صدره سعة ، ويُفَارِقُهُ الضيق الذى قال الله العظيم ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صَدْرُك بما يقولون ﴾ [(١)] فغسل قلبه مرتين :

فالأولى بالثلج لما يشعر به الثلج من ثَلَج اليقين ، وكان كثيرًا مايقول فى دعائه فيما رواه أبو هريرة بإجماع أهل الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول بين التكبير والقراءة : « اللهم اغسلنى من خطاياى بالماءِ والثَّلْجِ والبَرَد » [(٢)] .

وفى الباب حديث عبد الله بن أبى أوفى [(٣)] .

---

(١) الحجر : (٩٧) .

(٢) خ : (٢٤٢/١ – ٢٤٣) ، (١٠) كتاب الأذان (٨٩) باب مايقول بعد التكبير .
من طريق موسى بن إسماعيل ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن عمارة بن القَعْقاعِ ، عن أبى زرعة ، عن أبى هريرة به .
رقم (٧٤٤) .
م : (٤١٩/١) ، (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، (٢٧) باب مايقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة .
من طريق زهير بن حرب ، عن جرير عن عمارة به .
رقم (٥٩٨/١٤٧) .

(٣) ت : (٥٥١/٥) (٤٩) كتاب الدعوات ، (١٠٢) باب فى دعاء النبى ﷺ من طريق أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقِيّ ، عن عمر بن حفص بن غِيَاث ، عن أبيه عن الحسن بن عبيد الله ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن أبى أوفى به . رقم (٣٥٤٧) .

والثانية غَسَله عظيم الملائكة الذى سماه الله بالروح الأمين بماء زمزم ، التى أنبعها الله لجده إسماعيل ﷺ ، وعلى جميع النبيين .

وقد ذكرنا قبل هذا السر فى ذلك ، وأن ذلك كان لحالتين فى الصغر والكِبَر ، قد ذكرناهما ، فصار بحيث إذا ضُرِب ، وشُجّ رأسه ، وكسرت رُبَاعِيَّتُه يحكى لقومه نبيًّا من الأنبياء ضربه قومه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : « رب اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » .

الفائدة الموفية عشرين :

وهى كيف يكون الإيمان والحكمة فى طَسْتٍ من ذهب ، والإيمان عَرَضٌ ، والأعراض لا يوصف بها إلا محلها الذى تقوم به ، ولا يجوز فيها الانتقال ؛ لأن / الانتقال من صفة الأجسام ، لا من صفة الأعراض ؟ . ٥١/ب

فنقول : إنما عبر ﷺ عن ماكان [١] بالحكمة والإيمان ، كما عبر عن اللبن الذى شربه ، وأعطى فَضْلَه عمر رضى الله عنه بالعِلْم .

ثبت فى الصحيحين عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال : « بينا أنا نائم إذ رأيت قَدَحا أُتِيتُ به فيه لبن فشربت منه ، حتى إنى لأرى الرِّىَّ يجرى فى أظفارى ، ثم أَعْطَيْتُ فَضْلِى عمر بن الخطاب » . قالوا : فما أَوَّلت ذلك يارسول الله ؟ قال : « العِلْم » [٢] .

---

(١) فى الأصل زيادة « فى » قبل كلمة : « بالحكمة » .

(٢) خ (٤٦/١) ، (٣) كتاب العلم ، (٢٢) باب فضل العلم .

من طريق سعيد بن عُفَيرِ ، عن الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن حمزة بن عبد الله بن عمر ، نحوه .

رقم (٨٢) .

م : (١٨٥٩/٤) ، (٤٤) كتاب فضائل الصحابة ، (٢) باب من فضائل عمر ، رضى الله تعالى عنه .

من طريق حَرْمَلَة بن يحيى ، عن ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب به .

رقم (٢٣٩١/١٦) .

وهذا نص صحيح مسلم ، وهو أتم .

فعبر ﷺ عن الماء بالحكمة والإيمان كما عبر عن اللبن بالعلم ، وهى إشارة نبوية لا تقدح فى الأمور العقلية .

الفائدة الحادية والعشرون :

وإنما خص به **الطَّسْت دون غيره** من سائر الأوانى ؛ لأنه فى العادة آلة لما يغسل فيه ، كما أن غيره من الأوانى آلات لغير ذلك .

الفائدة الثانية والعشرون :

وإنما كان **من ذهب دون غيره من سائر المعادن** ؛ لأنه أشرفها ، وله خواص يُفتَخر بها على سائر الأحجار ؛ منها : أنه لا تأكله النار فى حال التعليق ، وأن الأرض لا تأكله ، ولا تُغَيِّره ، وهو أنقى شىء وأصفاه ، يقال فى المثل : أنقى من الذهب .

وقالت بريرة فى عائشة الصديقَة رضى الله عنها على ما ثبت فى الصحيحين من طرق شتَّى - وهذا نص صحيح / البخارى فى التفسير ، ونص صحيح مسلم فى الرقاق - : « سبحان الله ، والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر » [١] . تريد النقاء من العيوب . ٥٢/أ

ومن ذلك أن الذهب أيضًا أثقل الأشياء ، فيَرْسُب ، وهو موافق لِثقَل الوحى ، قال الله العظيم : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [٢] .

---

(١) خ : (٢٦٩/٣) (٦٥) كتاب التفسير (١١/٢٤) باب ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا ﴾ من طريق أبى أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة به فى حديث الإفك الطويل . رقم (٤٧٥٧) .

م : (٢١٣٧/٤ - ٢١٣٨) (٤٩) كتاب التوبة - (١٠) باب فى حديث الإفك ، وتوبة القاذف - من طريق أبى بكر بن أبى شيبة ومحمد بن العلاء ، عن أبى أسامة ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة به . رقم (٢٧٧٠/٥٦) .

(٢) المزمل : (٥) .

وقالت عائشة رضى الله عنها فى الصحيحين : حتى أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ، فأخذه ماكان يأخذه من البُرَحَاء عند الوحى ، حتى إنه ليتَحدَّر مثل الجُمَان من العَرَق فى اليوم الشَّاتى من ثِقَل القول الذى أنزل عليه .

هذا نص صحيح مسلم (١) .

ونص صحيح البخارى فى وسط المغازى بعد غزوة أَنْمَار : « حتى أنزل عليه ، فأخذه ماكان يأخذه من البُرَحَاء ، حتى إنه ليتحدَّر منه العرق مثل الجُمَان ، وهو فى يوم شاتٍ من ثِقَل القول الذى أنزل عليه » (٢) .

وفى غيرهما : من ثِقَل القرآن .

والبُرَحَاء : شدة الكَرْبِ ، وشدة الحُمَّى أيضا ، وتشبيهها العرق وتحببه وتدحرجه بالجُمَان ، تشبيه بديع ؛ لكنه مأخوذ من قول رسول الله ﷺ فى عيسى ابن مريم عليهما السلام (٣) .

---

(١) م : (٢١٣٥/٤) (٤٩) كتاب التوبة – (١٠) باب فى حديث الإفك – من طريق حبان ابن موسى ، عن عبد الله بن المبارك ، عن يونس بن يزيد الأيلى ، ومن طريق إسحاق بن إبراهيم الحنظلى ومحمد بن رافع وعبد بن حميد ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، جميعًا عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقَّاص ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة به فى حديث طويل . رقم (٥٦/٢٧٧٠) .

(٢) خ : (١٢٣/٣ – ١٢٦) (٦٤) كتاب المغازى – (٣٤) باب حديث الإفك – من طريق عبد العزيز بن عبد الله ، عن إبراهيم بن سعد ، عن صالح ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير وسعيد ابن المسيب وعلقمة بن وقاص ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عائشة به فى حديث الإفك الطويل . رقم (٤١٤١) .

(٣) م : (٢٢٥٠/٤ – ٢٢٥٣) (٥٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة – (٢٠) باب ذكر الدجال وصفته ومامعه – من طريق أبى خيثمة زهير بن حرب ، عن الوليد ، عن عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر ، عن يحيى بن جابر الطائى ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن أبيه جبير بن نفير الحضرمى ، عن النواس بن سمعان الكلابى . وفى الحديث : « إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ » .

وعن طريق محمد بن مهران الرازى ، عن الوليد بن مسلم به .

رقم (١١٠/٢١٣٧) .

والجُمَان حبوب مُدَحْرَجة أمثال اللؤلؤ ، تصنع من الفضة وغيرها .

قال ابن دريد : وقد سَمُّوا الدُّرَّ جُمَانًا ، وهو / بتخفيف الميم . ٥٢/ب

واليوم الشاتى : أى البارد .

ورَوى الفقيه أبو خارجة ، وقيل : أبو سعيد ، وقيل : أبو عبد الرحمن زيد بن ثابت الأنصارى النجارى ، كاتب الوحى لرسول الله ﷺ ، وأفرض الصحابة أن رسول الله ﷺ أملى عليه ﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله ﴾ [١] فجاءه ابن أم مكتوم ، وهو يُمِلُّهَا علىّ ، فقال : يارسول الله ، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت . وكان أعمى ، فأنزل الله على رسوله ، وفخذه على فخذى ، فثقلت عَلَىّ حتى خفت أن تُرَضّ فخذى ، ثم سُرِّىَ عنه ، فأنزل الله : ﴿ غير أولى الضَّرَرِ ﴾ .

هذا نص صحيح البخارى فى التفسير ، عن سهل بن سعد ، عن مَرْوَان ، عن زيد [٢] .

وأسنده الإمام أحمد فى مسنده [٣] ، والطبرانى فى معجمه [٤] ، وأسنداه أيضا عن قبيصة بن ذؤيب الخُزَاعِىّ [٥] ، عن زيد .

---

(١) النساء : (٩٥) .

(٢) خ : (٢١٩/٣) (٦٥) كتاب التفسير - (١٨/٤) سورة النساء - باب : ﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله ﴾ من طريق إسماعيل بن عبد الله ، عن إبراهيم بن سعد ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ، عن سهل بن سعد به .

رقم (٤٥٩٢) وانظر رقم (٢٨٣٢) فى الجهاد فهو طرف منه .

(٣) حم : (١٨٤/١) عن يعقوب ، عن أبيه ، عن صالح ، عن ابن شهاب عن سهل بن سعد ، عن مروان به .

(٤) معجم الطبرانى الكبير (١٣٣/٥ - ١٣٤) من طريق بشر بن المفضل ، عن عبد الرحمن ابن إسحاق عن الزهرى به (٤٨١٤) ومن طريق وهب بن بقية ، عن خالد ، عن عبد الرحمن بن إسحاق به . رقم (٤٨١٥) .

ومن طريق إبراهيم بن سعد ، عن صالح بن كيسان به . رقم (٤٨١٦) .

(٥) حم : (١٨٤/٥) عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن قبيصة به .

معجم الطبرانى الكبير (١٦٠/٥) عن عبدان بن محمد المروزى ، عن إسحاق بن راهويه ، =

وكان قبيصة أحد العشرة الفقهاء من تابعى أهل المدينة .

فهو حديث صحيح ، من جميع طرقه .

وأخرجه أبو داود ، والتِّرمِذِىّ ، والنَّسَوِىّ [١] .

قال أبو الحسن الدارقطنى فى كتاب العلل التى اشتمل عليها كتاب البخارى وكتاب مسلم ، أو أحدهما : وهو صحيح إلا عن مروان [٢] .

وقد أنزل الوحى على رسول الله ﷺ ، وهو على ناقته فثقل عليها حتى ساخت قوائمها فى الأرض [٣] .

= عن معمر به رقم (٤٨٩٩) .

ومن طريق محمد بن حميد الرازى ، عن عبد الله بن المبارك عن معمر به . الرقم نفسه .

(١) د : (٢٨٢/٤) (٣٤) كتاب الحروف والقراءات . رقم (٧) عن سعيد بن منصور ، عن ابن أبى الزناد ، وعن محمد بن سليمان الأنبارى ، عن حجاج بن محمد عن ابن أبى الزناد عن أبيه ، عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبيه أن النبى - ﷺ كان يقرأ : ﴿ غيرُ أولى الضرر ﴾ ولم يقل سعيد : كان يقرأ . رقم (٣٩٧٥) والآية رقم (٩٤) من النساء .

وليس فى أبى داود غير هذا ، وكأنه الذى يشير إليه المصنف .

ت : (٢٤٢/٥) (٤٨) كتاب تفسير القرآن الكريم (٥) باب : ومن تفسير سورة النساء - من طريق عبد بن حميد ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ، عن سهل بن سعد ، عن مروان ، عن زيد به .

رقم (٣٠٣٣) .

س : (٩/٦) (٢٥) كتاب الجهاد (٤) فضل المجاهدين على القاعدين - من طريق محمد بن عبد الله بن بزيع ، عن بشر بن مفضل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن الزهرى عن سهل به . رقم (٣٠٩٩) .

ومن طريق محمد بن يحيى بن عبد الله ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه عن صالح عن ابن شهاب به . رقم (٣١٠٠) .

(٢) الإلزامات والتتبع (ص ٢٣٥ - ٢٣٦) .

(٣) المستدرك (٥٠٥/٢) كتاب التفسير - تفسير سورة المزمل - من طريق محمد بن ثور ، عن معمر ، عن هشام بن عروة عن عائشة أن النبى - ﷺ كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت جرانها فلم تستطع أن تتحرك ، وتلت قول الله عز وجل : ﴿ إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً ﴾ .

قال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

الفائدة الثالثة والعشرون :

وهى فائدة دقيقة من حيث إن الذهب مطابق للإذهاب ؛ من ذهب دَرَنُه ، وزال كَدَرُه ، وبقى صفاؤه / خص الله تعالى به نبيه ﷺ ، وأهل بيته الكريم حيث قال : ﴿ إنما يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عنكم الرِّجْسَ أهلَ البيتِ ويُطَهِّرَكم تَطْهِيرا ﴾ (١) . ٥٣/أ

الفائدة الرابعة والعشرون :

ويحتمل أن تكون الإشارة فى الذهب إلى **ماخَصَّ الله به أهل الجنة** ؛ قال الله تعالى : ﴿ يُحَلَّوْن فيها من أَسَاوِرَ من ذهب ﴾ (٢) وقال جل من قائل ﴿ يُطَافُ عليهم بصِحَافٍ مِن ذهب ﴾ (٣) وهى أرفع حِلْيَة أهل الجنة ، فكأن الذهب يُشْعِر بالذَّهب الذى يصير إليه من اتبع الحق والقرآن ، أى يكون له فى الآخرة ذلك حِلْيَة وآنية .

الفائدة الخامسة والعشرون :

عِزَّةُ الذهب وبه يتم المُلْك ، وتنال الأغْرَاض ، وتُتَيَسّرُ المطالب ؛ ففيه إشارة إلى عزة الكتاب الذى جاء به محمد ﷺ قال الله تعالى : ﴿ وإنه لكتاب عزيز ﴾ (٤) وإشارة إلى عزة الرسول فى نفسه كما قال تعالى : ﴿ ولله العزة ، ولرسوله ، وللمؤمنين ﴾ (٥) وقد فتح الله بالقرآن والوحى على محمد ﷺ ، وعلى أمته جميع خزائن الملوك ، وأظهره على سائر الأديان والممالك ، ويُصَيِّر إلى أيديهم ذَهَبُهَا وفِضَّتُهَا ، وجميع زُخْرِفها وزينتها ، ثم وعدوا بالقرآن والوحى قصـــور

---

(١) الأحزاب : (٣٣) .

(٢) فاطر : (٣٣) .

(٣) الزخرف : (٧١) .

(٤) فصلت : (٤١) .

(٥) المنافقون : (٨) .

الذهب فى الجنة قال رسول الله ﷺ : « جَنَّتَان من ذهب آنِيَتُهما ومافيهما ..» [١] الحديث بطوله اختصرته وأخذت ما الحاجة داعية إليه .

الفائدة السادسة والعشرون :

ثم عُرِجَ به ليلًا لا نهارًا ، إبطالًا لقول الثَّنَوِيَّة : إن الظلمة من / شأنها الإِهانة ٥٣/ب والشر ، والنور من شأنه الإِكرام والخَيْر .

وقد نَظَم المتنبى هذا المعنى ، فقال :

وكَمْ لِظَلاَم الليل عندك من يَدٍ تُخَبِّر أن المانوية تَكْذِبُ

والمَانَوِيَّة أصحاب « مانا » أكبر الثنوية فرقة ، وهم الذين يقولون : إن الخير من النور ، والشر من الظلمة [٢] .

وقيده أهل اللغة : « مانا » بتخفيف النون ، وألف بعدها ، وأما مَانِّى بتشديد النون والكسر ، فهو الموسوس .

ذكره القاضى اللغوى أبو حفص عمر بن خلف الحميرى ، فى كتاب « تثقيف اللسان » له ، وهو اسم فارسى لا اشتقاق له ، ولو ثبت أنه عربى لتُحُيِّل فى اشتقاقه .

فأما قول أكثرهم : « مَانِى » على مثال قاضِى فنسبتهم إليه مَانَوِيّة ؛ لأنهم يقلبون كسرة الياء المنقوص فتحة فتنقلب ياؤه ألفًا ، وألف المقصور تنقلب واوًا فى النِّسْبَة فيقال : مَانَوِىّ كما يقال : قَاضَوِىّ .

وأما إذا قيدناه : « مَانَا » بفتح النون وألف مقصورة بعدها ، فإنها تقلب واوًا فى النسبة فيقال : مَانَوِىّ لاغير .

---

(١) انظر هذا الحديث وتخريجه فى ص (٨٦) من هذا الكتاب .

(٢) الملل والنحل للشهرستانى ص : (٢/٨٠ - ٨٦) .

الفائدة السابعة والعشرون :

أن الله عز وجل **عَرَج برسوله ليلًا وأَكْرَمَه بما أكرمه فيه ،** وأغرق فرعون وقومه نهارًا ، وأظهر لبنى إسرائيل هوانه ، قال الله العظيم ﴿ فاليوم نُنَجِّيك بِبَدَنِكَ لِتكون لِمَنْ خَلْفَك آية ﴾ (١) .

نُنَجِّيك : نلقيك على نَجْوَة من الأرض ، وهو النَّشْزُ ، المكان المرتفع .

٥٤/أ ورَوَى / قيس بن عُبَادةَ وعبد الله بن شَدَّاد ، ومجاهد ، وابن عباس قال : لما جاوز موسى البحر بجميع من معه التقى البحر على فرعون وقومه ، فأغرقه . فقال أصحاب موسى : إنا نخاف أن لا يكون فرعون هلك ولا نؤمن بهلاكه . فدعا رَبَّه ، فأخرجه ، فنبذه البحر حتى استيقنوا بهلاكه .

فإن قيل : فما معنى قوله جل من قائل : ببدنك ؟ وهل يجوز أن ينجيه بغير بدنه ؟

الجواب :

قيل : كان يجوز أن ينجيه بهيئته حيًا ، كما ذكر البَحْر (٢) ، فلما كان جائزا ذلك قيل ﴿ فاليوم ننجيك ببدنك ﴾ ؛ ليعلم أنه يُنَجِّيه بالبدن بغير روح ، ولكنْ مَيِّتًا ، فجعله الله على نَجْوَةٍ من الأرض ببدنه ، ينظر إليه ، هالكًا من كذب بهلاكه ، قال الله العظيم : ﴿ لتكون لِمَنْ خَلْفَك آية ﴾ ؛ لتكون لمن بعدك عِبْرَة يعتبرون بك ، فينزجرون عن معصية الله ، والكفر به .

فكان العُروج بالنبى ﷺ ليلًا ؛ إكرامًا له ، وإغراق فرعون نهارًا إهانةً له .

الفائدة الثامنة والعشرون :

وقد أكرم الله تعالى قومًا من أنبيائه بأنواع الكرامات ليلًا ؛ من ذلك قوله تعالى فى قصة إبراهيم عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عليه الليل رأى كَوْكَبًا ﴾ (٣) .

---

(١) يونس : (٩٢) .

(٢) أى ابن عباس - رضى الله عنهما .

(٣) الأنعام : (٧٦) .

فمن خصائص الليل ظهور مراكب الكواكب الطَّوالِع والغَوَارِب ، فى آفاق المشارق والمغارب ، الدالة بتَنَقُّلِهَا فى مطالعها على وجوب وجود صانعها ، وهى التى استدل بها إبراهيم الذى سماه الله بالخَلِيل / على وجوب وجود الملك ٥٤/ب
الجليلِ ، بقوله جلّ مِنْ قائل : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عليه الليلُ رأى كوكبا قال هذا رَبِّى فلما أَفَلَ قال لا أُحب الآفِلِين ﴾ .

وفى قصة لوط عليه السلام ، لمَّا أراد الله نجاته ، ونَجَاة أهله ، وهلاك من لم يؤمن بما جاء به من قومه ، فأمره جل وعلا أن يَسْرِىَ بأهله ليلًا ، فقال : ﴿ فأَسْرِ بأهلك بِقِطْعٍ من الليل ﴾ [(١)] .

وقوله تعالى فيه : ﴿ إلا آل لوط نجيناهم بِسَحَر ﴾ [(٢)] .

واستجاب دعاء يعقوب عليه السلام فى بنيه ليلًا فى قوله تعالى : ﴿ سوف أستغفر لكم ربى ﴾ [(٣)] .

قال المفسرون : أخرهم إلى وقت السَّحَر من ليلة الجمعة .

وقرَّب موسى نَجِيًّا ليلا ، وذلك قوله تعالى : ﴿ قال لأهله امكُثُوا إنِّى آنَسْتُ نارًا ﴾ [(٤)] وواعده أربعين ليلة فقال جَلَّ مِنْ قائل : ﴿ وإذْ واعدنا موسى أربعين ليلة ﴾ [(٥)] .

وقال جل من قائل [لموسى] [(٦)] – على نَبِيِّنَا وعليه السلام – لما أمره بالخروج من مصر ببنى إسرائيل : ﴿ فأَسْرِ بعبادِى ليلًا إنكم مُتَّبَعُون ﴾ [(٧)] .

---

(١) الحجر : (٦٥) .

(٢) القمر : (٣٤) .

(٣) يوسف : (٩٨) .

(٤) القصص : (٢٩) وفى الأصل : « إذ قال لأهله » وهو خطأ .

(٥) البقرة : (٥١) .

(٦) مابين المعكوفين زيد ، وليس فى الأصل ، فالسياق يدل على أن هذه الكلمة سقطت من الناسخ .

(٧) الدخان : (٢٣) .

الفائدة التاسعة والعشرون :

إن ظهور أكثر الآيات والكرامات التى خص الله بها نبينا وشفيعنا وسيدنا محمدًا ﷺ كانت ليلا ؛ منها انشقاق القمر ، ومنها إيمان الجِنّ به ، ورأى الصحابة آثار نيرانهم على ماثبت فى صحيح مسلم .

ومنها أنه خرج إلى الغار ليلا على مائة من قريش ، وهم على بابه ، ينتظرونه ليقتلوه بزعمهم ، فحجب الله أعينهم / عنه ، وألقى التراب على رؤوسهم ، وهم لم يروه ، مع انتظارهم لخروجه ، وارتقابهم له أشد الارتقاب ، وإحاطتهم بمنزله ، وعزمهم على قتله . ٥٥/أ

وفى ذلك يقول جل من قائل : ﴿ وإذ يَمْكُرُ بكَ الذين كفروا ليُثْبِتُوك أو يقتلوك أو يُخْرِجوك ويَمْكرُون ويَمْكُر الله والله خيرُ الماكرين ﴾ (١) .

والآيات الليليّة فيها كثرة ، استغنينا بذكر بعضها .

الفائدة الموفية ثلاثين :

قَدَّم الله تبارك وتعالى الليل فى كتابه على ذكر النهار ، فقال جلّ من قائل فى غير آية ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ وهو الذى جعل الليل والنهار خِلْفَةً لمن أراد أن يَذَّكَّر أو أراد شُكُورا ﴾ (٣) .

وقال جل من قائل : ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولى الألباب ﴾ (٤) .

---

(١) الأنفال : (٣٠) .
(٢) الإسراء : (١٢) .
(٣) الفرقان : (٦٢) .
(٤) آل عمران : (١٩٠) والآية كتبت خطأ فى الأصل .

وقال تعالى : ﴿ قل أرأيتم إنْ جعل الله عليكم الليل سَرْمَدًا إلى يوم القيامة من إلهٌ غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون * قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سَرْمَدًا إلى يوم القيامة مَنْ إله غير الله يأتيكم بليلٍ تسكنون فيه أفلا تبصرون * ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ (١) .

وأما قوله جل من قائل : ﴿ لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ﴾ (٢) .

أى لا يصلح لها إدراك القمر ، فيذهب ضوؤها بضَوْئِه فتكون الأوقات كلها نهارًا لا ليل فيها ، ولا الليل سابق النهار / أى بفائت النهار ، حتى تذهب ظلمته بضيائه ، فتكون الأوقات كلها ليلًا ؛ أى لكل واحد منهما حَدٌّ لا يتجاوزه ، إذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا . ٥٥/ب

الفائدة الحادية والثلاثون :

أن الابتداء بالليالى فى عدد السنين والشهور دون الأيام ، فأول الشهر ليله ، ولو حمل الشهر على الأيام سقطت ليلة ، فكان الليل كالأصل ، والنهار له كالفرع ، ومن فوائده أن سواده يجمع مُنْتَشِرَ ضوء البصر ، ويحد كليل النظر ، ويُسْتَلَذُّ فيه بالسَّمَر ، واجتلاء وجه القمر ، وفيه يخلو الأحباب بالأحباب ، ويتصل بالوصل بينهم ما انقطع من الأسباب .

الفائدة الثانية والثلاثون :

أنه لا ليل إلا ومعه نهار ، وقد يكون نهار بلا ليل ، وهو يوم القيامة الذى قال الله تعالى فيه : ﴿ فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ (٣) .

---

(١) القصص : (٧١ - ٧٣) .
(٢) يس : (٤٠) .
(٣) المعارج : (٤) .

الفائدة الثالثة والثلاثون :

وهى أكبر هذه الفوائد : ثبت عن رسول الله ﷺ بإجماع أهل النقل أنه قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ، فيقول : من يَدْعُونى فأستجيب له ، ومن يسألنى فأعطيه ، ومن يستغفرنى فأغفر له ..» [١] الحديث .

وهذه الخِصِّيصَة لم تُجْعَل للنهار ، نبه بها ﷺ لما فى ذلك الوقت من الليل من سَعَة الرحمة ومضاعفة الأجر وتعجيل الإجابة .

٥٦/أ فإن قيل : قد قال رسول الله ﷺ / خير يوم طَلَعَتْ عليه الشمس يوم الجمعة ؟ [٢] .

قلنا : هذا فضله فى الأيام وقد حكم أحكم الحاكمين ، وهو أصدق القائلين : ﴿ إنا أنزلناه فى ليلة القَدْر * وما أدراك ما ليلة القَدْر * ليلة القَدْر خير من ألف شهرٍ ﴾ [٣] فدخل فى هذه الليلة أربعة آلاف جمعة على الحساب الجُمَّلىّ ، فكانت هذه الليلة بمفردها خيرًا من هذه الجُمَع بجملتها .

وهذا يكفى لمن ألهمه الله رشده ، وهداه سبيل الحق ، وقصده .

الفائدة الرابعة والثلاثون :

أن أكثر سفر رسول الله ﷺ كان ليلًا . ثبت فى الصحيحين فى غير ما حديث ؛ منها حديث أبى بكر الصديق من رواية البَرَاء بن عَازِب : فقال له أَبِى : يا أبا بكر حدثنى كيف صنعتما ليلة سَرَيْت مع رسول الله ﷺ ؟

---

(١) سبق تخريج الحديث (ص ٩٣) من هذا الكتاب .

(٢) م : (٥٨٥/٢) (٧) كتاب الجمعة (٥) باب فضل يوم الجمعة – من طريق حرملة بن يحيى ، عن ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبى هريرة . رضى الله عنه قال : قال رسول الله – ﷺ : خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها . رقم (٨٥٤/١٧) .

ومن طريق قتيبة بن سعيد ، عن المغيرة الحزامى ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج به . رقم (١٨) .

(٣) القَدْر : (١ – ٣) .

وفى صحيح البخارى فى المناقب : « حين سريت ، قال : نعم أسرينا ليلتنا كلها ، حتى قام قائم الظهيرة ...» الحديث بطوله [١] .

ونَصُّ صحيح البخارى قال : « نعم ، أَسْرَيْنَا ليلتنا ، ومن الغد حتى قام قائم الظهيرة » .

قال أهل اللغة : يقال : سَرَى الرجل ، يَسْرِى ، سُرًى ، وسِرَاية : إذا سار ليلًا ، وأسرى ، يَسْرِى ، إسراء كذلك .

وقائم الظهيرة كناية عن وقوف الشمس وقت الهاجرة ، حتى كأنها لا تبرح ، فيكون قيامها كناية عنها ، أو عن الظل ؛ لوقوفه حينئذٍ ، حتى يأخذ فى الزيادة .

والظهيرة هى ساعة الزوال ؛ لأن الشمس تظهر ذلك الوقت ، أى تعلو غاية ما لَها أن تعلو .

وقال يعقوب : / الظهيرة نصف النهار ، حتى تكون حيال رأسك ، وبه سميت صلاة الظُّهْر . ٥٦/ب

وجمع الظهيرة : ظهائر .

ومنها حديث عِمْرَان بن حصين الثابت فى الصحيحين قال : « كنت مع النبى ﷺ فى مسيرٍ له فأَدْلَجْنا ليلتنا حتى إذا كان فى وجه الصبح عَرَّسْنَا ...» الحديث بطوله فى قصة صاحبة المَزَادَتَيْن [٢] .

---

(١) خ : (٢/٥٣٢) (٦١) كتاب المناقب (٢٥) باب علامات النبوة - من طريق محمد بن يوسف ، عن أحمد بن يزيد بن إبراهيم أبو الحسن الحرانى ، عن زهير بن معاوية ، عن أبى إسحاق ، عن البراء بن عازب ، عن أبى بكر - رضى الله عنهم به حديث طويل . رقم (٣٦١٥) .

م : (٤/٢٣٠٩ - ٢٣١٠) (٥٣) كتاب الزهد والرقائق (١٩) باب فى حديث الهجرة ، ويقال له : حديث الرحل - من طريق سلمة بن شبيب ، عن الحسن بن أعين ، عن زهير ، عن أبى إسحاق به . فى حديث طويل .

(٢) خ : (٢/٥٢٠ - ٥٢١) (٦١) كتاب المناقب (٢٥) باب علامات النبوة فى الإسلام - =

قال أهل اللغة : [أَدْلَج][1] بسكون الدال يقال : فى سير الليل كله وادَّلَج بتشديد الدال ؛ أى سِرْنَا من آخر الليل .

هذا هو الأشهر عند أهل اللغة .

ومنها حديث جابر بن عبد الله ، وقصة جَمِله ، وهى من معجزاته الليْلِيَّة[2] .

وحديث عائشة رضى الله عنها فى قصة أصحاب الإفك فى سفر كان ليلًا[3] .

وغير ذلك من الأحاديث المُجْمَع على صحتها .

الفائدة الخامسة والثلاثون :

أنه كما سـار ليـلًا أمـر أُمَّـتَـه بسير الليل . فروى مالك فى جامع الموطأ ؛ عن أبى عبيد ، عن خالد بن مَعْدَان ، يرفعه قال : « إن الله تبارك وتعالى رفيق يحب الرفق ، ويرضى به ، ويعين عليه ، ما لا يعين على العُـنْـف ، فإذا ركبتم هذه الدواب العُجْم فأنزلوها منازلها ، فإذا كانت الأرض جَدْبَةً فأنْجُوا عليـها

= من طريق أبى الوليد ، عن سَلْم بن زَرِير ، عن أبى رجاء ، عن عمران بن حصين به فى حديث طويل . رقم (٣٥٧١) .

م : (٤٧٤/١ - ٤٧٥) (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٥) باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها - من طريق أحمد بن سعيد بن صخر الدارمى ، عن عبيد الله بن عبد المجيد ، عن سَلْم به . رقم (٦٨٢/٣١٢) .

والمزادة : أكبر من القِرْبة ، والمزادتان حمل بعير ، سميت مزادة لأنه يزاد فيها من جلد آخر من غيرها .

وعَرَّسْنَا : أى نزلنا ليلًا .

(١) مابين المعكوفين زيد على الأصل .

(٢) خ : (٣٤٩/٢ - ٣٥٠) (٥٦) كتاب الجهاد والسير - (١١٣) باب استئذان الرجل الإمام - من طريق إسحاق بن إبراهيم ، عن جرير ، عن المغيرة ، عن الشعبى ، عن جابر به . رقم (٢٩٦٧) .

م : (١٢٢١/٣ - ١٢٢٢) (٢٢) كتاب المساقاة (٢١) باب بيع البعير وإستثناء ركوبه - من طريق عثمان بن أبى شيبة ، وإسحاق بن إبراهيم به .

رقم (٧١٥/١١٠) .

(٣) سبق تخريجه (ص١١٨) من هذا الكتاب .

بِنِقْيِها [١] ، وعليكم بسير الليل ؛ فإن الأرض تُطْوَى بالليل ، ما لا تُطْوَى بالنهار ، وإياكم والتَّعْرِيس على الطريق ؛ فإنها طرق الدواب ومأوى الحَيَّات » [٢] .

٥٧/أ

وهذا حديث / يُستَنَد من وجوه كثيرة .

وأبو عبيد هذا حاجب سليمان بن عبد الملك بن مروان ، ومولاه ، وكان ثقة ، واسمه حَيّ ويقال : حُيَيَّ ، قاله ابن عبد البر فى التمهيد ، ونقلته من أصله [٣] .

وقال الحاكم أبو عبد الله فى معرفة علوم الحديث له : اسمه حُوىّ ، ولا أعلم فى الرواة له سَمِيًّا [٤] .

وخالد بن مَعْدَان ، أحد علماء التابعين ، وعُبَّادِهم وعُدولِهم ، لقى جماعة من أكابر الصحابة ، وقد خَرَّج البخارى حديثه عن المِقْدَام بن مَعْدِى كَرِب عن رسول الله ﷺ : « كيلوا طعامكم يُبارك لكم فيه » وهو حديث تفرد بإخراجه [٥] .

---

(١) أى أسرعوا عليها مادامت بشحمها . فالنجا : السرعة ، والنِّقْى : الشحم .

(٢) ط : (٩٧٩/٢) (٥٤) كتاب الاستئذان (١٥) باب مايؤمر به من العمل فى السفر – من طريق مالك به .

م : (١٥٢٥/٣) (٣٣) كتاب الإمارة (٥٤) باب مراعاة مصلحة الدواب فى السير – من طريق قتيبة بن سعيد ، عن عبد العزيز بن محمد ، عن سهيل ، عن أبيه ، عن أبى هريرة أن رسول الله – ﷺ قال : إذا سافرتم فى الخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض ، وإذا سافرتم فى السَّنَة فبادروا بها نقيها ، وإذا عَرَّستم فاجتنبوا الطريق ، فإنها طرق الدواب ، ومأوى الهوام .

رقم (١٩٢٦/١٨٧) .

(٣) قال ابن عبد البر فى التمهيد (١٥٥/٢٤) « اسمه حى ، ويقال : حيى ، وكان ثقة ، ولمالك عنه من مرفوعات الموطأ حديثان ، أحدهما مرسل يتصل معناه من وجوه حسان » وهو يقصد هذا الحديث .

– الاستغناء فى معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى (٨١٧/٢) والمصادر المبينة بهامشه . وفيه : « اسمه حَىّ ، ويقال : حوى » .

(٤) معرفة علوم الحديث للحاكم (ص ١٨١) والأصل فيه « حوى » ولكن المعلق عليه ترك الأصل ، وأثبتها « حيى » من فتح البارى .

(٥) خ : (٩٧/٢) (٣٤) كتاب البيوع (٥٢) باب ما يستحب من الكيل – من طريق إبراهيم ابن موسى ، عن الوليد ، عن ثور ، عن خالد بن معدان عن المقدام به . رقم (٢١٢٨) .

وفى حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « عليكم بالدُّلْجَة ، فإن الأرض تُطْوَى بالليل »[١] .

رواه الليث بن سعد مُحَدِّث مصر وفقيهها وكريمها ، عن عُقَيْل ، عن الزهرى ، عن أنس .

والدُّلْجَة : سير الليل كله ؛ يقال : بضم الدال ويقال : بفتحها ويقال : بفتح اللام أيضا .

الفائدة السادسة والثلاثون :

إن **ليلة القدر** التى عَظَّمَها الله تعالى وجعلها خيرًا من ألف شهر مما خص الله به محمدًا ﷺ وأمته ، **وهى من الكرامات الليلية** ، وثناء الله جل وعز عليها فى القرآن يغنى عن شرح فضلها والبيان .

الفائدة السابعة والثلاثون :

إن ليلة النحر موصولة بيوم عرفة ، شرَّف الله بذلك هذه الأمة . فمن وصل إلى عرفة ليلًا بعد نفور الناس منها ، فوقف بها ساعة ، ثم أدرك الإمام بِجَمْع ، فصلى الفجر معه ، فقد تَمَّ حَجُّه ، فإن وصل عرفة بعد طلوع الفجر فقد فاتته الوقفة ، وعليه الحج من قَابِل . ٥٧/ب

والحُجَّة فى ذلك حديث عُرْوة بن مُضَرِّس بن أَوْس بن حارثة بن لام الطائى ، قال : أتَيْتُ رسول الله ﷺ بالمزدلفة حين خرج إلى الصلاة فقلت : يارسول الله إنى جئت من جبلى طَيّ ، أكْلَلْت راحلتى ، وأتعبت نفسى ، والله ماتركت من حَبْلٍ إلا وقفت عليه ، فهل لى من حج ؟ .

---

(١) المستدرك (٤٤٥/١) من طريق رويم بن يزيد ، وقبيصة بن عقبة عن الليث به .
وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .
(وانظر مسند أبى يعلى ٣٠١/٦ - مجمع الزوائد ٢١٣/٣ - كشف الأستار ؛ رقم ١٦٩٦) .

فقال رسول الله ﷺ : من شهد صلاتنا هذه ، ووقف معنا حتى ندفع ، وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلًا أو نهارًا - فقد أتم حجه ، وقضى تَفَثَه » [(١)] .

حكم بصحته الإمام أحمد .

وألزم الدارقطنى البخارى ومسلمًا إخراجه [(٢)] .

ورواه الترمذى ، وحكم بصحته .

قال : ثنا ابن أبى عمر نا سفيان عن داود بن أبى هند ، وإسماعيل بن أبى خالد ، وزكريا بن أبى زائدة ، عن الشعبى ، عن عُرْوة بن مُضَرِّس .

الفقه :

قال الإمام أحمد : وقت الوقوف من طلوع الفجر الثانى من يوم عرفة إلى الفجر الثانى من يوم النحر .

وقال الإمام مالك بن أنس : الاعتماد فى الوقوف بعرفةَ عندنا على الليل من ليلة النحر ، والنهار من يوم عرفة تَبَعٌ ، فإن وقف جزءًا من النهار ، ووصله بجزء من الليل ، وهو أن يدفع من عرفة بعد غروب الشمس أجزأه .

فإن وقف جزءًا من / النهار وحده ، ودفع قبل غروب الشمس لم يجزه ، ٥٨/أ وإن وقف جزءًا من ليلة النحر ؛ أَىّ جزءٍ كان ، من أوله أو آخره ، قبل طلوع الفجر من يوم النحر أجزأه .

---

(١) د : (٢/٤٨٦ - ٤٨٧) (٥) كتاب المناسك (٦٩) باب من لم يدرك عرفة - من طريق إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشعبى ، عن عروة به .

ت : (٣/٢٢٩ - ٢٣٠) (٧) كتاب الحج (٥٧) باب ماجاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج - من طريق إسماعيل بن أبى خالد به .

قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

وقال : قوله : تفثه : يعنى نسكه . قوله : ماتركت من حَبْل إلا وقفت عليه : إذا كان من رمل يقال له : حَبْل ، وإذا كان من حجارة يقال له : جبل .

(٢) الإلزامات والتتبع : (ص ٩٨) .

وقال الإمَامَان الشافعى وأبو حنيفة : الاعتماد على النهار من يوم عرفة من وقت الزوال ، والليل كله تَبَعٌ ؛ فإن وقف جزءًا من النهار أجزأه ، وإن وقف جزءًا من الليل أجزأه .

قال القاضى أبو محمد [(١)] : فجعلا الليل الذى قد استوت أجزاؤه تبعًا للنهار الذى قد اختلفت أجزاؤه ، ثم يقولون : إنه إن وقف جزءًا من النهار دون الليل ، كان عليه دم وإن وقف من الليل جزءًا دون النهار ، لم يجب عليه دم [(٢)] .

قال ذو النسبين رضى الله عنه : وأقوال الفقهاء تطول ، والاعتماد على ماقاله سيدنا الرسول ﷺ ، وعلى آله ، صلاةً لا تنفصم ، ولا تزول .

وقوله : « ما تركت من حَبْلٍ : الحَبْلُ : هو ماطال من الرَّمْل وضخم ، ويقال : الحِبَالُ دون الجِبَال » .

وبأسانيدنا المتقدمة إلى أبى عيسى الترمذى قال :

نا ابن أبى عمر قال : نا سفيان بن عُيَيْنة ، عن سفيان الثورى ، عن بكير بن عطاء ، عن عبد الرحمن بن يَعْمُر قال : قال رسول الله ﷺ : « الحج عرفات ، الحج عرفات ، الحج عرفات . ثلاثًا ، أيام مِنًى ثلاث ؛ فمن تَعَجَّل فى يومين فلا إثم عليه ، ومن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك الحج » [(٣)] .

---

(١) أظنه القاضى عياض ، فهذه كنيته .

(٢) انظر تفصيل أحكام هذه المذاهب وأدلتها فى كتاب الحج والعمرة للمحقق (ص ٣٣٠ - ٣٣٤) .

(٣) د : (٤٨٦/٢) (٥) كتاب المناسك (٦٩) باب من لم يدرك عرفة - من طريق سفيان عن بكير بن عطاء عن عبد الرحمن بن يعمر الديلى به » .

ت : (٢٢٨/٣ - ٢٢٩) (٧) كتاب الحج (٥٧) ماجاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج - من طريق ابن أبى عمر به ؛ إحالة على حديث قبله . رقم (٨٩٠) .

قال أبو عيسى أيضًا : والعمل على حديث عبد الرحمن بن يعمر عند أهل العلم من أصحاب النبى - ﷺ وغيرهم : أنه من لم يقف بعرفات قبل طلوع الفجر فقد فاته الحج ، ولا يجزىء عنه إن جاء بعد طلوع الفجر ، ويجعلها عمرة ، وعليه الحج من قابل . وهو قول الثورى والشافعى وأحمد وإسحاق .

وقال أبو عيسى : وقد روى شعبة عن بكير بن عطاء نحو حديث الثورى . قال : وسمعت الجارود يقول : سمعت وكيعًا أنه ذكر هذا الحديث ، فقال : هذا الحديث أم المناسك .

قال ابن أبى عُمَر : قال سفيان بن عينية : وهذا أجود حديث رواه الثورى .

قال الترمذى : هذا حديث / صحيح . ٥٨/ب

ورواه شعبة عن بكير بن عطاء ، ولا نعرفه إلا من حديث بكير بن عطاء .

وكرره ثلاث مراتٍ تأكيدًا [١] .

ومعناه : معظم الحج ، وذلك أن قريشًا ، ومن كان على دينها وهم الحُمْس ، يقفون بالمُزْدَلِفَة ، ويقولون : نحن قُطَّان حرم الله ، فلا يجوز لنا أن نَبْرح منه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ثم أَفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ [٢] .

واعتمد رسول الله ﷺ الوقوف بعرفة ، وكذلك كان يقف فى الجاهلية ، ثم أمرهم به فى الإِسلام ؛ قولًا وعملًا .

وعبد الرحمن بن يَعْمُر الدِّيليّ صحب رسول الله ﷺ ، وسمع منه ، وروى عنه ، وهو قليل الحديث .

الفائدة الثامنة والثلاثون :

يحتمل أنه إنما عُرِج به ليلًا ؛ لأن لا يقال فيه ماقالت النصارى فى عيسى ابن مريم حين رُفِعَ نهارا : إنه ابن الله ، تعالى أن يكون له ولد ، بل هو الأحد ، الصمد ، ﴿ لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كُفُوًا أحد ﴾ [٣] .

الفائدة التاسعة والثلاثون :

إن الليل يختص بتناجى الأحبة فخصه بمزيَّة الأحبة وعرج به ليلًا للمناجاة .

---

(١) يعنى قوله : « الحج عرفات » .

(٢) البقرة : (١٩٩) .

(٣) الإِخلاص : (٣ - ٤) .

الفائدة الموفية أربعين :

إن الليل هو وقت مجيء الطَّيْف ، وهو الخيال ، وهو قول حَسَّان :

« يؤرقنى إذا ذهب العشاء »

من القصيدة التى أولها :

عَفَتْ ذَاتُ الأصابع فالجُوَاءُ

ذات الأصابع موضع بالشام . وكذلك الجُوَاء ، وكان منزل الملك الحارث ابن أبى شَمّر الغَسَّانىّ .

٥٩/أ فقوله : « يُؤَرِّقُنى » ؛ أى يُسهرنى / فإن قيل : كيف يسهره الطَّيف ، والطيف حُلْم فى المنام ؟

فالجواب : أن الذى يؤرِّقُه لوعة يَجِدُها عند زواله كما قال حبيب :

ظبى تَقَصَّيْتُه لما نَصَبْتُ له   من آخر الليل أَشْرَاكًا من الحُلُم
ثم انْثَنَى ونَبَا مِنْ ذِكْرِه سَقَمٌ   باقٍ ، وإن كان مَعْسُولًا من السَّقَمِ

وقد أحسن فى قوله : « من آخر الليل » تنبيهًا على أنه سهر ليله كله ، إلا ساعة جاءه الخيال فيها من آخره ، إلا أنه مأخوذ من قول حسان :

منع النومَ والرقادَ الهُمُومُ   وخيال إذا تَغُورُ النُّجُوم

الفائدة الحادية والأربعون :

إن اجتهاد النبى ﷺ للعبادة كان بالليل أكثر منه بالنهار ؛ لأنه صلى بالليل ، حتى تَوَرَّمَتْ قدماه وهو صاحب : ﴿ يأيها المزمل قم الليل إلا قليلا ﴾ [(١)] فلما كانت عبادته لله عز وجل بالليل أكثر كانت الكرامات له من الله تعالى بالليل أكثر فعُرِجَ به ليلًا ، وقد أمره الله جل جلاله بقيامه ، فيما أوحاه إليه من محكم كلامه : ﴿ ومن الليل فتهجد به نَافِلَةً لك عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودا ﴾ [(٢)] .

---

(١) المزمل : (١) .   (٢) الإسراء : (٧٩) .

الفائدة الثانية والأربعون :

ويحتمل أنه إنما أُسْرِىَ به ليلًا عند نوم الناس ؛ ليكون أجر المُصَدِّق به أعظم ، وقد أثنى الله عز وجل على الذين يؤمنون بالغيب .

الفائدة الثالثة والأربعون :

استفتاح جبريل عليه السلام باب السماء ، وذلك / **تشريف للنبى** ؛ لأنه ٥٩/ب لو رآها مفتحه لظن أنها لا تزال كذلك ، ففتحت ليعلم أنّ ذلك كان لأجله ؛ تشريفًا له .

الفائدة الرابعة والأربعون :

أن الحق جل وعلا أراد أن يُطْلِع محمدًا ﷺ على كونه معروفًا فى أهل السموات قبل خَلْقِه وبعثه ؛ لأنه حين استفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ فقال : محمد . فقيل : أوقد بعث إليه ؟ قال : نعم . ولم يقولوا : من محمد ؟ بل قالوا : مرحبًا . وهذا أحد معانى قول الله عز وجل : ﴿ ورفعنا لك ذِكْرَك ﴾ [١] أى عَرَف جميعُ أهل السموات والأرض ذِكْرَه .

الفائدة الخامسة والأربعون :

عرض الجنة عليه ليلة المعراج ، وفى ذلك كرامة عظيمة ؛ لأنه كان يعرض الجنة على أمته ليشتروها كما قال عن ربه عز وجل : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُون وَعْدًا عليه حقًّا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ [٢] .

وفى هذه الآية من الفقه دليل على أن أهل كل مِلَّة أمروا بالقتال ، ووعدوا

---

(١) الشرح : (٤) .

(٢) التوبة : (١١١) .

عليه الجنة . ولا يوجد فى صحيح الحديث مثل هذا العموم ؛ لأن الله تعالى نص فى كتابه العزيز : ﴿ بأن لهم الجنة ﴾ ولم يشترط قُتِلُوا أو لم يُقْتَلُوا فى الحالين ؛ ٦٠/أ لأنه جل من قائل قال : ﴿ فَيَقْتُلُون ويُقْتَلُون ﴾ ولذلك قال بعض الصحابة / رضى الله عنهم : ما أبالى قَتَلْتُ فى سبيل الله ، أو قُتِلت ، ثم تلى هذه الآية .

وقوله : ﴿ يقاتلون ﴾ فيه معنى الأمر ؛ كقوله تعالى : ﴿ وتُجَاهِدُون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾ [1] ﴿ فَيَقْتُلون ويُقْتَلُون ﴾ على بناء الأول للفاعل ، والثانى للمفعول ، وعلى العكس .

« وَعْدًا » مصدر مؤكد .

وأخبر تعالى بأن هذا الوعد الذى وَعَدَه المجاهدين فى سبيله وَعْدٌ أثبته فى التوراة والإنجيل ، كما أثبته فى القرآن ثم قال : ﴿ ومن أوفى بعهده من الله ﴾ ؛ لأن إخلاف الميعاد قبيح ، لا يقدم عليه الكرام من الخَلْق ، مع جوازه عليهم ، فكيف بالغَنِىّ الذى لا يجوز عليه القبيح قط .

ولا ترى ترغيبا فى الجهاد أحسن منه ، وأَبْلَغ ، فأراد الله سبحانه أن يعاين ما يعرضه على أُمَّتِه ليكون صفته لهم إيَّاها عن مُشَاهَدَة ، ولأنه كان يدعو الناس إلى الجنة ، وهى الدار التى هيأها الله عز وجل لضيافة عباده المؤمنين ، وبُعِثَ النبى ﷺ دَاعِيًا إليها .

ففى صحيح البخارى عن سعيد بن مَيْنَا قال : ثنا ، أو سمعت جابر بن عبد الله يقول : جاءت ملائكة إلى النبى ﷺ ، وهو نائم ، فقال بعضهم : إن العين نائمة ، والقلب يَقْظَان . فقالوا : إن لِصَاحِبكم هذا مثلا ، فقال : فاضربوا له مَثَلًا ، فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة ، والقلب يَقْظَان ، فقالوا : ٦١/ب مَثَلُه كمثل رجل بنى دارًا ، وجعل فيها مَأْدُبَة ، وبعث داعيًا ، / فمن أجاب الداعى دخل الدار ، وأكل من المَأْدُبَة ، ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ، ولم يأكل من المَأْدُبَة . فقالوا : أَوِّلُوها له يفقهها .

---

(١) الصف : (١١) .

قال بعضهم : إنه نائم ، وقال : بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان .
فقالوا : الدار : الجنة ، والداعى : محمد ، فمن أطاع محمدًا فقد أطاع الله ، ومن عصى محمدًا فقد عصى الله . ومحمد فَرْق بين الناس (١) .

هذا نصه فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : « تابعه قتيبة ، عن ليث ، عن خالد ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن جابر خرج علينا النبى ﷺ ...» هنا وقف البخارى .

وأتمه أبو عيسى الترمذى فقال : خرج علينا رسول الله ﷺ يوما فقال : « إنى رأيت فى المنام كأن جبريل عند رأسى ، وميكائيل عند رِجْلَىَّ ؛ يقول أحدهما لصاحبه : اضرب له مَثَلًا ...» (٢) الحديث الطويل .

وهو مرسل ؛ لأن سعيد بن أبى هلال لم يدرك جابر بن عبد الله ، ولد بمصر سنة سبعين ، وسكن المدينة ، شَرَّفَها الله تعالى ، ثم رجع إلى مصر ، وتوفى سنة ثلاثين ومائة .

قال ذو النسبين رضى الله عنه : المأْدُبَة بضم الدال ؛ من الأَدْب بسكون الدال ، وهى أن تجمع الناس إلى طعام تصنعه لهم ، وتدعوهم إليه .

وقول الملائكة « محمد فَرْق بين الناس » ؛ أى يُفَرِّق بين المؤمنين والكافرين ، بتصديقه وتكذيبه .

فأراد الله تعالى أن يريه الدار ، وكثرة ما أعد فيها من النعيم والكرامة ؛ لئلاَّ

---

(١) خ : (٣٦٠/٤) (٩٦) كتاب الاعتصام بالسنة (٢) باب الاقتداء بسنن رسول الله - ﷺ - من طريق محمد بن عبادة ، عن يزيد ، عن سليم بن حيان ، عن سعيد بن مَيْنَاء به . رقم (٧٢٨١) .

ثم قال : تابعه قتيبة ... الخ مما سيذكره المصنف .

(٢) ت : (١٤٥/٥) (٤٥) كتاب الأمثال عن رسول الله - ﷺ - عن قتيبة به رقم (٢٨٦٠) .

قال أبو عيسى : هذا حديث مرسل ، سعيد بن أبى هلال لم يدرك جابر بن عبد الله . وفى الباب عن ابن مسعود .

وقال : وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن النبى - ﷺ بإسناد أصح من هذا .

٦١/أ يَضِنَّ بالدعوة إليها ، ويعلم أنها تسع الخلائق كلهم ، ولا / تمتلىء حتى ينشىء الله لها قومًا [١] ؛ كما ثبت عنه ﷺ .

الفائدة السادسة والأربعون :

ويحتمل أنه أراه إياها **ليعلم خِسَّة الدنيا فى جَنْب ما رآه** فيكون فى الدنيا أزهد ، وعلى شدائدها أصبر ، حتى يؤدِّيه إلى الجنة ، فقد قيل : حَبَّذا مِحْنَة تؤدى بصاحبها إلى الرخاء ، وبُؤْسَى لنعمة تؤدِّى بصاحبها إلى البَلاَء .

الفائدة السابعة والأربعون :

ويحتمل أن الله سبحانه وتعالى أراد أن لا يكون لأحد كرامة لا تكون لمحمد ﷺ مثلها ، ولَمَّا كان لإدريس كرامة الدخول إلى الجنة قبل يوم القيامة ، أراد الله سبحانه أن يكون ذلك لصَفِيِّه ونَجِيِّه محمد ﷺ .

وقد اختلف فى قوله تعالى : ﴿ إن الذى فَرَضَ عليك القرآن لرَادُّك إلى مَعَاد ﴾ [٢] أنه أراد الجنة التى عرضها عليه ليلة المعراج .

قال ذو النسبين رضى الله عنه : والصحيح أنه أراد مكة . خرجه البخارى فى التفسير [٣] .

الفائدة الثامنة والأربعون :

عرض النار عليه ؛ وفى ذلك فائدة عظيمة ؛ لأن الكفار لَمَّا كانوا

---

(١) صحيفة همام بن منبة عن أبى هريرة عن رسول الله - ﷺ رقم (٥٢) ص (١٧٩) . وتخريجه .

وفيه : « وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشىء لها خلقًا » وهو حديث متفق عليه .

(٢) القصص : (٨٥) .

(٣) خ : (٢/٢٧٤) (٦٥) كتاب التفسير (٢٨) سورة القصص (٢) باب ﴿ إن الذى فرض عليك القرآن ﴾ من طريق محمد بن مقاتل ، عن يعلى ، عن سفيان العُصْفُرِىّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ﴿ لرادك إلى معاد ﴾ قال : إلى مكة . رقم (٤٧٧٣) .

يستهزءون به ، ويُكَذِّبون قوله ، ويُؤْذُونه أشد الأذى أراه الله تعالى النار التى أعدها للمستَخِفِّين به ، وبأمره ؛ تَطْيِيبًا لقَلْبِهِ ، وتسكينا لفؤاده .

الفائدة التاسعة والأربعون :

الإشارة فى ذلك إلى أن من طَيَّب قلبه فى شأن أعدائه بالإهانة والانتقام ، فأولى أن يُطَيِّب / قلبه فى شأن أوليائه بالشفاعة والإكرام . ٦١/ب

الفائدة الموفية خمسين :

ويحتمل أنه عرضها عليه ليعلم مِنَّةَ الله عليه حين أنقذهم منها ؛ ببركته وشفاعته .

الفائدة الحادية والخمسون :

ويحتمل أنه عرضها عليه ؛ ليكون فى القيامة إذا قال سائر الأنبياء : نفسى ، نفسى - يقول نبينا وشفيعنا محمد ﷺ : أُمَّتى ، أُمَّتى ، وذلك حين تُسَجَّرُ جهنم ، ولذلك أمَّن الله تعالى محمدًا ﷺ ، فقال جلّ من قائل : ﴿ يوم لا يُخْزِى الله النبىَّ ﴾ [1] والحكمه فى ذلك أن يفرغ إلى شفاعة أمته ، ولو لم يُؤَمِّنْه لكان مشغولًا بنفسه ؛ كغيره من الأنبياء .

الفائدة الثانية والخمسون :

أن سائر الأنبياء لم يَرَوْا قبل يوم القيامة شيئًا منها ، فإذا رَأَوْها جَزِعُوا ، وكفَّت ألسنتهم عن الخطبة والشفاعة من هَوْلِهَا ، وشغلتهم أنفسهم عن أممهم .

فأما نبينا وشفيعنا محمد ﷺ ، فقد رأى جميع ذلك ، فلا يفزع منه مثل ما فزعوا ؛ ليقدر على الخطبة ، وهو المقام المحمود ، الذى وعده به ربه - تبارك - فى القرآن ، وثبت فى صحيح السنة .

---

(١) التحريم : (٨) .

الفائدة الثالثة والخمسون :

فيه دليل فقهى على أن الجنة والنار قد خلقتا ؛ خلافًا للمعتزلة المنكرين لخلقهما ، وهـو يجرى على ظاهر القرآن فى قوله تعالى : ﴿ أعدت للمتقين ﴾ (١) والإِعداد دليل الخَلْق .

الفائدة الرابعة والخمسون :

٦٢/أ أجمع أهل العلم / على أن المقام المحمود هو الذى وعده الله عز وجل فى كتابه العزيز فى قوله تعالى : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مَقَامًا محمودا ﴾(٢) و« عسى » عند النحويين طمع وإشفاق وترجٍّ إلا من الله جلَّ ثناؤه ، فإنها واجبة.

وقد تكلمنا على ذلك فى خصائص رسول الله ﷺ عند ذكر الشفاعة فلينْظر فى المجلد الذى فيه الخصائص – إن شاء الله تعالى (٣) .

فالمقام المحمود هو شفاعته لأمته ، فينال شفاعته ﷺ المحسنون منهم فى مَوْضِعَين :

أحدهما : الإِراحة من الموقف ، وفيهم آدم ، فمن دونه ، فيحمده فيه جميع الخَلْق ؛ لتعجيل الحساب ، والإِراحة من طول الوقوف ، ويلجون (٤) فيه إليه ، فلا أحدٌ يَدَّعيه ، ولا يشاركه فيه .

والثانى : الزيادة فى الكرامة ، والترفيع فى المنزلة والدرجة .

وأما المذنبون فمنهم من تناله شفاعته فى التجاوز عن ذنوبه ، ومنهم من تناله شفاعته فى إخراجه من النار ، فلا يحرم شفاعة النبى ﷺ إلا الكفار ، ولعلها لا تنال من يكذب بها من أهل الأهواء والبدع ، فواجب على كُلِّ مسلم أن يدعو جهده أن لا يحرمه الله شفاعة النبى ﷺ ، ولا يدعو أن يخرج من النار بشفاعته ؛ لأنه دعاء فى أن يكون من المذنبين المستوجبين للنار .

---

(١) آل عمران : (١٣٣) .

(٢) الإسراء : (٧٩) .

(٣) سبق فى المقدمة أن له كتاب خصائص الرسول – ﷺ .

(٤) كذا فى الأصل ، ولعلها : يلحون .

الفائدة الخامسة والخمسون :

فيه دليل فقهى على جواز الاستشفاع / فى الأمر الواحد مرة بعد أخرى ؛ ٦٢/ب لأن رسول الله ﷺ كرَّرَ الشفاعة عند الملك القُدُّوس خمس مرات .

الفائدة السادسة والخمسون :

أن المشفوع عنده ينبغى له أن يقبل الشفاعة ، فقد قبل الله شفاعة نبيه وعبده محمد ﷺ فى التخفيف عن الأمة ، وقد أمرنا رسول الله ﷺ بالشفاعة ، فقال : « اشفعوا فلتؤجروا ، ويَقْضِى الله على لسان نبيه ماشاء »[(١)] ، على ماثبت فى الصحيحين .

الفائدة السابعة والخمسون :

قول موسى لمحمد صلى الله عليهما : « إنى والله قد جَرَّبْت الناس قبلك ، وعَالَجْت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك » ، فلم يزل يراجع ربَّه نبيُّنا ﷺ إلى أن أمر بخمس صلوات .

قال موسى : « إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإنى قد جَرَّبت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال : لقد سألت ربى حتى استحييت ، ولكن أَرْضَى وأُسلِّم ..» الحديث إلى آخره ، ففيه فائدة أن موسى عليه السلام إنما استعظم الصلوات الخمس واستكثرها ؛ لأن أمته المفروض عليهم ثلاث صلوات ؛ صلاة عند الفجر ، وصلاة عند الزَّوَال ، وصلاة عند الغروب كل صلاة ركعتان ، وأمته مع ذلك لا يقومون بها على حقيقتها ، بل يقصرون فيها ، فمن ثَمَّ علم / واستكثر ٦٣/أ الخمس لأمة محمد ﷺ ، وأشفق عليهم من التخلف عن القيام بواجبها فطلب السؤال فى تقليلها .

---

(١) خ : (٤٤٢/١) (٢٤) كتاب الزكاة (٢١) باب التحريض على الصدقة ، والشفاعة فيها – من طريق موسى بن إسماعيل ، عن عبد الواحد ، عن أبى بريدة بن عبد الله ، عن أبى بُرْدة بن أبى موسى ، عن أبيه به . رقم (١٤٣٢) وأطرافه فى (٦٠٢٧ ، ٦٠٢٨ ، ٧٤٧٦) .

م : (٢٠٢٦/٤) (٤٥) كتاب البر والصلة والآداب (٤٤) باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام – عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن على بن مسهر ، وحفص بن غياث ، عن بريد بن عبد الله ، عن أبى بردة به . رقم (٢٦٢٧/١٤٥) .

الفائدة الثامنة والخمسون :

فى قوله لموسى عليه السلام : « لقد استحييت من ربى » . فيه من الفقه الاستحياء من التَّكثِير من الحوائج ؛ خشية العجز عن القيام بشكرها .

الفائدة التاسعة والخمسون :

قوله ﷺ عن كليم الله موسى : « فلما جاوزت بكى فقيل : ما أبكاك ؟ قال : يارب هذا الغلام الذى بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتى » . وهو حديث متفق على صحته [١] .

وهذا نص صحيح البخارى .

ولا يُظَنّ بمثل موسى ﷺ أن يكون بكاؤه حَسَدًا ، بل كان يبكى من تقصير نفسه وأمته ، حيث فَضَلَهُم غيرهم ، يدل على ذلك مبالغته فى النصيحة لرسول الله ﷺ ، حتى يشفع عند ربه عز وجل فى التخفيف عن أمته [٢] .

الفائدة الموفية ستين :

يصح نسخ العبادة قبل وقت الفعل ، وعلى ذلك أكثر الفقهاء .

---

(١) سبق تخريجه فى أول الكتاب (ص ٢٧) .

(٢) وقال العلماء فى ذلك : لم يكن بكاء موسى – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – حسدًا – معاذ الله – فإن الحسد عن ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين ، فكيف بمن اصطفاهم الله تعالى ، بل كان أَسَفًا على مافاته من الأجر الذى يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ماوقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم والمستلزمة لتنقيص أجره ؛ لأن لكل نبى أجر من تبعه ، ولهذا كان من اتبعه فى العدد دون من اتبع نبينا – ﷺ – مع طول مدتهم بالنسبة لمدة هذه الأمة .

وقال ابن أبى جمرة : قد جعل الله فى قلوب أنبيائه عليهم الصلاة والسلام الرأفة والرحمة لأمتهم ، وقد بكى النبى – ﷺ – فسئل عن بكائه ، فقال : هذه رحمة ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أخذوا من رحمة الله أوفر نصيب ، فكانت الرحمة فى قلوبهم لعباد الله أكثر من غيرهم .

(بهجة النفوس ١٩٢/٣ – ١٩٤) .

وانظر تفصيلا لذلك فى كتاب أحاديث الإسراء والمعراج للمحقق (١٣١ – ١٣٢) .

وقال أبو بكر الصيرفى والمعتزلة وبعض أصحاب أبى حنيفة : لا يصح نسخ العبادة قبل وقت الفعل .

والدليل على ما نقوله : ما أُمِرَ به إبراهيم على نبينا وعليه السلام من ذبح ابنه ، ثم نسخ عنه قبل فعله .

فإن قالوا : إنما أمر بالذبح على سبيل الامتحان والاختبار ، وكان القصد منه العزم / على الفعل . والجواب أنه تعالى يعلم السرائر ، فلا يجوز عليه ماذكروه ؛ لأنه يعلم الأشياء بعلم قديم ، والنسخ تبديل حكم بحكم ، والكل فى سابق علمه ، ومقتضى حكمته ؛ كنسخه المرض بالصحة ، والصحة بالمرض ، ونحو ذلك . ٦٣/ب

ويحتمل أنه نسخ عنه ﷺ ما أوجب عليه من التبليغ ، فقد كان فى كل مرة عازمًا على تبليغ ما أمر به ، فشفاعته لأمته ﷺ كان سببًا للنسخ لامبطلة لحقيقته ، ولكن المنسوخ ما ذكرناه من حكم التبليغ الواجب عليه قبل النسخ ، وحكم الصلوات الخمسين فى خاصته ، وأما أمته فلم ينسخ عنهم حكم ؛ إذ لا يتصور نسخ الحكم قبل وصوله إلى المأمور .

ويحتمل أن يكون هذا خبرًا لا تَعَبُّدًا ، وإذا كان خبرًا لم يدخله النسخ .

ومعنى الخبر أنه ﷺ أخبره ربه عز وجل أن على أمته خمسين صلاة ، ومعناها خمسون فى اللوح المحفوظ ، كما بينها الله تعالى لرسوله ﷺ آخرًا فقال : « هُنَّ خمس ، وهُنَّ خمسون ، والحسنة بعشر أمثالها » . فتأوله رسول الله ﷺ أولًا على أنها خمسون بالفعل ، فلم يزل يراجع ربه بإشارة كليم الله موسى عليه السلام ، حتى بين له أنها خمسون فى الثواب ، لا بالعمل .

الفائدة الحادية والستون :

لِمَ أبهم النبى ﷺ الثناء على الله عز وجل ليلة المعراج . ؟

/ قال الجُنَيْد بن منصور [١] : لَـمَّا علم النبى ﷺ أن الثناء – وإن صَفَا ٦٤/أ

---

(١) لا أدرى من هو الجنيد بن منصور ، أما الصوفى المشهور فهو الجنيد بن محمد ، وترجمته فى طبقات الصوفية (١٥٥ – ١٦٩) والمصادر المبينة فى الهامش .

وكثُر - يكون قاصرًا عن بلوغ الحق ، وأنه راجع إلى المُثْنِي شَرَفُه ، لا إلى المُثْنَى عليه ؛ فإن فيه إظهارَ قَدْرِ قائله ، لا غير - رجع ﷺ إلى لسان العَجْز ، فقال : « لا أُحْصِى ثناءً عليك » .

وسئل الإمام فى علم الإشارة أبو بكر محمد بن موسى [١] الواسطى : لم أبهم النبى ﷺ الثناء ؟ فقال : الثناء للأَكْفَاء ، ومن لم يبلغ حقيقة الثناء فالعجز عن الثناء ثناء .

وسئل أبو عثمان الحيرىّ [٢] عن قول النبى ﷺ : « لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » ؟ فقال : مازال النبى ﷺ داعيًا ومُثْنِيًا على ربه عز وجل ، فلما عُرج به ليلة الإسراء ، وشهد ما شاهد من عظمة ربه تبارك وتعالى استحيا مما أثنى ودعا ، فرجع إلى لسان العَجْز : « لا أحصى ثناء عليك » .

قال ذو النسبين رضى الله عنه : واسم أبى عثمان سعيد بن إسماعيل ، رازىّ ، إمام فى علم الإشارة ، مات سنه ثمان وتسعين ومائتين ، ودفن فى مقبرة الحيرَة ، وقبره يُتَبَرَّك بزيارته ، ويستسقى به ، رَوَى الحديث وقَيَّدَه ، ورواه وأسنده ، وأطاع به ربه ، وعَبَدَه .

وأما ثناؤه ﷺ على ربه يوم القيامة ، وهو يوم يشيب فيه الوليد ، ويَخُور الشهم الجرىء الجَلِيد - فذلك بما يفتحه الله عليه / ويجعله نورا يسعى بين يديه . ٦٤/ب

ثبت فى الصحيحين من حديث أنس بن مالك وغيره « حين يَسْأَلُ الناسُ نَبِيًّا ، نَبِيًّا ، فيؤتى عيسى ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بمحمد ﷺ ، فأوتَى ، فأقول : أنا لها ، أَنْطَلِقُ ، فأستاذنُ على ربى ، فيُؤْذَن لى ، فأقوم بين

---

(١) له ترجمة فى طبقات الصوفية (ص ٣٠٢ - ٣٠٦) .

(٢) ترجمته فى طبقات الصوفية (ص ١٧٠ - ١٧٥) .

يديه ، فأحمده بمحامد لا أقدر عليها ، إلا أن يُلْهِمَنِيها الله عز وجل ...» [1] الحديث إلى آخره .

وفى حديث أبى هريرة « ثم يفتح الله عَلَيَّ ، ويلهمنى من محامده ، وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلى ...» [2] الحديث إلى آخره .

* * *

(١) خ : (٤/٤٠٥ - ٤٠٦) (٩٧) كتاب التوحيد - (٣٦) كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم - من طريق سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، عن معبد بن هلال العنزى عن أنس به فى حديث طويل . رقم (٧٥١٠) .

م : (١/١٨٢ - ١٨٤) (١) كتاب الإيمان (٨٢) باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها - من طريق أبى الربيع العتكى ، عن حماد بن زيد به . رقم (٣٢٦/١٩٣) .

(٢) خ : (٣/٢٥٠ - ٢٥١) (٦٥) كتاب التفسير - (١٧) سورة الإسراء (٥) باب ﴿ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورا ﴾ من طريق محمد بن مقاتل ، عن عبد الله ، عن أبى حيان التيمى ، عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير ، عن أبى هريرة به فى حديث طويل رقم (٤٧١٢) .

م : (١/١٨٤ - ١٨٦) (١) كتاب الإيمان (٨٤) باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها - من طريق أبى بكر بن أبى شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير عن محمد بن بشر ، عن أبى حيان به . رقم (٣٢٧/ ١٩٤) .

خاتمـــة

لفوائد حديث الإِســراء

وهى الكلام على رؤيته ﷺ لأصلى النيل والفرات عند سدرة المُنتهى .

وكم ألف المؤرخون فى أصل النيل من تواليف ، أَوْهَى من السُّمَّهَى [١] ؛ ككتاب المُسَبِّحى [٢] الذى لا يُفَرِّق بين الشمس والسُّهَى [٣] .

وقرأت فِي تفسير القرآن العظيم عند قول الله الكريم : ﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقَدَرٍ فأسْكَنَّاه فى الأرض ﴾ [٤] أنهما النيل والفُرَات ، أنزلا من الجنة من أسفل درجة منها ، على جناح جبريل ، فأودعهما بطون الجبال ثم إن الله سيرفعهما ، ويذهب بهما عند رفع القرآن ، وذهاب الإِيمان ، فلا يبقى على الأرض خير ، وذلك قوله جل من قائل : ﴿ وإنا على ذَهَاب به لقادرون ﴾ [٥] .

ذكره النحاس فى « معانى القرآن العزيز » له بأتم من هذا ، وأسنده فاختصرته [٦] .

---

(١) السُّمَّهَى ما يتراءى للناظر فى عين الشمس وقت الظهيرة .

(٢) هو محمد بن عبيد الله المُسَبِّحى (عز الملك المختار) مؤرخ أديب كاتب ، فقيه ، فلكى ، من الأمراء ، ولد ونشأ بمصر ، له تاريخ مصر فى اثنى عشر مجلدًا (معجم المؤلفين ١٠/٢٧٦) .

(٣) السُّهَى : كوكب صغير خَفِيّ الضوء فى بنات نعش الكبرى أو الصغرى .

وفى المثل : « أريها السهى وتريني القمر » يضرب للمدهوش الذى يسأل عن شىء فيجيب جوابًا بعيدًا .

وهذا مثل أيضا لمن لا يفرق بين الأمور الواضح التفرقة بينها .

(٤) المؤمنون : (١٨) .

(٥) المؤمنون : (١٨) .

(٦) معانى القرآن (٤/٤٥٠ - ٤٥١) .

وفى الكتاب : « أنزل الله عز وجل من الجنة خمسة أنهار ؛ سيحون ، وهو نهر الهند ، وجَيْحُون ، وهو نهر بلخ ، ودجلة والفرات ، وهما نهرا العراق ، والنيل وهو نهر مصر » .

ثم ذكر ماذكره المؤلف مختصرًا .

/ وقد ثبت بنقل العَدْل ، عن العدل عن رسول الله ﷺ أن أصلهما فوق السماء السابعة على مافى حديث مالك بن صَعْصَعَة [١] . ٦٥/أ

وقد أتقنه الإمامان أحمد بن محمد بن حنبل ومحمد بن إسماعيل البخارى ، وأن فى أصل سدرة المُنْتَهى أربعه أنهار ؛ نهران باطنان ، ونهران ظاهران عند سِدْرَة المنتهى [٢] .

أخرجاه فى الصحيحين فوضح أصل النيل ، وبان الصدق من المَيْن [٣] ، وتبيَّن الصبح لذى عَيْنَيْن ، ومن خالف رسول الله ﷺ فقد خسر الدَّارَيْن .

وقد جاء أيضًا من حديث شَرِيك عن أنس ليلة أُسْرِى برسول الله ﷺ . فإذا هو فى السماء الدنيا بنهرين يَطَّرِدَان ، فقال : « ماهذان النهران ياجبريل ؟ قال : هذا النيل والفرات عنصرهما » .

أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب التوحيد . فى باب ﴿ وكَلَّمَ اللهُ موسَى تكليما ﴾ [٤] .

واختصره مسلم فى صحيحه .

وحديث مالك بن صعصعة غير متزلزل الإسناد عند العلماء النقاد .

وقد جاء فى صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود من قوله : إنَّ سدرة المنتهى هى فى السماء السادسة [٥] والمُسْنَد هو الذى عليه المعتمد ، ثم لا نقبل

---

(١) سبق تخريجه ص (٢٧) من هذا الكتاب .

(٢) سبق تخريجه ص (٢٧) من هذا الكتاب .

(٣) المَيْن : الكذب .

(٤) سبق تخريجه فى ص (٥٦) من هذا الكتاب .

(٥) م : (١٥٧/١) (١) كتاب الإيمان (٧٦) باب ذكر سدرة المنتهى .

من طريق أبى بكر بن أبى شيبة ، عن أبى أسامة ، عن مالك بن مغول ...

ومن طريق ابن نمير وزهير بن حرب ، عن عبد الله بن نمير ، وألفاظهم متقاربه . عن مالك بن مغول ، عن الزبير بن عدى عن طلحة ، عن مُرَّة ، عن عبد الله به .

قول الصحابى إذا صح عن رسول الله ﷺ ضده فإن قيل : كيف طريق الجمع بين الحديثين ، وقد وردا فى الصحيحين ، وقد دلّ أحدهما على أن النيل والفرات عند سدرة المنتهى أصلهما / فى السماء السابعة . ٦٥/ب

ودل الثانى على أنهما فى السماء الدنيا لذكره عنصرهما ، وهو أصلهما .

قلنا طريق الجمع بين الحديثين أن رسول الله ﷺ رأى فى أصل سدرة المنتهى أربعة أنهار ؛ نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، فسأل عنهما جبريل فقال : « أما الباطنان فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات » .

ثم فِي حديث شَرِيك عن أنس عن النبى ﷺ « فإذا هو فى السماء الدنيا بنهرين يَطَّرِدَان » فقال : « ما هذان النهران ياجبريل ؟ » قال : « هذا النيل والفرات ؛ عنصرهما » .

ولنا فى التأويل وجهان سديدان :

أحدهما : أن يكون محمولاً على ظاهره ، ويكون معناه أنه لما رأى عند سدرة المنتهى هذين النهرين مع نهرى الجنة ، وذلك فى السماء السابعة ، ورأى فى السماء الدنيا هذين النهرين دون نهرى الجنة كان لاختصاصهما بسماء الدنيا معنى ، سمى ذلك الاختصاص عُنْصُرًا ، ولا يمتنع أن يكون لجميع الأربعة الأنهر أصل واحد هو عند سدرة المنتهى . ثم يكون لاختصاص هذين النهرين بسماء الدنيا أصل من حيث الاختصاص ، وهو الامتياز لهما دون نهرى الجنة ، سمى ذلك الامتياز والاختصاص عُنْصُرًا ؛ أى عنصر امتيازهما ، واختصاصهما ، فهذا وجه سديد .

٦٦/أ **والوجه الثانى** : أن يكون عنصرهما مبتدأ يتعلق به خبر سابق / لم يتقدم له ذكر من حيث اللفظ ، لكن من حيث العهد ، ويكون معناه : هذا النيل والفرات ، فَيَتِمُّ الكلام ، ثم يكون عنصرهما ماكنت رأيت عند سِدْرَة المنتهى يامحمد ، فاكتفى بالعهد السابق عن إعادة الكلام . وهذا وجه سديد أيضًا .

وقد صح الجمع بين الحديثين ، فلم يتعارضا ، ولم يتنافيا ، ولم يتناقضا .

وأما قوله ﷺ في صحيح مسلم : « سَيْحَان وجَيْحَان والفُرَات والنيل كلٌّ من أنهار الجنة » .

رواه عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، عن خاله خبيب بن عبد الرحمن ، عن جده حفص بن عاصم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ... الحديث [١] .

وأسنده الإمام أحمد في مسنده قال : حدثنا ابن نمير ويزيد قالا [٢] : أخبرنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « فُجِّرَت أربع أنهار من الجنة : الفُرَات ، والنِّيل ، وسَيْحَان ، وَجَيْحَان » [٣] .

وهذا سند كالشمس أيضًا في صحته .

وزيادة لفظ « فُجِّرَت » وهو مفيد .

والكلام على معنى هذا الحديث يأخذ طَرَفًا مما تقدم ؛ وهو أن هذه الأنهار لها مزية تشريف على سائر الأنهار التي بالأرض ، وذلك التشريف هو كونها في الجنة ؛ على معنى أنها فُجِّرَت منها ، كما نَصَّ عليه في حديث أحمد .

ثم ينتقل الكلام إلى كونها بالأرض جارية ولا بُعْدَ في / ذلك ؛ فإن الأنهار المذكورة إذا كان تفجيرها من الجنة ، والجنة في السماء - كما قال تعالى : ﴿ عندها جَنَّةُ المأْوَى ﴾ [٤] وقوله تعالى : ﴿ أُعِدَّت للمتقين ﴾ [٥] على مذهب أهل الحق في أن الجنة مخلوقة ، وأنها لا تَبِيد من بين سائر المخلوقات . ٦٦/ب

---

(١) م : (٢١٨٣/٤) (٥١) كتاب الجنة ، وصفة نعيمها وأهلها - (١٠) باب مافي الدنيا من أنهار الجنة - من طريق أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي أسامة ، وعبد الله بن نمير ، وعلي بن مسهر عن عبيد الله بن عمر ...

وعن محمد بن عبد الله بن نمير ، عن محمد بن بشر ، عن عبيد الله عن خُبَيْب بن عبد الرحمن به رقم (٢٨٣٩/٢٦) .

(٢) في الأصل : « قال » وما أثبتناه من المسند ، وهو الملائم للسياق .

(٣) حم (٢٦٠/٢ - ٢٦١) من طريق ابن نمير ويزيد به .

(٤) النجم : (١٥) .

(٥) آل عمران : (١٣٣) .

هذا قول جميع العلماء فى الجنة والنار ، وأنهما لا تَبِيدَان .

ولم يخالف فى ذلك سوى طائفة من أهل البدع الأشرار .

– فتكون [١] الأنهار المذكورة من الجنة تَفَجَّرَت ؛ أى جرى أصلها ؛ لأن التفجير يليق بهذا المعنى . ومنه سُمِّىَ « الفجر » لانبثاث النور الساطع .

كذلك هذه الأنهار لما كان لها انبثاث وجريان سُمِّىَ تفجيرًا ، وإليه الإشارة بقوله : « من الجنة » ؛ أى كان هذا التفجير فى الأصل من الجنة ، ثم انبثت فى الأرض فهذا ما يحمل عليه هذا المعنى ولا معارضة فيه ؛ لما تقدم .

نفعنا الله بالعلم وأعاننا على العمل به ، بمَنِّه وكَرَمِه .

ولنقتصر على هذا المقدار ، مما أوردناه من صحيح الأخبار ، وكشفناه فى حديث الإسراء من غوامض الأسرار ، وأثرناه من كَوامِن الآثار ، واقتدحناه من زَنْد الاحتجاج ، وأَذْكَيْنَاه من سراج العلم الوَهَّاج .

وقد جاء هذا الكتاب – بسعادة من أُلِّف باسمه ، ورُفِع برسمه – بديعًا فى معناه لا يغنى كتاب فى فنه مَغْنَاه .

مافيه من علم ولا حكمة	تالله لا يُحْصَى ولا يُحْصَرُ
/ أشجارُه تُثْمِرُ حُلْو الجَنَا	وأفضل الأشجار ما يُثْمِرُ
كأنه فى فَنِّه جَنَّةٌ فا	ض بها من فضله كوثر
وهو لما يطلبه طالبٌ	أولى بما مطلبه أجدر
طبائع العلم به أُلِّفَت	كأنه لأصلها عُنْصُر
بالغيب فى الأجر عن المصطفى	عن جنة الله لنا يخبر
فخذه ياعِزَّ ملوك الوَرَى	بديع معنى لَقْطِه جَوْهَر
كواكب العلم به كلما	طالعته طالعة تُزْهِر

٦٧/أ

---

(١) هذا جواب « إذا » .

تم الكتاب بعون الله وتوفيقه ، وحسن تأييده وتسديده ، فى اليوم المبارك ، وهو التاسع من شهر جمادى الأول ، سنة إحدى وعشرين وسبع مائة .

وذلك على يد العبد الفقير إلى عفو مولاه ، الغنىّ به عمن سواه عيسى بن أيوب بن يوسف البكرىّ الشافعى – عفا الله عنه ، وغفر له ولوالديه ، ولمن طالع فيه ، ودعا له بالمغفرة ، ورضا الله تعالى ، والنظر إلى وجهه الكريم ، والفوز بدار النعيم ، والنجاة من نار الجحيم ، وما يسّر الله على لسانه من خير الدنيا والآخرة ، ولجميع المسلمين .

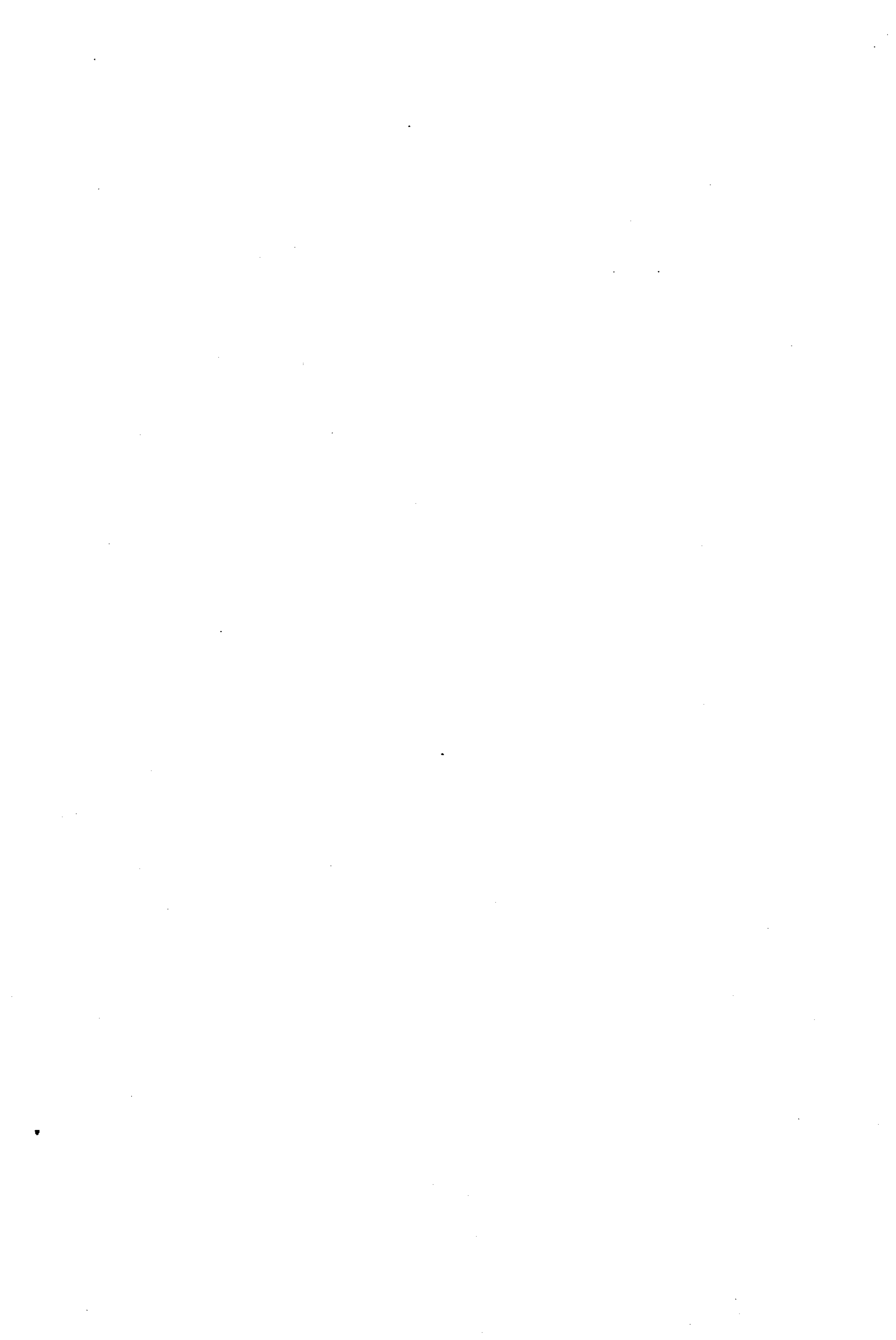
آمين يارب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وذريته أجمعين .

بلغ مقابلة بالأصل المنقول منه حسب الطاقة ، فصح .

* * *

تم بحمد الله وحسن توفيقه



فهارس الكتاب

* * *



١ - فهرس الآيــات الكريمة

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

ســورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة يوسف

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة طه

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة الفرقان

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة سبأ

سورة فاطر

سورة يس

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الفتح

سورة ق

سورة النجم

﴿ عندها جنه المأوى ﴾	(١٥)	[١٥١]
﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾	(١٧)	[٧٣]

سورة القمر

﴿ تجرى بأعيننا ﴾	(١٤)	[٩٩]
﴿ إلا آل لوط نجيناهم بسحر ﴾	(٣٤)	[١٢٥]

سورة المجادلة

﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾	(٢٢)	[٤٧]

سورة الصف

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ﴾	(٨)	[٥٩]

سورة المنافقون

﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾	(٨)	[١٢٢]

سورة التحريم

﴿ يوم لا يخزى الله النبى ﴾	(٨)	[١٤١]
﴿ جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾	(٩)	[٤٧]

سورة المعارج

﴿ فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ (٤) [١٢٧]

سورة المزمل

﴿ يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً ﴾ (١) [١٣٦]
﴿ إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً ﴾ (٥) [١١٨]

سورة القيامة

﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ (٢٢ ، ٢٣)[٨٠ ، ٨٤]
﴿ إلى ربها ناظرة ﴾ (٢٣) [٨٨]

سورة المطففين

﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ (١٥) [٨٢]

سورة البلد

﴿ ثم كان من الذين آمنوا ﴾ (١٧) [٥١]

سورة الشرح

﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ (٤) [١٣٧]

سورة القدر

﴿ إنا أنزلناه فى ليلة القدر ... ﴾ (١ - ٣) [١٢٨]

سورة الإِخلاص

﴿ لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ﴾ (٣ ، ٤) [١٣٥]

* * *

٢ - فهرس الأحاديث الشريفة والآثار

* * *

٣ – فهرس الأشعار

رقم الصفحة

* * *

٤ - قائمة بأهم مصادر التحقيق

١ - الآية الكبرى للسيوطى : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى المتوفى فى سنة ٩١١ هـ - المكتبة العربية دمشق .

٢ - الإبانة عن أصول الديانة : للإمام أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى - حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه . بشير محمد عيون - مكتبة دار البيان دمشق مكتبة المؤيد الطائف والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٣ - أحاديث الإسراء والمعراج ؛ دراسة توثيقية : د/ رفعت فوزى عبد المطلب - مكتبة الخانجى - القاهرة .

٤ - الأحاديث القدسية الأربعينية لملا على القارى تخريج أبى إسحاق الحوينى مكتبة التابعين - القاهرة .

٥ - الإلزامات والتتبع للدارقطنى : أبى الحسن على بن عمر (ت ٣٨٥ هـ) تحقيق مقبل بن هادى - المكتبة السلفية - المدينة المنورة .

٦ - بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها ، شرح مختصر صحيح البخارى ، المسمى جمع النهاية فى بدء الخير والغاية : أبو محمد عبد الله بن أبى جمرة الأندلسى (٦٩٩ هـ) ط : ٢ - دار الجيل - بيروت لبنان ١٩٧٢ م .

٧ - تاج الابتهاج على النور الوهاج فى الإسراء والمعراج : للسيد زين العابدين البرزنجى - تأليف السيد جعفر بن السيد إسماعيل البرزنجى المدنى المفتى بالمدينة الشريفة - المطبعة الحميدية المصرية - ١٣١٣ هـ - محمود الحلبى الكتبى ١٣١٤ هـ .

٨ - التاريخ لخليفة بن خياط : أبى عمرو شباب العُصْفُرى (ت ٢٤٠ هـ) تحقيق أكرم ضياء العمرى مؤسسة الرسالة - بيروت - دار القلم - دمشق - بيروت .

٩ - تبيين كذب المفترى لابن عساكر : أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ) دار الكتاب العربى - بيروت ١٣٩٩ هـ .

١٠ - التذكرة لرواة العشرة : شمس الدين محمد بن على بن الحسن الحسينى (ت ٧٦٥ هـ) تحقيق رفعت فوزى عبد المطلب - يطبع بمكتبة الخانجى - مصر .

١١ - تفسير ابن عطية : دار الكتب العلمية - بيروت .

١٢ - تفسير الحسن البصرى : جمع د/ محمد عبد الرحيم - دار الحديث بالقاهرة .

١٣ - تفسير عبد الرزاق الصنعانى - تحقيق د/ مصطفى مسلم - مكتبة الرشد - الرياض .

١٤ - التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبى (٣٦٨ - ٤٦٣) - وزارة الأوقاف المغربية (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م) .

١٥ - تهذيب الكمال : جمال الدين أبى الحجاج يوسف المزى - (٦٥٤ - ٧٤٢) - تحقيق بشار عواد ط (١) - (١٤٠٤ - ١٩٨٤) مؤسسة الرسالة - بيروت .

١٦ - الحج والعمرة : رفعت فوزى عبد المطلب - مكتبة الخانجى بالقاهرة .

١٧ - الروض الأنف ، شرح سيرة ابن هشام للسهيلى : أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١ هـ) تحقيق عبد الرحمن الوكيل - القاهرة ١٣٧٨ هـ .

١٨ - سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد - للإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى المتوفى سنة ٩٤٢ هـ . تحقيق عبد العزيز عبد الحق حلمى - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة .

١٩ - سنن أبى داود : سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى - (٢٠٢

– ٢٧٥ هـ) – تحقيق : عزت عبيد الدعاس – حمص – (١٣٨٨ هـ – ١٩٧٩ هـ) .

٢٠ – سنن الترمذى : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى – (٢٠٩ – ٢٧٩ هـ) – مكتبة مصطفى البابى الحلبى – القاهرة .

٢١ – سنن النسائى : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على النسائى – (٣٠٣ هـ) – المكتبة التجارية الكبرى – مصر .

٢٢ – سير أعلام النبلاء : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى – (ت ٧٤٨ هـ – ١٣٧٤ م) – تحقيق شعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت .

٢٣ – السيرة النبوية : عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨) تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الإِبيارى ، وعبد الحفيظ شلبى . البابى الحلبى – القاهرة ١٣٧٥ .

٢٤ – الشفا بتعريف حقوق المصطفى : أبو الفضل عياض اليحصبى الأندلسى (ت ٥٤٤ هـ) حققه أحمد بسيونى محمد سليم .

٢٥ – صحيح البخارى : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (١٩٤ – ٢٥٦ هـ) – ط (١) – المكتبة السلفية القاهرة .

٢٦ – صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى (٢٠٦ – ٢٦١ هـ) – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى – دار إحياء الكتب العربية القاهرة .

٢٧ – صحيفة همام بن منبه : تحقيق رفعت فوزى عبد المطلب – مكتبة الخانجى – القاهرة .

٢٨ – الطبقات لخليفة بن خياط : أبى عمرو خليفة بن خياط شباب العصفرى – (ت ٢٤٠ هـ) – رواية أبى عمران موسى بن زكريا التسترى – تحقيق أكرم ضياء العمرى – دار طيبة – الرياض .

٢٩ – طبقات الصوفية : أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين النيسابورى السلمى (ت ٤١٢ هـ) تحقيق نور الدين شريبة – مكتبة الخانجى – القاهرة .

٣٠ - الطبقات الكبرى لابن سعد : محمد بن سعد كاتب الواقدى - دار التحرير بالقاهرة - (١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م) مصورة عن الطبعة الألمانية المحققة .

٣١ - الطبقات الكبرى للسبكى : تاج الدين عبد الوهاب بن على - تحقيق د/ محمود الطناحى ود/ عبد الفتاح الحلو - عيسى البابى الحلبى - القاهرة .

٣٢ - فتح البارى : أحمد بن على بن حجر العسقلانى - (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) - المكتبة السلفية بالقاهرة ط (٢) .

٣٣ - الفهرست لابن النديم : محمد بن إسحاق (ت ٣٨٠ هـ) تحقيق : رضا تجدد - طبع طهران .

٣٤ - القاموس المحيط : محمد بن يعقوب الفيروزابادى (ت ٨١٧ هـ) تعليق نصر الهورينى - المطبعة الأميرية بالقاهرة .

٣٥ - القرى لقاصد أم القرى : أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر محب الطبرى - (٦١٥ هـ - ٦٩٤ هـ) تحقيق مصطفى السقا - ط (٢) - مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .

٣٦ - كشف الخفا ومزيل الإلباس : للمفسر المحدث - الشيخ إسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى (ت ١١٦٢) - دار صياد ، دار إحياء التراث العربى - بيروت .

٣٧ - الكامل فى ضعفاء الرجال : أبو أحمد عبد الله بن عدى الجرجانى (٢٧٧- ٣٦٥ هـ) دار الفكر - بيروت .

٣٨ - كشف الأستار عن زوائد البزار : نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى (٧٣٥-٨٠٧هـ) - تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى - مؤسسة الرسالة - بيروت .

٣٩ - لسان العرب : ابن منظور - تحقيق عبد الله على كبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم الشاذلى - دار المعارف .

٤٠ - لسان الميزان : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) - حيدر أباد الدكن - الهند .

٤١ – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى – (٨٠٧ هـ) – دار الكتاب العربى – بيروت .

٤٢ – المستدرك على الصحيحين : أبو عبد الله الحاكم النيسابورى محمد ابن عبد الله – (٤٠٥ هـ) – وفى ذيله تلخيص المستدرك للذهبى محمد بن أحمد (ت ٨٤٨ هـ) .

٤٣ – مسند أحمد : أحمد بن حنبل الشيبانى (١٦٤ – ٢٤١) – وبهامشه منتخب كنز العمال : على المتقى الهندى – المكتب الإسلامى – دار صادر – بيروت – لبنان .

٤٤ – مسند أبى يعلى الموصلى : أحمد بن على بن المثنى التميمى – (٢١٠– ٣٠٧) – تحقيق حسين سليم أسد – دار المأمون للتراث . دمشق – بيروت .

٤٥ – مشارق الأنوار على صحاح الآثار : للقاضى عياض بن موسى اليحصبى (ت ٥٤٤) طبع دار التراث بمصر والمكتبة العتيقة بتونس .

٤٦ – معانى القرآن للنحاس : للإمام أبى جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٨٨ هـ تحقيق الشيخ على الصابونى – المملكة العربية السعودية – جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامى – مركز إحياء التراث الإسلامى – مكة المكرمة .

٤٧ – معجم الطبرانى الكبير : أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى – (٢٦٠ – ٣٦٠ هـ) – تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى – وزارة الأوقاف بالجمهورية العراقية .

٤٨ – المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

٤٩ – معرفة علوم الحديث للحاكم : أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابورى (ت ٤٠٥ هـ) تحقيق معظم حسين – المكتب التجارى للطباعة والنشر – بيروت .

٥٠ - الملل والنحل للشهرستانى : محمد بن عبد الكريم (٥٤٨) مكتبة الخانجى بالقاهرة .

٥١ - الموطأ للإمام مالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩) ، رواية يحيى بن يحيى - عيسى البابى الحلبى - القاهرة .

٥٢ - ميزان الاعتدال فى نقد الرجال : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (ت ٧٤٨) تحقيق على محمد البجاوى - دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى - مصر .

* * *

٥ – فهرس موضوعات الكتاب

* * *

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٢٧١٨٠١